شرح كفاية المتعبد

وتحفة المتزهد للمنذري

للحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه اللّه

من الدرس الأول إلى الدرس الثالث

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٣/١١ هـ

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين

أما بعد :

فإن فضائل الأعمال وثواب العبادات وما أعده الله – جل وعلا – لأهلها من عظيم الأجور وجزيل الثواب وتكفير السيئات باب شريف من أبواب العلم جدير بالمسلم أن يعنى به عناية عظيمة وذلك أن الوقوف على فضائل الأعمال من أعظم المعونة للعبد على العناية بها والاستكثار منها والمواظبة عليها

وقد كتب العلماء –رحمهم الله– في هذا الباب الشريف كتابات كثيرة أفردت في بيان فضائل الأعمال وثوابها إضافة إلى ما اشتملت عليه دواوين السنة من الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من جمع لهذه الفضائل مما جاء عن الرسول الكريم صلوات الله وبركاته عليه

وفي فضائل الأعمال أحاديث عديدة ترد في كثير من كتب الفضائل ليست ثابتة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وفيما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام كفاية وغنية اذ إن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام جاء بما فيه الكفاية بياناً للأعمال وبياناً لعظيم ثوابها وأجرها عند الله ومن أحسن المختصرات التي ألفت في هذا الباب (باب فضائل الأعمال وثوابها عند الله تعالى)

هذه الرسالة التي بين أيدينا الموسومة [كفاية المتعبد وتحفة المتزهد] للحافظ عبدالعظيم المُنْذِري رحمه الله المولود عام ٥٨١ والمتوفى عام ٦٥٦ وهو له مصنفات عظيمة ونافعة

ومن أشهر مصنفاته كتاب الترغيب والترهيب وكذلك مختصره لصحيح مسلم ومختصره لسنن أبي داوود وغيرها من المصنفات النافعة

وهذا الكتاب أفرده في بيان فضائل الأعمال وجعله جزءاً مختصراً وقسمه تقسيم نافع ولم يورد فيه إلا ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فهو خال من الأحاديث الضعيفة فكل ما فيه ثابت عن نبينا صلى الله عليه وسلم

وأشار رحمه الله في مقدمته لهذه الرسالة أن سبب تأليفه لها أن أخاه أبا أحمد عبدالكريم طلب منه أن يجمع له كتاباً في فضائل الأعمال وثوابها فأجابه بأن ألف هذه الرسالة وهذا والله من جميل الوفاء بين الأخ وأخيه إذ هو من أحق الناس وأولاهم بأن ينفعه بما أتاه الله من علم وفهم وإن من أعظم وفاء أخ لأخيه ؛ وفاء موسى لأخيه هارون بحيث دعى الله أن يجعل له وزيراً من أهله وأن يشركه في أمره أي النبوة فاستجاب الله دعوته فجعل هارون نبيا رسولا

وهذه الرسالة التي كتبها المنذري رحمه الله لأخيه بارك الله فيها ؛ فعم نفعها وذاع صيتها وانتفع بها خلق في قديم الزمان وحديثه ولا سيما أنها في باب شريف عظيم من أبواب العلم إضافة لمكانة كاتبها ومنزلة مؤلفها الحافظ المنذري رحمه الله .

وأسأل الله الذي هيأ لنا ويسر بمنه وكرمه هذه المجالس للتذاكر حول مضامين هذا الكتاب في فضائل الأعمال وثوابها عند الله سبحانه أن ييسر لنا العمل بطاعته وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا وأن يجعل تعلمنا لفضائل الأعمال بابا للارتقاء بأنفسنا بحسن العمل والتعبد والتقرب إلى الله جل وعلا بما يرضيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد و آله وصحبه الطاهرين

قال الشيخ الفقيه لعالم المحدث العالم المحدث بقيّة الحفّاظ زكيّ الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رضي الله عنه ، الحمد لله الموفق لصالح الأعمال المحقق لراجية نهاية الآمال، أحمده على نعمه في الحال والمآل ، وأشهد أن لا إله إلا هو الكبير المتعال ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المنقذ به من الضلال ، صلى الله عليه و آله وأصحابه وأزواجه الجدراء بالإحسان والأفضال دائمة الاتصالّ

وبعد..

فإن أخي أبا أحمد عبدالكريم – صرف الله عنه كل شيطان رجيم – سألني أن أجمع له كتابا في ثواب الأعمال وفضائلها محذوف الأسانيد ليسهل عليه حفظه ويقرب تناوله ، فأجبته إلى ذلك لما له من الحق اللازم وليكون باعثا له إن شاء الله تعالى على ملازمة ما نورده فيه ؛

فاستخرت الله تعالى وجمعت له هذا الكتاب وسميته [كفاية المتعبد وتحفة المتزهد] وجعلته أربعة أبواب ...

الباب الأول : في ذكر الصلاة الباب الثاني : في الصيام

الباب الثالث : في الصدقة الباب الرابع : في الدعاء والذكر

والله تعالى المسؤول أن ينفعنا به وسائر المسلمين ويجعله خالصا لوجهه مقربا من رحمته بفضله ومنّه

الشرح :

هذه الرسالة كفاية المتعبد للمنذري رحمه الله طبعت طبعات عديدة وأقدم طبعات هذا الكتاب ضمن مجموع الرسائل المنيرية ثم طبعت مفردة طبعات عديدة بدأ هذه الرسالة بالحمد هذا والاستهلال الدال على مضمون هذه الرسالة و مقصودها وهذا يسمى براعة الاستهلال فحمد الله بأنه الموفق لصالح الأعمال المحقق لراجيه نهاية الآمال فالعمل وقيام العبد به إنما هو بتوفيق الله سبحانه وتعالى لعبده وبمعونته جل وعلا له وأن العبد كلما عظم رجاؤه بالله جل في علاه حقق له نهاية آماله وبلغه ما يرجوه من رضوانه سبحانه وتعالى فالأمر بيد الله وله الأمر من قبل ومن بعد جل في علاه وهو عز وجل يُحمد على نعمه وآلائه ومننه التي لا تعد ولا تحصى

(وما بكم من نعمة فمن الله)(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يحمد على نعم الحال وعلى نعم المآل وعلى كل نعمة أنعم بها على عباده من قديم أو حديث أو سرٍ أو علانية أو خاصة أو عامة

وجمع في هذه التقدمة بين الشهادتين الشهادة لله بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأنه عليه الصلاة والسلام به أنقذ الله الناس من الظلمات إلى النور كما قال الله (قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قوله [وأزواجه الجدراء]

أي الجديرون الحريون بالإحسان و الإفضال

ثم بين رحمة الله عليه أن سبب تأليفه لهذه الرسالة

[أن أخاه أبا أحمد عبدالكريم صرف الله عنه كل شيطان رجيم سأله أن يجمع له كتاباً في ثواب الأعمال وفضائلها محذوفة الأسانيد]

أي طلب منه هذا الطلب أن يؤلف رسالة في هذا الباب وعبدالكريم هذا أشار إليه الحافظ عبدالعظيم المنذري في كتابه التكملة لوفيات النقلة وأشار أيضاً إلى وفاته لأنه توفي قبل أخيه عبدالعظيم .

طلب رسالة في ثواب الأعمال وفضائلها محذوفة الأسانيد .

قوله [أن أجمع له كتاباً في ثواب الأعمال وفضائلها محذوف الأسانيد]

هذا يبين لنا المقصود من هذه الرسالة وأنها رسالة أفردت لبيان فضائل الأعمال وثوابها عند الله

قوله [ليسهل حفظه]

أي هذا الكتاب

[ويقرب تناوله]

فيه فائدة أمثال هذه المختصرات وأن فيها تسهيلاً لطالب العلم وتيسيراً له لحفظ جملة مما يتعلق بهذا الباب الشريف من أبواب العلم وهو باب فضائل الأعمال وثوابها وكما قدمت كل ما في هذا الكتاب من أحاديث كلها صحيحة ثابتة عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قوله [فأجبته إلى ذلك لما له من الحق اللازم]

ولاشك أن الأخ أولى والأقربون أولى بالمعروف .

قوله [وليكون باعثاً له إن شاء الله تعالى على ملازمة ما نورده فيه]

أي ملازمة ما نورده من فضائل والمراد بالملازمة أي للأعمال التي ذكرت فضائلها في الأحاديث وهذا فيه تنبيه أن مقصود العلم العمل وأن طالب العلم ينبغي أن تكون همته في طلبه للعلم وتحصيله أن يعمل به ليكون من أهله إذ لا يكون من أهل العلم بمجرد فهمه وحفظه

وهذا أيضاً فيه تنبيه إلى أن أحاديث فضائل الأعمال من أعظم المعونة للعبد على الأعمال ولهذا ينصح المسلم بين وقت وآخر أن يقرأ ما كتب في فضائل الأعمال حتى تتحرك نفسه وتقبل على العمل والعبادة .

قوله [فاستخرت الله تعالى وجمعت له هذا الكتاب وسميته كفاية المتعبد وتحفة المتزهد]

منبهاً على أن ما أورده فيه تُعد خلاصةً كافية وتحفةً وافية .

قوله [وجعلته أربعة أبواب : الباب الأول في ذكر الصلاة ، الباب الثاني في الصيام الباب الثالث في الصدقة ، الباب الرابع في الدعاء والذكر]

رتبه هذا الترتيب الجميل في ثواب الصلاة ثم ثواب الصيام ثم ثواب الصدقة ثم ثواب الدعاء والذكر .

قوله [والله تعالى المسؤول أن ينفعنا به وسائر المسلمين ويجعله خالصاً لوجهه مقرباً من رحمته بفضله ومنه] آمين .

الباب الأول في الصلاة

١- روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول اله صلى الله عليه وسلم يقول (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) الحديث متفق عليه

الشرح..

صدر رحمه الله أحاديث هذا الكتاب بحديث (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) وهو مؤتسٍ بذلك بأئمة أهل العلم في كثير من المصنفات في الحديث والفقه يصدِرونها بهذا الحديث وقد فعل

ذلك جمع من أهل العلم تنبيه منهم على أهمية النية وعظيم شأنها ووجوب استحضارها ومن ذلك استحضارها في مجالس العلم وأن تكون نية المتعلم خالصة لله لان طلب العلم يعد من أعظم القرب بل كما قال بعض السلف (ما تقرب إلى الله متقرب بمثل طلب العلم) والله لا يقبل العبادة إلا اذا كانت خالصة لوجهه ولهذا استحضار النية في مجالس العلم وأنها مجالس إنما تعقد لطلب رضوان الله وتقرباً إليه وأن العلوم الدينية التي يتعلمها المرء كلها قرب والقرب لابد فيها من إخلاص ولهذا يدخل هذا الحديث في جميع أبواب العلم في الصلاة والصيام والصدقة و جميع أبواب العلم كما جاء عن الشافعي رحمه الله (يدخل في سبعين باباً من أبواب الفقه) أي أنه يدخل في أبواب الفقه وكل تفقه في دين الله لابد فيه من نية صالحة ، نية صالحة في التفقه نفسه ؛ بأن يتفقه لله وطلباً لرضوانه ونية صالحة بالعمل بما تعلمه بأن يقصد بعمله وجه الله وفي الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) وقد عد أهل العلم رحمهم الله هذا الحديث من أحاديث قلائل يدور عليها الدين كهذا الحديث وحديث (إن الحلال بيّن) وحديث (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)

وقوله عليه الصلاة والسلام (إنما الأعمال بالنيات)

أي إنما الأعمال معتبرة بنياتها فليست العبرة بالعمل كثرة وقلة وإنما العبرة بصلاح النية فإن العمل إن كثر مع فساد النية لا يقبله الله فالعبرة في قبول العمل بصلاح نية صاحبه فالأعمال معتبرة بالنيات

قوله (وإنما لكل امرئ ما نوى)

لكل امرئ من الثواب بحسب نيته فإن كانت نيته صالحة وجد ثواب ذلك وأجره وإن كانت نية فاسدة وجد عقوبة ذلك ووزره والله لا يقبل عمل العامل إلا اذا أصلح العامل فيه نيته وابتغى فيه وجه الله وقد ضرب النبي في هذا الحديث مثالاً للتوضيح فقال عليه الصلاة والسلام في تتمته

(فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله) أي نية وقصدا

(فهجرته إلى الله ورسوله) أي ثواباً وقبولا (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) وهذا مثال يوضح عظم شأن النية في قبول العمل أو عدم قبوله.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصلح نياتنا أجمعين ويرزقنا الإخلاص في الأقوال، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .. أما بعد..

قال الحافظ المنذري -رحمه الله-

[ما جاء في فضل الصلاة]

٢- [روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر " وفي لفظ " رمضان إلى رمضان" أخرجه مسلم .]

الشرح..

هذا الباب الأول من الأبواب الأربعة التي اشتمل عليها هذا الكتاب وهو كتاب في الفضائل فضائل الأعمال وثوابها عند الله وبدأ رحمه الله الفضائل بفضل الصلاة باعتبار الصلاة أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين قد قال عليه الصلاة والسلام (بني الاسلام على خمس شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام) والصلاة عماد الدين وهي العهد الذي بين الإيمان والكفر فمن تركها فقد كفر وهي الفارق بين المسلم والكافر وشأن الصلاة في الإسلام شأن عظيم وهي صلة بين العبد وربه تبارك وتعالى وهي قرة عيون أهل الإيمان وبهجة نفوسهم وراحة صدورهم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم (وجعلت قرة عيني في الصلاة)وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه أرحنا بالصلاة

وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة فالصلاة شأنها عظيم وفضائلها كثيرة وثوابها عند الله جزيل والمصنف رحمه الله جمع طرفاً من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان فضائل الصلاة وعظيم ثوابها عند الله وبدأ هذه الأحاديث بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة وفي رواية (ورمضان إلى رمضان) كفارات لما بينهن مالم تغش الكبائر)

هذا فيه فضل الصلوات الخمس وأنها مكفرات للذنوب وتحط خطايا العبد ويتحقق بها مغفرة ذنوب العبد بل إن الصلاة من أعظم موجبات الغفران وتكفير الذنوب والخطايا

ولهذا لما كان شأن الغفران في الصلاة بهذه المكانة كان طلب الغفران في الصلاة في كل حركة من حركات الصلاة

في الاستفتاح طلب الغفران [اللهم باعد بيني وبين خطاياي]

وفي الركوع والسجود طلب للغفران [سبحانك اللهم وبحمدك ربنا اللهم اغفر لي]

وفي الرفع من الركوع طلب للغفران كما في صحيح مسلم [اللهم طهرني من خطاياي بالثلج والماء والبرد اللهم طهرني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ]

وفي الجلسة بين السجدتين طلب للغفران وقبل السلام طلب للغفران [اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم]

وبعد السلام طلب للغفران فالصلاة في جميع حركاتها وأركانها يطلب المسلم من الله غفران الذنوب فهي من أعظم موجبات نيل الغفران وتكفير الخطايا وفي هذا الحديث الذي بدأ به المصنف رحمه الله حديث أبو هريرة رضي الله عنه فيه بيان عظيم شأن الصلاة في باب غفران الذنوب قال صلى الله عليه وسلم [الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارات لما بينهن مالم تغش الكبائر وفي بعض الروايات ما اجتنبت الكبائر] فيها أنها مكفرات للذنوب

[ما اجتنبت الكبائر] أي أن الكبائر لابد فيها من توبة إلى الله بإقلاع عنها وندم على فعلها وعزم على عدم العودة إليها وأما الصغائر واللمم فإنها تكفرها الطاعات والحسنات كما قال الله (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقال صلى الله عليه وسلم: (أتبع السيئة الحسنة تمحها) أما الكبائر لابد فيها من توبة إلى الله

ولهذا قال [مالم تغش كبائر] يعني الكبائر لابد فيها من اجتناب لها وتركها والتوبة منها حال الوقوع فيها (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

وقال تعالى [الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة] .

قال رحمه الله :

٣- [روى معدان بن أبي طلحة قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت " أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة " أو قال " بأحب الأعمال إلى الله تعالى " فسكت ثم سألته فسكت ثم سألته الثالثة فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " عليك بكثرة السجود لله تعالى فإنك لا تسجد لله عز وجل سجدةً إلا رفعك الله عز وجل بها درجةً وحط عنك بها خطيئة "

قال معدان ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي مثل ما قال ثوبان . أخرجه مسلم .]

الشرح..

ثم أورد هذا الحديث أن معدان بن أبي طلحة قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت " أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة " أو قال " بأحب الأعمال إلى الله تعالى " هذا فيه حرص السلف العظيم على أبواب البر والخير ومعرفة فضائل الأعمال كان السلف رضي الله عنهم حريصون على هذا العلم وفضائلها وتكثر أسئلة السلف عن ذلك لعظيم حرصهم على الأعمال ونيل ثوابها ومعرفة أفضلها وأحبها إلى الله تبارك وتعالى فهذ السؤال من معدان وله نظائر كثيرة يدلنا على أهمية هذه الكتب المفردة في فضائل الأعمال وأن المسلم ينبغي أن يحرص على ذلك فالسلف كانوا يسئلون مثل ما في هذا الحديث التابعين يسئلون الصحابة وأنت جمعت لك الفضائل مثل هذا الكتاب كفاية المتعبد جمعت فيه جملة مباركة من الأحاديث الصحيحة في فضائل الأعمال هذا مما يدلنا على عظيم فضل هذا العلم وشرفه وأن المسلم ينبغي أن يبحث عن فضائل الأعمال ولهذا قال معدان لقيت ثوبان مولى رسول الله فقلت أخبرني بعمل يدخلني الله به الجنة ؛فسأل عن الفضائل والثواب وأي العمل أحب إلى الله ومعدان سأله ثلاث مرات دليل على حرصه بهذا الأمر

وقد يكون سكوت ثوبان وعدم إجابته عن السؤال إعظاماً للأمر من جهة وتشويقاً للسائل من جهة أخرى .. فأجابه فقال سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليك بكثرة السجود ؛ السؤال عن أحب العمل إلى الله وعن العمل الذي يدخل الجنة

" عليك بكثرة السجود لله تعالى فإنك لا تسجد لله عز وجل سجدةً إلا رفعك الله عز وجل بها درجةً وحط عنك خطيئة "

وهذا فيه ثواب السجود وفيه أنه أحب العمل إلى الله وفي الحديث الأخر "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد " فيه عظيم قرب العبد حال سجوده من ربه سبحانه وهذا المعنى دل عليه القرآن في أخر سورة اقرأ "واسجد واقترب" لان السجود وهيئة السجود هيئة تذلل لله هي أعظم حالات قرب العبد من ربه لأن الأرض تمتهن ويمشون عليها و يطؤونها بأقدامهم وتداس بالأرجل هذه حال الناس معها ويأت المسلم ويضع أشرف شيء فيه وهو الجبهة والأنف إذلالاً لله وخضوعاً لربه وانكساراً بين يديه فلما كان بهذه الهيئة من الذل كان أعظم ما يكون قرباً من ربه **لان العبودية تذلل للخالق** وأعظم ما يكون حال العبد في حال تذلله لله وخضوعه له حال سجوده

وقد سمعت قصة إسلام رجل عجيبة في سبب إسلامه وهي أنه رأى أول مرة في حياته مجموعة من المسلمين يصلون ورآهم سجدوا وضعوا جباههم على الأرض متذللين فقال في نفسه – انظر عجيب أمر قوله – قال في نفسه الجبهة أشرف شيء في الإنسان لا يمكن أن يضعها في الأرض على هذه الصفة إلا لمستحق ثم لما انتهوا من صلاتهم سألهم لمن تسجدون ؟ فعرفوه بالله وبدينه فأسلم ؛ أسلم لرؤية مسلمين ساجدين .. فالسجود ليس بالأمر الهين هذه الهيئة العظيمة المباركة من الذل والانكسار والخضوع هذه أقرب ما يكون العبد من ربه .. ولهذا حثنا نبينا صلى الله عليه وسلم على اغتنام هذه الفرصة المباركة فرصة السجود والقرب بالإكثار من الدعاء والسؤال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء هذا من نصح النبي الكريم عليه الصلاة والسلام قال " عليك بكثرة السجود لله تعالى فإنك لا تسجد لله عز وجل سجدةً إلا رفعك الله عز وجل بها درجةً وحط عنك خطيئة "

وانتبه هنا إلى الإخلاص "كثرة السجود لله" وقوله " فإنك لا تسجد لله سجدة " يعني مخلصاً لا تبتغي بسجودك رياء ولا سمعة يعني تسجد مخلصاً لله وتريد ثوابه ومرضاته .

قال [معدان ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي مثل ما قال ثوبان]

أي سألته السؤال نفسه فقال عليك بكثرة السجود .

قال رحمه الله:

٤- [روى ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيه بوضوئه وحاجته فقال لي " سل " فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال " أو غير ذلك " قلت هو ذاك قال " فأعني على نفسك بكثرة السجود " انفرد به مسلم . وليس لربيعة بن كعب " في الصحيح " غيره .]

الشرح..

أورد حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه وربيعة رضي الله عنه من فقراء الصحابة ومن أهل الصفة من المهاجرين وممن شرفهم الله وأكرمهم بخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم فكان خادماً له والنبي صلى الله عليه وسلم خدمه أحرار وعبيد وربيعة من الأحرار الذين شرفوا بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم ومثله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وغيرهم ممن شرفهم الله بخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم

فيقول رضي الله عنه [كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيه بوضوئه وحاجته]

يعني قريب منه لخدمته خادماً له يأتي له بحاجته قال فأتيه بوضوئه والوضوء بالفتح الماء الذي يتوضأ به وحاجته أي التي يحتاج إليها في وضوئه

[فقال لي سلّ]

يعني سل عن حاجة وهذا من كريم خلق النبي الكريم ونبل تعامله ومكافأة أهل النصح والإحسان بما هو أحسن وأعظم فقال سل يعني سل حاجة تريدها وأمر تطلبه فلم يلتفت رضي الله عنه إلى شيء من متع الدنيا مع أنه من فقراء الصحابة وأهل الصفة ما التفت إلى شيء من متع الدنيا وإنما اتجه مطلوبه إلى أمر عالي ورفيع

[فقلت أسالك مرافقتك في الجنة . قال: أو غير" قلت هو ذاك"]

يعني ما أريد الا هذا فانظر هذه الهمة ما أرفعها وأعلاها فهو إنما يريد بهذه الأعمال المرافقة للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يلزم من هذه المرافقة المطلوبة أن يكون في نفس الرتبة لان الرتبة والدرجة التي هو فيها صلوات الله وسلامه عليه درجة لا يبلغها الا واحد من عباد الله وهي له فلا يلزم من يرافقة في الجنة أن يكون في نفس الدرجة ومساوي في الرتبة هذا ليس بلازم

[قلت هو ذاك]

أي لا أريد إلا هذا

[فقال أعنّي على نفسك بكثرة السجود]

أرشده إلى خير العمل والمراد بكثرة السجود أي السجود الذي في الصلاة فحثه على الصلاة ورغبه فيها أي أن صلاتك صلاةً تلو صلاة مكثراً من الصلاة ومكثراً من السجود لله

وليس المراد بكثرة السجود أن يسجد هكذا سجدات منفردة ليس المراد هذا وإنما المراد السجود الذي في الصلاة يصلي ويصلي فيكون بذلك مكثراً من السجود ولم يقل أعني على نفسك بكثرة الصلاة وإن كانت هي المرادة وإنما قال بكثرة السجود تنبيهاً على عظم السجود في أركان الصلاة وبين أهل العلم خلافاً قوي أي العملين أفضل في الصلاة السجود أو القيام والقراءة بين أهل العلم خلاف قوي وأورد خلافهم في ذلك الامام ابن القيم في كتابه زاد المعاد في مبحث لطيف ونافع في أيهما أفضل طول القيام أو كثرة السجود وذكر من رجح هذا وأدلته ومن رجح هذا وأدلته

ثم قال في ختام ذلك قال شيخ الاسلام -يعني ابن تيمية- رحمه الله الصواب أنهما سواء هذا أفضل بما فيه من قراءة من فاتحة الكتاب وما تيسر من القران وهذا أفضل بما فيه من ذل وانكسار لله .

قوله [أعني على نفسك]

تنبه على أعنّي على نفسك النفس الانسانية هذه مشكلة تحتاج من صاحبها إلى معالجة كم حرمت نفس الإنسان من خير وكم ورطته في مخازي وآثام وذنوب فنفس الانسان تحتاج إلى مجاهدة ومعالجة وإلا فإنها تتفلت وتميل إلى الحرام فتحتاج إلى معالجة دائمة ولهذا قال [أعني على نفسك بكثرة السجود] يعني جاهد نفسك على طاعة الله وتأطرها على الحق أطْرا والله يقول [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا] والنبي صلى الله عليه وسلم قال [المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله] النفس تحتاج إلى مجاهدة ومعالجة وتحتاج إلى محاسبة تحتاج أن يزمّها صاحبها دائما بزمام الشرع والحق والهدى وإلا تنفلت نسأل الله السلامة ، إذا انفلتت النفس أهلكت صاحبها وورطته في مخازي ورذائل وأعمال فضيعة جدا الا من وفقه الله وجاهد نفسه مستعيناً بربه تبارك وتعالى ولهذا قال [أعني على نفسك بكثرة السجود] اذا كنت تريد الفضيلة والرفعة والدرجات العلى جاهد نفسك على طاعة الله ومن أعظم ما هو مطلوب منك أن تجاهد نفسك عليه

الصلاة فرضها ونفلها .. الصلاة تحتاج منك إلى مجاهدة ومعالجة مستمرة منك حتى تكون من المصلين حتى تنشرح النفس والصدر للصلاة ؛ أول ما يكون الأمر تكون الصلاة ثقيلة لكن اذا جاهد وعالج نفسه واستعان بالله تحولت الى قرة للعين وراحة للصدر وبهجة للنفس.

فلذا ننتبه إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم "أعنّي على نفسك بكثرة السجود"

٥- قال رحمه الله : وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه [من تطهر في بيته ومشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله تعالى كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة] أخرجه مسلم

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث حديث أبو هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [من تطهر في بيته ومشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله] هذه ثلاثة أمور ترتب عليها هذا الثواب وهذه الفضيلة

الأمر الأول [من تطهر في بيته] والطهارة في البيت هذا له معنى مهم جداً و جاءت في نصوص كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها تعني أنك خرجت من بيتك وراحتك وجلوسك مع وأهلك وولدك لا لشيء إلا للصلاة طاهراً ليس لك مقصد ونية إلا الصلاة ؛ فهذا له معنى يسمع النداء في بيته فيتطهر ويخرج من بيته لا يخرجه شيء إلا الصلاة

الأمر الثاني [مشى إلى بيت من بيوت الله]: أن يذهب ماشياً للصلاة على قدميه وكل ما زادت الخطوات كان الثواب أعظم والأجر أكبر عند الله فالمشي ذاته إلى المساجد له ثوابه العظيم ينبغي أن يحرص عليه العبد ما استطاع فيكثر من خطواته إلى المساجد

وفي هذا الباب القصة العجيبة في صحيح مسلم يرويها أُبي بن كعب رضي الله عنه في قصة ذلك الرجل من الأنصار يقول أبي عن رجل من الأنصار لا أعلم رجلاً أبعد بيتاً من المسجد منه وكانت لا تخطئه صلاة يعني ما تفوته ؛ فقيل له ألا تشتري لك حماراً تركبه في الظلماء والرمضاء يعني في شدة الحر وفي الليل في

ظلمة الليل في الفجر والعشاء .. قال والله ما أحب أن بيتي إلى جنب المسجد وإني أريد أن يكتب الله لي ذهابي إلى المسجد خطواتي إلى المسجد وعودتي منه

هذا الحرص كان عن عظيم رغبة وطمع منه أن تكتب خطواته إلى المسجد ذاهباً وآيباً .. ومن عجيب القصص في هذا الزمان لإن أحياناً القصص الواقعية في زمان المرء قد تحرك في نفسه معنى، حدثت عن رجل مسن مقعد ما يمشي على قدميه لكبر سنه لكنه جميع الصلوات الخمس يذهب إلى المسجد زحفاً تقرحت رجلاه وركبه من الأرض ولا يريد أن يركب فاضطر أبناءه إلى مدِ فراش من بيته إلى المسجد يقي رجل والدهم الحريص على الصلاة من أن تتقرح رجله وتتضرر له و تجد شباب أقوياء نشطاء في عافية وصحة ما يحرك قدميه إلى بيت الله نسأل الله العافية

وهذا يبين لنا أن الإعاقة ليست الإعاقة البدنية وإنما الإعاقة إعاقة القلب ينادى للصلاة ولا يذهب هذا معاق إعاقة حقيقية أما الآخر الذي فقد قدمه أو طرف من أطرافه أو يده هذه إعاقة بدنية

فالحاصل أن المشي إلى الصلاة له شأنه ، هذا الصحابي رضي الله عنه قال [أريد أن يكتب لي ذهابي وإيابي] فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال :"إن الله قد جمع لك ذلك كله" يعني هذا الذي أحتسبه عند الله جمعه الله له في الذهاب والإياب

الأمر الثالث [ليقضي فريضة من فرائض الله]

انتبه له ؛ فضل المشي إلى المساجد لأداء الفرائض لأنه ما تقرب إلى الله من قربة أحب إلى الله مما افترض الله على عباده كما في الحديث القدسي [وما تقرب إلي عبدي بشي أحب إلي مما افترضته عليه] وفرائض الله التي تؤدى في المساجد خمس صلوات في اليوم والليلة

[كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة]

هذا فيه أن خطوات المسجد يجمع المرء لنفسه بين حط الخطيئة وعلو المنازل ورفعة الدرجات .

٦- قال رحمه الله [وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا] متفق عليه والدرن بفتح الدال والراء : الوسخ]

الشرح ..

هذا الحديث فيه الدلالة على عظيم فضل الصلاة في تكفير الخطايا وحط الذنوب وضرب مثلاً النبي صلى الله عليه وسلم في عظم الصلاة وتكفير الذنوب والأمثال المضروبة من شأنها أن تجعل الأمور المعنوية كالأمور المحسوسة فتصوّروا لو أن رجلاً أمام بيته نهر عذب يجري و كل يوم يغمس بدنه في الماء ويدلكه خمس مرات والنهر عذب نظيف هل يتصور أن يوجد على بدن الرجل هذا الدرن وهو الوسخ أم يكون بدنه نظيف وليس على بدنه وسخ وليس عليه الرائحة الكريهة ؟ فهذا مثل يوضح لنا حال الصلاة في تكفير الذنوب فهي كحال نهر بباب أحدنا في بعض الروايات [نهر غمر أي ملي بالماء] فهو يغمس نفسه خمس مرات لا يبقى من درنه شيء

قال صلى الله عليه وسلم [فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا]

والدرن هو الوسخ والوسخ وسخ الذنوب يزال بالصلاة كما في دعاء الاستفتاح [اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدرن وفي بعض الروايات من الوسخ] فالصلاة تنقية للنفس من الذنوب

٧- قال رحمه الله [روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما إذا أو راح] متفق عليه

والنُزل : بضم النون والزاي المكان الذي يهيأ للنزول فيه ، وبسكون الزاي الطعام ، والنزْل بسكون الزاي الريع والفضل

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في فضل الغدو وهو الذهاب في أول النهار والرواح وهو الذهاب في أخر النهار إلى بيوت الله لأداء الصلوات في أول النهار الفجر وأخر النهار الصلوات العصر

والمغرب والعشاء الحاصل أنه يتكرر مجيئه وذهابه إلى بيوت الله في أول النهار وفي آخر النهار من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح في كل غدوّ ورواح يعد نزل أي ضيافة وكرامة كما قال الله [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أوليائكم في الحياة الدنيا وفي الأخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم ما توعدون نزلاً من غفور رحيم]

فالنزل ما يعد لأهل الجنة القراء الضيافة والكرامة التي يعدها الله لأوليائه المتقين فكلما كان العبد معتني بالذهاب إلى المسجد والرواح يتكرر منه كلما كان ذلك سبباً لزيادة النزل وتهيئة الكرامة له في الجنة وهذا الحديث من جملة الأحاديث الكثيرة التي تدل على أن الجنة مخلوقة وموجودة الآن وأن ثواب العبد يتزايد في الجنة

[من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة] فالجنة موجودة يتزايد قرا العبد وكرامة الله له بحسب جده واجتهاده ولاسيما العناية بالصلاة والمحافظة عليها .

جعلنا الله أجمعين من المقيمين للصلاة ومن ذريّاتنا، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

أما بعد..

يقول الحافظ المنذري رحمه الله

٨- [روى أبو مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

" الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملآ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو حجة عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها " أخرجه مسلم . واسم أبي مالك عمرو ويقال عبيد ويقال كعب]

الشرح..

هذا الحديث حديث أبي مالك أخر حديث ساقه المصنف فيما جاء في فضل الصلاة وهو حديث عظيم جمع أمورا عديدة وهو معدود في جملة جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من أجمع الأحاديث في فضائل الأعمال حيث ذكر فيه أعمال متنوعة وعبادات متنوعة مع ذكر الفضيلة لكل منها فهو حديث جامع في هذا الباب – باب فضائل الأعمال – فذكر فيه فضل الطهارة وفضل الصلاة وفضل الصدقة وفضل الصبر إلى غير ذلك مما جمع في الحديث من فضائل

في قوله [الطهور شطر الإيمان] والمراد بالطهور أي توحيد الله وإخلاص الدين له والخلوص من الشرك في قول لأهل العلم في معناه

ومعنى الطهور شطر الإيمان أي أن التوحيد والبراءة من الشرك والتطهر من الشرك وأدرانه شطر الإيمان ؛ لأن الإيمان والعمل والعبادة لا تقبل إلا بهذا الشطر فمن لم تقم أعماله وعباداته على توحيد الله

والاخلاص له لم تقبل له طاعة ولم يقبل له عمل قال تعالى [ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين]

وقيل الطهور شطر الإيمان وهو الأقرب أي الوَضوء الطهارة للصلاة ويقوي ذلك أن الحديث ورد في بعض ألفاظه عند الترمذي وغيره بلفظ الوضوء شطر الإيمان والمراد بالإيمان الصلاة [وما كان الله ليضيع إيمانكم] أي صلاتكم والوضوء شطر الصلاة لأن الصلاة لا تقبل إلا بوضوء ولا صلاة لمن لا وضوء له ..

فصلاة بغير وضوء غير مقبولة وعبادة بغير توحيد غير مقبولة فالحاصل الطهور شطر الإيمان قولان لأهل العلم والأقرب هو الوضوء الذي لا تصح الصلاة إلا به ويمكن أن يؤخذ من المعنيين فائدة يشير إليها أهل العلم في تقرير التوحيد وبيان مكانته في العبادات كلها فشأن التوحيد والبراءة من الشرك في العبادات كلها كشأن الطهارة في الصلاة فكما أن الصلاة لا تقبل بدون طهارة ويصح أن يقال في حق من صلى بدون طهارة إنه لم يُصل ولو فعل أركانها من ركوع وسجود لأن شرط الصلاة الذي لا تقبل إلا به لم يأت به ..

مثله تماماً من يعبد الله الله بدون توحيد يصح أن يقال عنه إنه لم يعبد الله وليس عبداً لله لأنه لا يكون المرء عبداً لله إلا اذا أخلص العبادة لله فعبادة بلا توحيد كصلاة بلا طهارة . مثل الذي يعبد الله ولم يخلص دينه له كمثل الذي يصلّي بدون طهارة فكما أن صلاة المصلّي بدون طهارة غير مقبولة فعبادة الله بدون توحيد غير مقبولة

فالله لا يقبل العبادة إلا بالتوحيد [ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد] أي أخلص عبادتك ودينك لله ولا تشرك في العبادة .

قال [والحمد لله تملأ الميزان]

هذا فيه ثواب العبد والاستكثار من الحمد وأن هذه الكلمة المباركة تملأ الميزان أي ميزان الحسنات لأن العبد يوم القيامة ينصب له ميزان له كفتان كفة توضع فيها حسناته وكفة توضع فيها سيئاته والحمد لله تملا الميزان وهذا فيه ثقل هذه الكلمة في الوزن يوم القيامة وأن من شأنها أنها تملأ الميزان

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر [كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم] فالحمد ثقيل في الميزان يملأ الميزان وهذا حث على الاستكثار من حمد الله وأن يحرص المسلم على أن يحمد الله بكثرة فإن هذه الكلمة العظيمة تملأ الميزان

والحمد ثناء على الله وإثبات الكمال له فمعنى الحمد لله أي أثني عليه بما هو أهله والله يحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العليا ويحمد على نعمه المتوالية وآلائه المتوالية ونعمه الّتي لا تحصى (وما بكم من نعمة فمن الله)

قال [وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملآ ما بين السماوات والأرض]

هاتان الكلمتان كثير ما يقرن في النصوص بينهما إما بهذه الصفة سبحان الله والحمد لله أو سبحان الله وبحمده فكثيراً ما يقرن بين التسبيح والتحميد ..

سبحان الله وبحمده أي أسبح الله حال كوني حامدا له مثنياً عليه جامعاً بين تسبيحه الذي هو التنزيه وحمده الذي هو الثناء عليه جل في علاه .

وعرفنا أن التسبيح تنزيه الله والحمد الثناء على الله بإثبات الكمال له فعرف أن الجمع بينهما جمع بين التنزيه للرب عما لا يليق به من النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات والحمد إثبات للكمال إثبات لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأفعاله العظيمة ومننه وعرفنا أنه يحمد على نعمه وآلائه ويحمد على أسمائه وصفاته

فالحمد فيه إثبات الكمال والتنزيه فيه تبرئة الله عن كل مالا يليق به ففي الجمع بينهما جمع بين الإثبات والتنزيه وعلى هذين يقوم المعتقد السليم في باب الأسماء والصفات إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل على حد قوله تعالى [ليس كمثله شي وهو السميع البصير]

قوله [تملآن] أي هما معاً وقوله [تملأ] هذا شك من الراوي تملأ يعني كل واحد منهما ما بين السماء والأرض .

قوله [والصلاة نور]

هذا موضع الشاهد من الحديث ومعنى نور يعني ضياء لصاحبها تنير قلبه وتنير وجهه وقبره وطريقه فهي نور وضياء وكلما عظم حظ العبد من هذه الصلاة عظم حظه من هذا النور ولهذا جاء في الحديث الأخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وقد ذكرت الصلاة عند والحديث في المسند بسندٍ جيد [من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة] فالصلاة نور لصاحبها في حياته وقبره ونور في حشره ويوم لقاء ربه واذا قسمت الأنوار يوم القيامة على العباد قال تعالى [يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ] فاذا قسمت الأنوار يوم القيامة كان أصحاب الصلاة أهل النصيب الأوفر لان الصلاة نور للعبد في قبره وحياته ويوم لقاء ربه وهي ضياء لوجه وهذا يدلنا على فضيلة عظيمة في الصلاة

ولما كانت الصلاة نوراً شرع لمن خرج لآدائها أن يسأل الله النور كما ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم في خروجه الى الفجر ومن أهل العلم من قال يقال في كل صلاة [اللّهم اجعل في قلبي نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نورا واجعل من أمامي نورا واجعل من خلفي نورا واجعل عن يميني نورا واجعل عن يساري نورا] يقول ذلك وهو خارج الى الصلاة خارج الى النور لأن الصلاة نور فيدعو الله أن يعظم له الحظ من النور في كل أجزاءه ومن كل جهة أمام ويمين ويسار وكل أجزائه سمعي وبصري وفي بعض الروايات شعري وعصبي فيكون النور محيط به من كل جانب لان الصلاة نور فالذاهب اليها سائل الله أن يعظم له النور فلما قيل هذا الدعاء بمناسبة الخروج إلى الصلاة و الصلاة نور ناسب أن يسأل الله النور من كل جهاته وفي جميع أجزائه.

قال [والصدقة برهان]

أي برهان على صحة الإيمان وقوته وصلاح العبد وقوة إقباله على الله لأن المال غالٍ عند صاحبه فإخراجه بنفس سخية وهذا من وقاية الشح للنفس [ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] وهو أيضا برهان وعلامة على صدق المرء في تقربه وإيمانه لأن هذا المال الغالي عنده يخرجه ولا يبالي بل يبتغي وجه الله.

قال[والصبر ضياء]

الصبر ضياء لصاحبه في سيره وطريقه وهذ الصبر يحتاج اليه العبد في جميع أموره ولهذا الصبر منزلة عظيمة من منازل السائرين تصاحب المسلم في كل أحواله **لأن** الصبر الذي هو حبس النفس يحتاج اليه العبد في باب الطاعات حتى يقوم بها فمن لا صبر عنده لا قدرة عنده على القيام بالطاعات ؛ الصلاة والوضوء والصيام كلها تحتاج إلى صبر ومن لا صبر عنده لا قدرة له على القيام بهذه الأعمال وكذلك المعاصي الذي أمر العبد بتركها كلها تحتاج إلى صبر ، فهو يصبر نفسه عن فعلها يعني يحبس ويمنع نفسه عن فعلها..

فيحتاج مقام الطاعات لصبر للقيام بها وفعلها والمعاصي تحتاج إلى صبر بأن يمنع نفسه والذي ما عنده صبر يغشى الذنوب مباشرة باذن الله صبره يحجزه عن فعل المعاصي ..

كذلك المصائب المؤلمة الذي يصاب بها من موت أو فقد مال أو ولد تحتاج إلى صبر على أقدار الله

فقوله [الصبر ضياء] أي الصبر بأنواعه الثلاثة : الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله والصبر على أقدار الله هذا ضياء لصاحبه وهو مقام عظيم من مقامات الدين العلية وهو عمل قلبي يحتاج إليه العبد في جميع أموره من فعل طاعة أو اجتناب معصية أو ما يكون من العبد حال حصول المصائب

ومعنى [ضياء لصاحبه]

أي يضيء لصاحبه طريق سيره إلى الله ومن المعلوم أن السير يحتاج إلى ضياء حتى يستتم السير يواصل السائر سيره يحتاج إلى ضياء يضيء طريقه فيسلكه على بصيرة.

قال [والقرآن حجة لك أو عليك]

يعني لا يخلو حال العبد مع القرآن من واحدة من الاثنين إما حجة للعبد أوعلى العبد واذا عرف العبد ذلك لابد أن يعرف متى يكون القرآن حجة لك أو حجة عليك حتى يفعل الذي يجعل القرآن حجة له ويترك الذي هو حجة عليه وأحد السلف وهو أخذ من هذا الحديث قال [ما جلس أحد إلى هذا القرآن إلا قام منه إما بزيادة أو بنقصان] واحد يجلس يقرأ القرآن يقوم بزيادة إيمان وآخر يقوم بنقصان

[وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ]

هذا قام بزيادة وهذا قام بنقصان متى يكون القرآن حجة لك أو عليك يعرف جواب هذا السؤال اذا عرفت المقصود بإنزال القرآن قال الحسن البصري " أنزل هذا القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً "

يعني صنعة عمل من الأعمال فالقرآن أنزل للعمل به من العقائد والمحرمات والتكاليف فيكون المرء من أهله اذا عمل بالقرآن ولهذا في الحديث قال [يؤتى بأهل القرآن الذين يعملون به] فالذي يعمل بالقرآن هو من أهله أما الذي يسمع آيات الله ويقرأها ولا يعمل بها لا يكون من أهلها .

مثلاً لو إنسان قرأ من سورة الحجرات قول الله [يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم] قرأها ثم قام وجلس مع رفقائه واغتاب المسلمين الأمر واضح بأن الآية حجة عليه لو قرآها قبل مجلس الغيبة عشرين مرة أو ثلاثين مرة تكون حجة عليه ولو كان يقرأ على شيخ وقال قراءتك متقنة ما عندك خطأ حجة عليه لأن هذه الآية وآيات القران أنزلت ليعمل بها فاذا عمل بها كانت حجة له وإلا كانت حجة عليه قال الله تعالى [الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يومنون به] ومن التلاوة للكتاب العمل بالكتاب لان التلاوة من معانيها العمل [والقمر اذا تلاها] أي أتبعها فمن تلاوة القرآن العمل بالقرآن ومن لم يعمل بالقرآن ليس تالياً للقرآن وإن كان حافظاً له لابد من العمل ..

فأهل القران هم أهل العمل بالقرآن فالقرآن حجة لك أو عليك

كيف يعرف أن القرآن حجة لك أو عليك ؟ يكون بمعرفة مقصود انزال القرآن وأن القرآن ما أنزل لمجرد التلاوة أو السماع فقط بل ليعمل بما جاء به

والله لم يوجب على عباده أن يحفظوا آيات القرآن كلها لكن أوجب العمل به على الجميع فالعمل بالقرآن واجب وهو الذي من أجله أنزل القران فمن عمل بالقرآن كان من أهله ومن لم يعمل به لم يكن من أهله وكان حجة عليه هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم والقرآن حجة لك أو عليك

وبمعنى هذا الحديث قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر [إن الله يرفع أقواماً بهذا القرآن ويضع آخرين]

قال [كل الناس يغدو فبائع نفسها فمعتقها أو موبقها]

كل الناس يغدو يعني كل الناس في سير تراهم من الصباح منطلقين كلٌ له طريق .. اذا أصبح انطلق في أمور متنوعة في طرائقه المختلفة لكن هذا الغدو على نوعين : الأول يغدو بائع نفسه على الله يوجد رحمة الله وثوابه لا يعمل العمل إلا ما يرضيه متجنب لكل ما يسخط الله يعني باع نفسه لله وبهذا البيع أعتق نفسه من عقاب الله وسخطه

قوله [فمعتقها] أي أعتقها من القاب وسخط الله فكان من الناجين لأنه بهذا البيع لنفسه على الله بفعل الأوامر واجتناب النواهي يكون أعتق نفسه من العقاب والعذاب قوله [أو موبقها] يعني موبقها يعني مهلكها أي مهلك نفسه والإهلاك للنفس هو الدخول في الموبقات والموبقات هي المعاصي والذنوب كقوله صلى الله عليه وسلم [اجتنبوا السبع الموبقات] وسميت الكبائر موبقات لأنها تهلك صاحبها

فالناس على صنفين في خروجهم من بيوتهم لطرائقهم المختلفة .. منهم من كان خروجه لطاعة الله فيكون أعتق نفسه ومنهم من غامر في الذنوب فيكون ممن أهلك نفسه

فهذا الحديث من أجمع الأحاديث التي جمعت فضائل الأعمال وكل عمل فيه ذكر فضله عند الله .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن ينفعنا بما علمنا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

شرح كفاية المتعبد

وتحفة المتزهد للمنذري

للحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه اللّه

من الدرس الرابع إلى الدرس السادس

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٣/١٨ هـ

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ..

المتن..

يقول الحافظ عبدالعظيم بن عبد القويّ المنذري

[ما جاء في فضل الصلاة لأول الوقت]

٩- [روى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني . متفق عليه]

الشرح..

قال المصنف رحمه الله ما جاء في فضل الصلاة لأول وقتها ،الصلاة في أول الوقت هو من المسارعة في الخيرات والمسابقة إليها وهذا من صفات المحسنين ولهذا جاء في النصوص حث على ذلك وترغيب فيه وأن يكون من عناية المرء بهذه الصلوات الخمس التي افترضها الله عليه في اليوم والليلة أن يبادر إلى أدائها في أول وقتها إلا ما جاء استثناءه : كالإبراد لصلاة الظهر عند اشتداد الحر وكتأخير العشاء إذا لم يكن في ذلك مشقة وإلا الأولى والأكمل والأتم أن يبادر المرء ويسارع لأدائها في أول الوقت وهذه الفضيلة وهي أداء الصلاة في أول وقتها دل عليها دلائل منها هذا الحديث الذي ذكر المصنف رحمه الله

قال[سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز وجلّ]

وهذا السؤال ونظائره عنه كثيرا ما يتكرر على النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة وهذا من حرصهم رضي الله عنهم على العناية بفضائل الأعمال ومعرفتها والعمل بها من علو همتهم وعظيم رغبتهم كانوا يسألون عن أحب الأعمال إلى الله عن العمل الذي يقرب إلى الجنة ، كثيراً ما كانوا يسألون عن ذلك

رضي الله عنهم ومثل هذه السؤالات المتكررة من الصحب الكرام تدل دلالة بينة على عظيم فضل وشرف هذا العلم ،

العلم بفضائل الأعمال وأنه علم تتوافر هم الصادقين على معرفته والدراية به لأنه من أكبر المعونة على العناية بالعمل والحفاظ عليه ولهذا كان هؤلاء الرعيل المبارك رضي الله عنهم يعنون عناية عظيمة بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن فضائل الأعمال وعن أفضل الأعمال وعن أي الأعمال أحب إلى الله سبحانه وتعالى

قال رضي الله عنه [أي العمل أحب إلى الله عز وجل]

وهذه السؤالات من الصحابة رضي الله عنهم مبنية على عظيم الرغبة في العمل والتقرب إلى الله ليست سؤالات لمجرد السؤال ، ولهذا ينبغي على المسلم أن يتنبه إلى أمر السؤال وأن يكون قراءته للكتب وأن يكون سؤاله عن فضائل الأعمال من أجل هذا المقصد وليعمل بها كما كان الصحاب الكرام رضي الله عنهم كذلك.

قوله [أي العمل أحب إلى الله عز وجل] وهذا فيه إثبات صفة المحبة لله عز وجل واعتقاد ذلك والإيمان به وأن الأعمال متفاضلة وليست على رتبة واحدة في الفضل. قال [أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة على وقتها]

وهذا موضع الشاهد من الحديث وأورده رحمه الله شاهداً على فضل الصلاة في أول الوقت و الحديث الذي ساقه في ذكر فضائل الأعمال وأحبها إلى الله هو في فضيلة الصلاة على وقتها ومن المعلوم أن من صلى الصلاة في أول الوقت أو وسطه أو في أخرها يكون قد أدى الصلاة في الوقت وجاء بالواجب فمن أين أخذ المصنف وغيره من أهل العلم دلالة هذا الحديث على فضيلة الصلاة في أول الوقت

قال ابن رجب رحمه الله و رأيت من أحسن من بين ذلك بياناً وافياً وذلك في كتابه

فتح الباري –شرح صحيح البخاري–

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في بيان وجه دلالة الحديث على فضيلة الصلاة لأول الوقت قال [لأن على للظرفية "الصلاة على وقتها" والأفعال الواقعة في الأزمان المتسعة عنها لا تستقر فيها] الآن

الصلاة وقتها متسع هناك أول الوقت وهناك أوسط الوقت وهناك آخر الوقت فالأفعال الواقعة في أوقات متسعة لا تستقر في الوقت كله لابد أن يكون أدائها إما في أول الوقت أو وسطه أو أخره فلا تستقر فيها ثم قال [فلا تستقر فيها بل تقع في جزء منها إما في أول الوقت أو وسطه أو في أخره لكنها اذا وقعت في أول ذلك الوقت فقد صار الوقت كله ظرفاً لها حكماً ولهذا سمي المصلي في أول الوقت في حال صلاته وبعدها مصلياً] فمن صلى أول الوقت حكمه في وسط الوقت وفي آخره أنه مصلي يستمر الحكم له في وسط والوقت وآخره .. مثلاً من صلى الظهر في أول وقتها فهو في وسطه وآخره مصليا ، في أوله حقيقةً وفي وسطه وآخره حكما ، [وأما قبل الفعل في الوقت فليس بمصلي] يعني اذا صلى في أخر الوقت أو وسطه هل يُعد في أول الوقت مصلياً لا ليس بمصلي، نعم وجب عليه أداء الفرض لكنه لم يصلي بعد ، إضافةً إلى ما في ذلك من المسارعة الى الخيرات والمبادرة اليها ، وهذا الحديث استدل به غير واحد من أهل العلم على فضيلة الصلاة في أول وقتها منهم الحافظ المنذري رحمه الله في هذا الكتاب

قال[قلت: ثمَ أي؟ قال بر الوالدين]

الأمر الأول في جواب النبي صلى الله عليه وسلم جاوب بالصلاة أعظم الحقوق وأهم فروض الدين بعد التوحيد ، فبين أول شيء أعظم حقوق الله على عباده بعد التوحيد

والجواب الثاني ذكر صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بحقوق العباد وأعظمها وهو حق الوالدين وهذا الحق قرنه الله بحقه في آيات عديدة قال الله تعالى ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾ ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا ﴾ ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾ قرن حقه بحق الوالدين و هذا يدل على أهمية وعظم هذا الحق ومن أعظم حقوق العباد

بر الوالدين هو التعامل معهم بالإحسان والبر قولاً وفعلاً .. القول بأن يقول لهما قولاً لينا والدعاء لهما بالخير والرحمة والمغفرة ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ والفعل بخفض الجناح للوالدين و معاملتهم بالمعاملة الكريمة اللائقة بمقامهما العظيم

إذا قال قائل ما الحد الجامع لبر الوالدين ؟ الجواب يعرفه المرء في نفسه وذلك بأن يقدر نفسه الوالد : لو كنت والداً ما المعاملة التي تحب أن يعاملك أولادك بها ؛ كذلك افعل مع والديك كما تحب أن تعامل به إن كنت أنت الوالد قال عليه الصلاة والسلام "وأن تأتي للناس الذي تُحِب أن يؤتى إليك"

هذا حقيقة البر بالوالدين وجماع الأمر فيه ، أن يعاملهم بما يحب أن يعامل فيه قولا وفعلا

قال [قلت :ثم أي؟ قال : الجهاد في سبيل الله]

في سبيل الله أي طلباً لإعلاء كلمة الله .. لان القتال حتى قتال الكفار يختلف الناس فيه منهم من يقاتل حميّة ومنهم عصبيّة ومنهم من يقاتل سمعة حتى يقال قوي ، ولا يكون شيء من ذلك في سبيل الله إنما من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا هذا هو الجهاد في سبيل الله " والجهاد ذروة سنام الاسلام " كما جاء في الحديث..

والجهاد لا يكون نائلا صاحبه ثواب وفضل المجاهدين الا اذا قام على الاخلاص للمعبود و المتابعة للرسول لأنه قد يقع من بعض الناس أموراً يسمونها جهاداً وهي ضرب من ضروب الفساد وليست من الجهاد في شيء ..

فالجهاد عبادة عظيمة و في بعض صوره فرض عين ، وبعض صوره فرض كفاية ' إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين '

قال [قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني]

هذا فيه أدب الصحابة رضي الله عنهم في تعاملهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ورفقهم به فلم يكثر الأسئلة عليه ثم أي.. ثم أي.. ثم أي .. وإنما اكتفى بثلاثة وفي الوقت نفسه أشار إلى السخاء الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في البيان والنصح والدلالة إلى الخير فالسخاء كما أنه يكون في المال فإنه يكون أيضاً في العلم والنبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس وأعظمهم سخاءً ولهذا وصفه رضي الله عنه لو استزدته لزادني لأنه سخي عليه الصلة والسلام.

[ما جاء في فضل الجماعة]

١٠- [روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسةٍ وعشرين جزءا " متفق عليه

١١- [و روى عبدالله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة " متفق عليه

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى: وعامة من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قالوا: خمساً وعشرين ، إلا ابن عمر فإنه قال :بسبع وعشرين ،

قلت واختلف العلماء في تأويله فقيل: الدرجة أصغر من الجزء

والفذ : المنفرد المصلي وحده]

الشرح..

المراد بالجماعة أي أداء الصلاة المكتوبة جماعة في بيوت الله التي أذن الله أن تبنى و تقام ليذكر فيها اسمه وتقام فيها الصلاة [في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال ❁رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة] قف عند قوله رجال هكذا قال ، انظر: قال رجال فالرجولة في أفضل حللها وأبهى صورها أن يقف مع الرجال في بيوت الله الخمس صلوات حيث ينادى بها وليست الرجولة أن تقام الصلاة ويجلس مع أهله أو زوجه أو ولده أو يصلي في بيته متخلفا عن الصلاة التي أوجب الله عليه أن يذهب للمسجد إذا نودي إليها .. وصح في الحديث" من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر" وقوله صلى الله عليه وسلم " لقد هممت أن آمر برجل يصلي بالناس ثم أخالف إلى أقوام بحزم من حطب فأحرق عليهم بيوتهم "

يعني لا يشهدون الصلاة مع الجماعة وهذا دليل على أن ترك أداء الصلاة مع الجماعة مع القدرة من كبائر الذنوب لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يهم بتحريق البيوت الا من أمر كبير أمر ليس بالهيّن وجاءت أدلة على وجوب أداء الصلاة المكتوبة على الرجال جماعة في بيوت الله فالمصنف رحمه الله عقد

هذه الترجمة لبيان فضيلة الصلاة المكتوبة في الجماعة وساق حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما في الدلالة على فضل الصلاة مع الجماعة روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسةٍ وعشرين جزءا " متفق عليه

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة "

قوله [أفضل من صلاة الفذ]

والفذ فسره المصنف رحمه الله المنفرد المصلي لوحده

ثم نقل [عن أبو عيسى الترمذي رحمه الله وعامة من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قالوا خمساً وعشرين إلا ابن عمر فإنه قال بسبع وعشرين]

والذي جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما صحيح ثابت وهو لا يعارض الروايات التي جاءت بذكر الخمس والعشرين بل هي ليست متعارضة

والمصنف رحمه الله أشار إلى [اختلاف العلماء في تأويله]

يعني في الجمع بين رواية خمس وعشرين ورواية سبع وعشرين فذكر خلافاً في تأويله

[فقيل الدرجة أصغر من الجزء]

لان في حديث ابن عمر قال سبع وعشرين درجة وفي حديث أبي هريرة خمسةٍ وعشرين جزءا **فقيل** الدرجة أصغر من الجزء وهذا القول الذي أشار إليه في الجمع بين الروايتين هو من أضعف ما قيل في الجمع بينهما **لأنه** جاء في الصحيحين سبع وعشرين درجة وأيضاً خمس وعشرين درجة فاختلف القدر مع اتحاد لفظ الدرجة فيهما فلفظ الدرجة ثابت في الصحيحين في الخمس والعشرين درجة والسبع والعشرين ..

لكن ذكر العلماء أقوال في الجمع .. منها أن القليل داخل في الكثير لا يعارضه .

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أولاً الخمس والعشرين ثم أُعلم فيما بعد أن الثواب يبلغ سبع وعشرين فذكر ذلك ومنها أن الاختلاف في الثواب يختلف في حال المصلين جماعة والمصلين جماعة ليسوا على درجة واحدة في الثواب لاختلاف حالهم في الصلاة فالحاصل أن الخمس والعشرين والسبع والعشرين كلها ثابتة ولا تعارض كما نبه على ذلك أهل العلم

وهذه الفضيلة لاشك أن فيها حفز للهمم على العناية بأداء الصلاة جماعة واذا تأملت في النصوص التي تتعلق بصلاة الجماعة تجدها على نوعين نوع جاء بالترغيب بذكر الفضل والثواب وعظيم الجزاء وعظم المثوبة على من يؤدي الصلاة جماعة . والنوع الثاني جاءت بالترهيب والتخويف لان أداء الصلاة جماعة على الرجال واجب ولهذا جاء في النصوص ترهيب وتخويف وتهديد لمن لا يحافظ عليها جماعة .

[ما جاء في ركعتي الفجر من الفضل]

١٢- [روى سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها " انفرد به مسلم] في بعض النسخ روى سعيد والصواب سعد

١٣- [وروت عائشة رضي الله عنها قالت: " ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من النوافل أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر" متفق عليه]

الشرح..

قال رحمه الله ما جاء في ركعتي الفجر من الفضل .

المراد بركعتي الفجر أي النافلة التي قبل فريضة الفجر وهذه النافلة ورد في عظيم فعلها وجزيل ثوابها عند الله نصوص منها هذا الحديث الذي ذكره أولاً حديث عائشة رضي الله عنها

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"

واذا كانت ركعتا الفجر النافلة خير من الدنيا وما فيها فماذا تكون فريضة الفجر وفي الحديث القدسي قال الله [ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه] ولهذا من يكرمه الله ويمن عليه بأن

يؤدي هذه الصلاة العظيمة الفجر والنافلة قبلها فقد أوتي خيراً عظيما وكانت فاتحة مباركة له في يومه وكانت هذه النافلة والفريضة سبباً لحفظه في كل يومه وكفاية الله له في كل حاجاته وهمومه

وقد جاء في الترمذي وغيره بسندٍ ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قال " يا ابن ادم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره"

قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد نقلاً عن شيخه شيخ الاسلام ابن تيميه (قال الأربع الركعات هما سنة الفجر وفريضة الفجر) فمن وفق لأداء هذه الصلاة النافلة والفريضة في أول النهار كفي في يومه كله وكان في حفظ الله وفي ذمة الله أيضاً كما جاء في الحديث .. وتأتي هذه الصلاة ؛ الفجر فرضها ونفلها في أول النهار وباكورة اليوم فمن وفق لأدائها فقد أخذ بزمام اليوم مثل ما قال أحد السلف (يومك مثل جملك إن أمسكت أوله تبعك أخره) فمن أدى هذه الصلاة سلم في يومه وكفي في يومه وحفظ في يومه .. فشأنها عظيم جدا فنافلة الفجر ذكر عليه الصلاة والسلام فضلها وعظيم ثوابها وما ادّخره الله سبحانه لأهلها من أجور أنها خير من الدنيا وما فيها

وأورد رحمه الله [حديث عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من النوافل أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر]

وهذا فيه عظيم العناية بهاتين الركعتين ركعتي النافلة قبل الفجر ومن عظيم عنايته صلى الله عليه وسلم بها أنه ما تركها في حضر ولا سفر وهذا مما يدل على عظيم هاتين الركعتين قبل الفجر .

نسأل الله العظيم أن يوفقنا لحسن إقامة الصلاة اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد ..

يقول الحافظ عبدالعظيم بن عبد القويّ المنذري

[ما جاء في فضل المحافظة على الفجر والعصر]

١٤- [روى أبو بكر بن عمارة بن رؤيبة عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها " يعني الفجر والعصر الحديث انفرد به مسلم]

١٥- [وروى أبو بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من صلى البردين دخل الجنة " متفق عليه

والبردان : الفجر والعصر

وقال عليّ بن المديني : أبو بكر راوي هذا الحديث هو ابن عمارة . ابن . رؤيبة . والصحيح أنه ابن أبي موسى]

الشرح..

الفجر والعصر من الصلوات الخمس التي افترضها الله على عباده فيجب المحافظة على الصلوات الخمس كلها لكن هاتين الصلاتين العظيمتين خصتا بالذكر في نصوص كثيرة منها هذا الحديث الذي ذكره رحمه الله لما فيهما من المشقة على كثير من النفوس

أما الفجر فتأتي بعد الراحة والسكون والرغبة في البقاء على الفراش ولذة النوم فيشق على كثير من النفوس للقيام من هذه اللذة لأداء هذه الطاعة العظيمة

وأما العصر فإنها تأتي في قوة العمل الدنيوي والمصالح الدنيوية واستكمال أعماله في يومه قبل وقت الراحة والنوم فهاتان الصلاتان خصتا بالذكر ومزيد الفضل وعظيم الثواب لما فيهما من هذه المشقة على النفوس .. فمن وفق للمحافظة عليهما فهو بإذن الله محافظ على بقية الصلوات ؛ بمعنى المحافظة على هاتين الصلاتين مع ما فيهما من مشقة على العبد فيه معونة للعبد على بقيّة الطاعات ، فمن وفق للمحافظة عليهما فقد وفق للمحافظة على غيرهما من الصلوات ، بل إن محافظته على بقية الصلوات من باب أولى إذا كان قد حافظ على هذا الّذي هو أشق

وأورد رحمه الله في هذا الموضع فيما يتعلق بالمحافظة على الفجر والعصر حديثين..

الأول حديث أبو بكر بن عمارة رضي الله عنه عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول [لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها]

يعني الفجر والعصر وقوله [لن يلج النار] أي لن يدخلها وهذا فيه ما في الصلوات والمحافظة عليها من الحجاب لصاحبها من النار وأن المحافظ على الصلوات المعتني بها لن يلج النار وكما قدمت خصت هاتان الصلاتان بالذكر لأنه المحافظ عليها فمحافظته على غيرها من الصلوات من باب أولى . قوله [صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها] يعني الفجر والعصر فالفجر قبل طلوع الشمس و العصر قبل غروبها .

وأورد رحمه الله حديث أبي بكر الأشعري عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم [من صلى البردين دخل الجنة] والبردان الفجر والعصر وتسمى البردين لانهما يأتيان في برد النهار أوله وآخره .. الفجر تأتي في برد النهار في أول النهار والعصر تأتي في برد النهار في آخر النهار لهذا سميتا بالبردين

والمراد بالصلاة في هذا الحديث والحديث الذي قبله أي المحافظة والمداومة عليها يعني من حافظ عليها وكان مداوم عليها دخل الجنة وهذا فيه أن المحافظة على هاتين الصلاتين موجب لدخول الجنة والحديث الذي قبله فيه أن المحافظة عليهما موجب للنجاة من النار

وفي هذا الحديث والذي قبله فيه إشارة إلى أن دخول الجنة إنما يحصل بعد الايمان بهذه الصلوات ومن أعظمها شأناً الفجر والعصر فمن لم يصلي فليس بمسلم ولا يدخل الجنة وإنما يدخل في النار وهذا كما هو متقرر في السنة فهو كذلك متقرر في القران

قال الله عن الكفار الذين يدخلون النار ﴿ ما سلككم في سقر﴾ يعني أي سبب كان هذا الدخول للنار ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ هذا أول جواب يجيبون به فالصلاة عماد الدين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " وقال عليه الصلاة والسلام " من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ يوم القيامة "

[ما جاء في صلاة الضحى]

١٦- [روى أبو الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني حبيبي بثلاث لا أدعهن ما عشت : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وبأن لا أنام حتى أوتر] انفرد به مسلم]

١٧- [وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال " أوصاني خليلي بثلاث : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أرقد " متفق عليه]

١٨- [وروى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدةٍ صدقة وكل تهليلةٍ صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويُجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى " انفرد به مسلم واتفقا على نحوه من حديث أبي هريرة

وقوله : كل سلامى' أي كل عظم ومفصل ' وأصله عظام الكف والأكارع]

الشرح..

صلاة الضحى صلاة مباركة عظيمة جاءت نصوص كثيرة عن نبينا صلى الله عليه وسلم في الحث عليها والترغيب فيها وبيان عظيم ثوابها، وتسمى بصلاة الضحى لانها تُصلى في هذا الوقت الذي هو

الضحى ووقتها يبدأ من انتهاء وقت النهي عن الصلاة بعد الفجر إلى ما قبيل وقت الزوال بقليل وهو أيضا وقت نهي ،

بعد طلوع الشمس مباشرة هذا وقت نهي إلى أن ترتفع ، اذا ارتفعت الشمس زال وقت النهي وبدأ وقت الضحى وأيضاً قبل زوال الشمس بقليل عندما تكون الشمس في كبد السماء حتى تزول هذا وقت نهي ، فوقت الضحى ما بين النهيين – النهي الذي بعد طلوع الشمس والنهي الذي قبيل زوال الشمس – فما بين النهيين هذا كلّه وقت صلاة الضحى ، فوقتها متسع **لكن أفضل ما تكون هذه الصلاة** عند اشتداد حرارة الشمس في منتصف الضحى حينما ترمض الفصال كما سيأتي في الحديث الذي يذكره المصنف رحمه الله ، بعد أن تطلع الشمس هذا وقت نهي إلى أن ترتفع قليلا قيد رمح فإذا ارتفعت وهو في حدود الربع ساعة تقريبا وأيضا قبل الزوال بحدود ربع ساعة هذا وقت نهي ، فبعد انتهاء وقت النهي الذي هو من طلوع الشمس إلى ما قبل دخول وقت النهي الذي هو قبل الزوال بقليل هذا كله وقت نهي أفضل ما تكون هذه الصلاة عند اشتداد حرارة الشمس في منتصف الضحى حينما ترمض الفصال

وصلاة الضحى ركعتان وكلما زاد أفضل، أربع أو ست أو ثمانية كلما زاد أفضل لكن أقل شيء ركعتان .

أورد حديث أبو الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني حبيبي بثلاث لا أدعهن ما عشت : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وبأن لا أنام حتى أوتر] انفرد به مسلم]

[وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال " أوصاني خليلي بثلاث : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أرقد " متفق عليه]

هذان الحديثان فيهما أن وصية النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الثلاث .. صيام ثلاث أيام من كل شهر وسنّة الضحى وصلاة الوتر.. وصية متكررة أوصى بها غير واحد من أصحابه وحث بها وهذا من الدلائل على عظم هذه الوصية

قال [أوصاني بصيام ثلاثة أيام من كل شهر]

هذا له شأن عظيم جداً وأثر بالغ وثوابه عند الله عظيم من كان مواظبا على صيام ثلاثة أيام من كل شهر كأنه صائم حياته كلها لأنه قال صلى الله عليه وسلم " صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر " لان من فضل الله الحسنة بعشر أمثالها فاذا صمت ثلاثة أيام من كل شهر كأنك صمت الشهر لان الحسنة بعشر أمثالها ولهذا كثرت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الترغيب في صيام ثلاثة أيام من كل شهر ولك صيامها في أول الشهر أو وسطه أو آخره ولك أن تصومها متفرقة المهم أنك تواظب عليها .

قوله [وصلاة الضحى]

أي وأوصاني بصلاة الضحى وهذا فيه فضيلة هذه الصلاة لان النبي صلى الله عليه وسلم وصى بها .

قوله [وبأن لا أنام حتى أوتر]

وهذا فيه فضل صلاة الوتر والمحافظة عليها وصلاة الوتر أفضل ما تكون آخر الليل " اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وتراً " ولهذا يحمل هذا الحديث كما ذكر العلماء على من كان لا يتيسر له أن يقوم آخر الليل فليوتر قبل أن ينام لكن إن كان يتيسر له القيام آخر الليل يجعل وتره آخر الليل .

قول أبو هريرة رضي الله عنه [أوصاني خليلي]

قوله خليلي هذا لا يعارض ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلا " فالممتنع أن يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم هو خليلاً له من أصحابه رضوان الله عليهم ،،

أما أن يُتخذ هو خليلاً ، أي يتخذه أصحابه خليلاً أو غيرهم لم يأتي ما يمنع منه ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه " أوصاني خليلي " .

ثم أورد رحمه الله في فضل صلاة الضحى حديث أبي ذر رضي الله عنه [يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة]

كل يوم اذا أصبحت واستيقظت في هذا الصباح اذكر نعمة الله عليك بهذه المفاصل المتحركة في كل أجزاء بدنك ولولا منة الله عليك بحركة هذه المفاصل لما استطعت أن تقوم من فراشك وأنت ترى في المستشفيات من المرضى لا يستطيع أن يقوم لان مفاصله لا تتحرك فالمفاصل التي تتحرك في جسمك ثلاثمائة وستين مفصلا كل مفصل منها له حركة تخدمك في جانب من جوانب حركتك ، هذه نعمة عظيمة جدا تستوجب شكر المنعم كل صباح ، وكل صباح تذكر هذه النعمة تقوم بمرونة ومفاصل لينة تقوم تنهض تمد يدك تمد قدمك تتقلب في أي جهة هذه نعم عظيمة ينبغي أن يذكرها المرء كل صباح ويشكر المنعم وجاء في صحيح مسلم أنه قال صلى الله عليه وسلم [خلق الانسان على ستين وثلاثمائة مفصل كل مفصل عليه صدقة] وهذا هو معنى ما جاء في هذا الحديث يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس كل يوم متكرر شكر الله على نعمة هذه المفاصل

وهنا لابد ننتبه لأمر هذه المفاصل اذا قمت في الصباح وتذكرت نعمة الله عليك بها فلتحذر أشد الحذر أن تحرك هذه المفاصل في أمرٍ يسخط الله ويغضبه لان هذا مضاد تمام المضادة لشكر المنعم لان من شكر المنعم على هذه المفاصل أن لا تستعملها في أمرٍ يسخط المنعم بها . قال [يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة] جاء في بعض الروايات [كل يوم تطلع فيه الشمس] يعني أن هذه الصدقة مطلوبة منك كل يوم تطلع فيه الشمس مطلوب منك شكر الله على هذه المفاصل

ثم ذكر الناصح الأمين عليه الصلاة والسلام أبواب الصدقة ثلاثمائة وستين أتصدق بها كل يوم، كيف يأتي بها الانسان خاصة اذا انصرف الذهن إلى أن الصدقة صدقة المال فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن باب الصدقة باب واسع جداً

قال [كل تسبيحة صدقة وكل تحميدةٍ صدقة وكل تهليلةٍ صدقة وكل تكبيرة صدقة] وبدأ بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل بدأ بهذه الأربع التي هي أحب الكلام الى الله كما في الحديث الصحيح " أحب الكلام الى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر " بدأ بها تدليلاً على أن هذه الأربع أعظم الصدقات التي تتصدق بها أيها العبد على نفسك فكلما سبحت تصدقت ، نفسك محتاجة للأجور فلا تحرمها من هذه الصدقات ، سبحان الله هذه صدقة والحمد لله صدقة والله أكبر صدقة ولا إله الا الله صدقة ولهذا كثير من الموفقين من عباد الله ممن يكرمه الله بصلاة الفجر والأذكار

التي بعد الصلاة كذلك أذكار الصباح ثم يكرمه الله بركعتين الضحى يكون بإذن الله قد أدى شكر نعمة هذه المفاصل

وانتبه الى هذه الفائدة من وفق الى شكر الله على هذه المفاصل من أول اليوم

بالتسبيح والتحميد والاذكار وغيرها – لان المذكور في الحديث من باب التمثيل لا من باب الحصر– فإنه يحفظ لك يومك كله ويبارك الله لك في يومك كله .

قال [فكل تسبيحة صدقة] أي قول سبحان الله صدقة

وقوله[وكل تحميدة صدقة] أي قول الحمد لله صدقة

وقوله [وكل تهليلة صدقة] أي قول لا اله الا الله صدقة

وقوله [كل تكبيرة صدقة] أي قول الله أكبر

وقوله [وأمر بالمعروف صدقة أو نهي عن المنكر صدقة]

من تأمره الى معروف وترشده الى فضيلة وتدله الى خير هذه صدقة عليك حتى لو لم يقبل وردّ وصيتك له بعنف فالصدقة حصلت .

قال [ويجزئ]

ضبطت بالضم [يُجزئ] من الإجزاء ،

وضبطت بالفتح [يَجزئ] بمعنى يكفي يعني يكفي في تحقيق هذه الصدقات التي تبلغ ثلاثمائة وستين عدد المفاصل.. [يجزئ من ذلك] يعني يكفي ويُجزئ أي من الإجزاء

[يجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى] وهذا فيه فضل صلاة الضحى وينبغي على المسلم أن يحرص عليها ويحافظ عليها وأقلها ركعتان وفيها من الفضل أنها تجزئ عن ذلك يعني عن الصدقات المطلوبة منك بعدد المفاصل .. وانما كانت هذه الصلاة تجزئ عن ذلك كله لان فيها عبودية لكل المفاصل ، كل مفاصلك تحركت سجوداً وركوعاً وذلاً وخضوعاً عبودية لله

[ما جاء في عدد صلاة الضحى]

قد تقدم أنها ركعتان

١٩- [وروت معاذة عن عائشة رضي الله عنها قالت" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله " تفرد به مسلم

٢٠- [وروى عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: ما أخبرني أحدٌ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى إلا أم هانئ فإنها حدثت : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فصلى ثماني ركعات ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود " متفق عليه]

الشرح..

قال [ما جاء في عدد صلاة الضحى] قال [تقدم أنها ركعتان] في أخر حديث ساقه قال "ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى"

وأورد حديث عائشة رضي الله عنها " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله " وكذلك الحديث الذي بعده .. قول أم هانئ أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فصلى ثماني ركعات ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود "

أفاد ذلك أن صلاة الضحى أقلها ركعتان وكلما زاد فهو حسن إن صلاها أربع فهو أفضل وإن صلاها ست فهو أفضل وإن صلاها ثمان فهو أفضل ، هو باب نافلة مطلقة أقلها ركعتان ولا حد لأعلاها وكلما زاد فهو أفضل .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه .

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد..

يقول الحافظ عبدالعظيم بن عبد القويّ المنذري

[ما جاء في الصلاة عند ارتفاع الضحى واستحرار الشمس]

٢١- [روى القاسم بن عوف الشيباني أن زيد بن أرقم رأى قوماً يصلون من الضحى فقال:' أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " صلاة الأوابين حين ترمض الفصال " انفرد به مسلم

والأوّاب: قيل هو الكثير الرجوع إلى الله ، وقيل المطيع ، وقيل المسبح ، وقيل الراحم وقيل الفقيه

وقوله " ترمض " بفتح التاء والميم وضاد معجمه : هو احتراق أظلافها بالرمضاء عند ارتفاع الضحى واستحرار الشمس

والرمضاء – ممدودة – : الرمل إذا استحرّ بالشمس

والفصال : جمع فصيل وهو صغار الإبل]

الشرح..

لا يزال الحديث عن صلاة الضحى وقد مر ما يتعلق بفضلها وعظيم ثوابها وعددها وأن أقلها ركعتان وأما حدها الأعلى ليس هناك حد ، يصلي ما شاء وما تيسر إن شاء صلى أربعاً أو ستاً أو ثمان أو يزيد على ذلك ليس هناك حد في أعلاها .. وفي هذا الموضع يبين أفضل وقت لصلاة الضحى ؛

لأن وقت الضحى وقت متسع يبدأ من طلوع الشمس وارتفاعها بقدر رمح **والمراد بقدر رمح** أي فيما يراه الناظر ببصره وقدره العلماء رحمهم الله بربع ساعة من طلوع الشمس فمن بعد ذلك يبدأ وقت صلاة الضحى وينتهي وقت هذه الصلاة عندما تكون الشمس في كبد السماء قبل زوالها بقليل وأيضاً قدر بربع ساعة أو ثلث ساعة قبل الزوال فصلاة الضحى وقتها قبل النهيين النهي الذي بعد طلوع الشمس والنهي الذي قبل زوال الشمس فالوقت الذي بين النهيين هو وقت صلاة الضحى.

ووقتها متسع إن شاء صلاها في أول الوقت وإن شاء صلاها في وسطه وإن شاء صلاها في أخر الوقت

وفي هذا الموضع يبين رحمه الله أفضل وقت تصلى فيه صلاة الضحى وهو الذي جاء في الحديث

قال [حين ترمض الفصال]

أي تشتد حرارة الشمس ويصبح للشمس حرارة في الأرض فالرمضاء هو الرمل الذي احتر بالشمس .. وقدّر العلماء هذا الوقت في المنتصف بين أول وقت الضحى وآخر وقت الضحى – فأول وقتها بعد طلوع الشمس بربع ساعة وآخر وقتها قبل الزوال بربع ساعة – فالأفضل لصلاة الضحى هو في منتصف الوقت بين هاذين الوقتين ويقدر بالساعة في حدود الساعة العاشرة أو بعدها بقليل هذا أفضل أوقات الضحى وكما قلنا هي تصلى فيما تيسر للإنسان في أي وقت لها –في أول الوقت أو وسطه أو آخره –

وأورد رحمه الله هذا الحديث

[أن زيد بن أرقم رأى قوماً يصلون من الضحى فقال:' أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " صلاة الأوابين حين ترمض الفصال "

كأنه والله أعلم رأى أناساً يصلون الضحى في أول الوقت فنبه على الأفضل أي أن العمل الذي يقومون به عمل صحيح وجائز وهو أداء صلاة الضحى في وقتها لكن ثمة ما هو أفضل من ذلك وهي أن تصلى حين ترمض الفصال وهي صلاة الأوابين

[صلاة الأوابين حين ترمض الفصال]

والفصال كما بيّن جمع فصيل وهو صغار الابل الذي يفطم عن الرضاعة من أمه يسمى فصيل . والجمع فصال هذا الصغير من الابل تؤثر فيه الرمضاء أكثر، يحس بها أكثر من الكبير يحس بها في أظلافه

وقوله [حين ترمض الفصال]

بينه بقوله احتراق أظلافها بالرمضاء عند ارتفاع الضحى واستحرار الشمس يعني أن يكون للشمس حرارة وحرارتها يحسها المرء في الرمل .. والرمل بدل أن يكون بارداً يصبح حاراً – واذا أصبح الرمل حاراً يسمى بالرمضاء– لأنه احتر بالشمس فذاك الوقت هو أفضل أوقات أداء هذه الصلاة وهو في منتصف وقت الضحى

قوله [صلاة الأوابين]

ذكر أقوالاً عديدة لأهل العلم في معنى الأواب ..

[قيل هو الكثير الرجوع الى الله وقيل هو المطيع وقيل المسبح وقيل الراحم وقيل الفقيه]

وكل هذه الأقوال التي ذكرها متقاربة في معنى الأواب ؛ لان الأوابين جمع أواب وهو صيغة مبالغة من آب ، وآب الى كذا أي رجع اليه ، فالأواب هو الرجّاع الى الله كثير الرجوع الى الله والانابة اليه توبة وانابة واستغفاراً وملازمة لطاعة الله وعناية بالذكر والتسبيح والعناية بالتفقه بدين الله ، فهذه المعاني كلها

التي ذكرها داخلة في معنى الأوبة الى الله ، فالأواب من أعماله .. ما جاء في هذا الحديث و صلاة الضحى حين ترمض الفصال

فالحاصل أن هذا الحديث فيه فضل صلاة الضحى في هذا الوقت حين اشداد الشمس في الضحى

وفيما يتعلق بصلاة الإشراق وقد جاء فيها أحاديث "من صلى الغداة- يعني الفجر- في جماعة وجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كان كحجة وعمرة تامة تامة تامة " وحسّنه غير واحد من أهل العلم هذه الصلاة - صلاة الاشراق - هي من صلاة الضحى وهي صلاة للضحى في أول وقتها، واذا وفق المرء وصلى في المسجد الفجر في جماعة وجلس في مصلاه ، ومصلاه ، قيل مصلاه: أي المسجد الذي صلى فيه ، وقيل في مصلاه: أي المكان الذي صلى فيه ..

جاء في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه " أن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح لم يتحرك من مكانه حتى تطلع الشمس" فالأصل في هذه السنة بقاء المرء في مصلاه أي مكانه الذي صلى فيه واذا كان انتقل من مكانه لحلقة علم يحتاج إليها تفقها وتبصراً في دين الله فالمرجو أن الثواب باقي وثابت باذن الله .. وإلا الأصل يبقى في الموضع الذي صلى فيه حتى تطلع الشمس فاذا ارتفع الشمس قدر رمح يصلي ركعتين وصلاة هاتين الركعتين الأمر فيها واسع سواء صلاها في المسجد أو صلاها في بيته ولعلها في بيته أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم "صلاة الرجل في بيته أفضل إلا المكتوبة ".

[ما جاء في الصلاة قبل الظهر وبعدها]

٢٢- [روت أم حبيبة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار " أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح]

الشرح..

في هذا الموضع يذكر رحمه الله ما يتعلق بالصلاة أو النافلة الراتبة القبلية والبعدية للظهر قبل الظهر وبعدها ..

وأورد رحمه الله حديث أم حبيبة رضي الله عنه قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار"

وهذا فيه عظم الفضيلة والثواب لمن وفقه الله للمحافظة على أربع قبل الظهر وأربع بعدها صلاة الراتبة يواظب عليها كل يوم يصلي قبل الظهر أربع وبعد الظهر أربع ومن حافظ عليها حرمه الله على النار.

[ما جاء فيمن صلّى في يوم ثنتي عشرة ركعة]

٢٣- [روت أم حبيبة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة " انفرد به مسلم]

الشرح..

ثم بين في هذا الموضع ما يتعلق بفضل السنن الرواتب التي هي سنن للصلوات الخمس المكتوبة ، وعدد هذه السنن محصاة في هذا الحديث . اثنتي عشرة ركعة .

وهذه الاثنتي عشرة ركعة ؛ هي السنن الرواتب لان الحديث قد رواه الترمذي بنحو ما رواه مسلم وزاد فيه زيادة توضح أن هذه سنن رواتب **فزاد فيه** قال (أربعاً قبل الظهر وثنتين بعدها وثنتين بعد المغرب وثنتين بعد العشاء وثنتين قبل صلاة الفجر) فهذه ثنتي عشرة ركعة ومن وفقه الله فحافظ عليها وواظب عليها في اليوم والليلة – وهي متصلة ومتعلقة بالصلوات الخمس – بنى الله له بيتاً في الجنة

وحديث أم حبيبة رضي الله عنها هذا فيه أن السنة البعدية للظهر ركعتان وحديثها الأول "من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها" فيه أن السنة البعدية للظهر أربع والحديثين كل منهما ثابت ولا تعارض بين الحديثين بل كما قال العلماء رحمهم الله أن ذلك محمول على التوسعة في ذلك وأن الراتبة البعدية لها أقل وأكثر فمن أتى بالأقل حصّل أصل السنة ومن آتى بالأربع حصل الأكمل والأفضل ، وعليه فإن المسلم ينبغي أن يحرص على أن يصلي بعد الظهر ركعتين يواظب عليها وإن زاد وجعلها أربع ركعات فهذا أكمل وأفضل

الآن اذا تأملنا وسيأتي معنا ما يتعلق بصلاة الليل وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة اذا تأملنا في هذه الصلوات وتأملنا عدد ما يواظب عليه المسلم في لياليه وأيامه عندنا الصلوات المكتوبة سبع عشرة ركعة ، أضف لها اثنتي عشرة ركعة التي جاءت في حديث أم حبيبة رضي الله عنه يكون المجموع تسع وعشرين ركعة أضف لها صلاة الليل إحدى عشر ركعة يكون المجموع أربعين ركعة هذه الأربعين ركعة ينبغي للمسلم المحافظة عليها وصلاة الليل يحرص على مواظبتها إحدى عشرة ركعة وإذا فاتته صلاة الليل صلاها من الضحى حتى تتم له هذه المواظبة على الأربعين . يقول شيخ الاسلام " فكان مجموع صلاة الفريضة والنافلة في اليوم والليلة نحو أربعين ركعة " وقال ابن القيم " فهذه أربعون ركعة ورده دائماً الفرائض وسننها وقيام الليل والوتر"

الفرائض سبعة عشرة ركعة ، وسننها اثنتي عشرة ركعة وقيام الليل والوتر إحدى عشرة ركعة وقال رحمه الله –وتأمل كلامه الأخير– وهو في زاد المعاد قال " فينبغي على العبد أن يواظب على هذا الورد دائماً إلى الممات فما أسرع وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة " والله المستعان .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما وأن يصلح لنا شأننا كله ولا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

شرح كفاية المتعبد

وتحفة المتزهد للمنذري

للحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه اللّه

من الدرس ٧ إلى الدرس ٩

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٣/٢٥ هـ

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد..

يقول الحافظ عبدالعظيم بن عبد القويّ المنذري رحمه الله

[جامع ما جاء في صلاة الليل]

٢٤-[روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل " انفرد به مسلم]

الشرح..

هنا المصنف يورد الأدلة فيما يتعلق بصلاة الليل ؛ وصلاة الليل هي أحب الصلاة إلى الله بعد الصلاة المكتوبة وذلك أن القيام بين يدي الله خضوعاً وتذللاً ورجاء وطمعا في جوف الليل ، بحيث يتجافى جنب المرء في المضاجع طمعاً وخوفاً رجاء ما عند الله فإن ذلك من أعظم القرب وأجل الطاعات ؛ لان النفس مائلة للراحة والبقاء في الفراش، فاذا وفق العبد ليقف بين يدي ربه يرجو ما عند الله فهذا من أعظم القرب وأفضل الصلاة بعد المكتوبة .

وأورد رحمه الله جملة من الأحاديث بدأها بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم " أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الحرام وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل "

هذا فيه فضل الفرائض وعلو شأنها وتقدمها في الفضل على النوافل وأنه ما تقرب متقرب بمثل ما افترض على عباده ولهذا لما ذكر صيام النفل جعله بعد الفرض ولما ذكر صلاة النفل جعلها بعد الفرض ولهذا جاء في الحديث القدسي " وما تقرب إلي عبدي بشي أحب مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" فالتقرب إلى الله بالنوافل يكون بعد المحافظة على فرائض الاسلام دون تعطيل لها.

ولهذا قال بعض أهل العلم : من حافظ على الفرائض وكانت مقدمة على النوافل فهو معذور أما من كانت محافظته على النوافل على حساب الفرائض فهو خاسر فهو بين مغرور أو مغبون .

فينبغي على المسلم أن تكون محافظته وعنايته على الفرائض مقدمة على النوافل . وأعظم النوافل في الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ، وأعظم النوافل في الصلاة بعد الصلاة المكتوبة صلاة الليل كما جاء في الحديث ..

قال ابن حجر رحمه الله نقله عن بعض أهل العلم قال " من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور "

٢٥- [وروى أبو هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليل طويل فارقد فاذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة واذا توضأ انحلت عنه عقدتان فاذا صلّى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " متفق عليه "

قوله " يعقد الشيطان" : اختلفت العلماء في تأويله ، فقيل: هو مثل و استعاذة من عقد بني ادم .

تعليق الشيخ: (قال " قيل هو مثل واستعاذة " هذا لا معنى له ؛ وإنما هي "مثل و استعارة " بدل استعاذة)

وقيل: بل هو على ظاهره وأن الشيطان يفعل من ذلك نحو ما يفعله السواحر من عقدها ونفثها

وقوله " قافية أحدكم" أي قفاه ، ومنه قافية الشعر وهو أخر البيت]

الشرح..

هذا الحديث أورده رحمه الله في الحث على قيام الليل وقد أورده غير واحد من أهل العلم في هذا الباب – باب الحث على قيام الليل–

قال [يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم]

وهذه العقد التي يعقدها الشيطان على القافية والقافية هي مؤخرة الرأس وهي عقد حقيقية

قوله [يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد]

هذه العقد عقدها الشيطان لتمنع النائم من النهوض للصلاة والذكر فهي عقود تثبط المرء وتثنيه وتكسّله عن القيام إلى طاعته فهو يضرب ثلاث عقد كلها مثبطة عن النهوض والقيام ولا يفك العقد إلا نهوض المرء مستعيناً بالله مبتدئاً أول ما ينهض بذكر الله مثنياً بالوضوء مثلثاً بالصلاة فاذا حصلت هذه الأمور الثلاثة انفكت عنه هذه العقد .

قوله [يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم]

هو على عمومه إلا ما دل الحديث على استثنائه من ذلك وهو الذي ينام على ذكر الله متحصناً بقراءة القرآن والأذكار المأثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فإن من كان كذلك لا يقربه شيطان ولا يزال من الله عليه حافظ فمن قرأ أية الكرسي عندما يأوي الى فراشه وقرأ الاخلاص والمعوذتين ونفث ومسح على بدنه كما جاء في الصحيح وجاء بالأذكار المشروعة كانت أذكاره حصنا حصين له وحرزا واقياً من الشيطان الرجيم قال الله (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين) أي أن الذاكر لا سبيل للشيطان إليه

وقال الله (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)

قال بعض المفسرين: " إن عبادي" أي الذين يذكرون الله

" ليس لك عليهم سلطان" أي ليس لك عليهم سبيل

فالذاكر لله في حصن حصين يكون حافظا واقياً له بإذن الله من الشيطان الرجيم

قوله [يضرب على كل عقدة ليل طويل فارقد]

هذا يوضح أن المقصد من العقد هو تثبيط المرء عن النهوض القيام لطاعة الله

قال [فاذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة واذا توضأ انحلت عنه عقدتان فاذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس]

هذا فيه أن نهوض المرء وقيامه لأداء طاعة الله ومناجاته في جوف الليل من موجبات فك العقد ومن موجبات قوة القلب ونشاط الروح والبدن ولهذا من موجبات قيام الليل راحة القلب ونشاط البدن وسعادة القلب في الصباح كلها من فوائد وثمرات قيام الليل كما قال صلى الله عليه وسلم فأصبح نشيطاً طيب النفس .

قوله [وإلا أصبح خبيث النفس كسلان]

يعني اذا استمر ولم ينهض يكون من موجبات خموله وكسله وأيضاً من خبث النفس بل اذا استمر المرء حتى يصبح يكون ذلك من موجبات بول الشيطان في أذنه بولا حقيقياً كما صح ذلك في الحديث ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم رجل نام حتى أصبح " قال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه" والمراد بال في أذنه بولاً حقيقياً

مثل ما عبر به أحد من السلف قال : يتخذ الشيطان أذنه كنيفاً له .. يعني مرحاضاً له ؛ يبول فيه ومن هذا الذي يرضى أن تكون أذنه كنيفاً للشيطان ومكان لبول الشيطان..

وهذا يبين فضل الطاعة عامة وأهمية الصلاة خاصة فرضها ونفلها وأنها من الأسباب التي تقي العبد من الشيطان .

والعلماء رحمهم الله اختلفوا في المراد بالصلاة هنا التي ينهض لها العبد .. هل هي الفرض التي هي صلاة الفجر، أم النفل التي هي قيام الليل على قولين لأهل العلم في معنى هذا الحديث وما من شك أن قيام الليل والنهوض في جوف الليل ولا سيما ثلث الليل الأخر من أعظم موجبات السعادة والراحة من بركة المرء في يومه ومن أعظم موجبات قرة العين وراحة البال هذه كلها آثار عظيمة ومباركة يجنيها لمن يوفقه الله لقيام الليل .

قال [اختلفت العلماء في تأويله] أي تأويل يعقد الشيطان

[فقيل هو مثل واستعارة]

يعني ليست عقد حقيقية هذا قول وإنما هي تمثيل واستعارة من عقد بني ادم وهذا الكلام الباطل لا يصح لان القاعدة عند أهل السنة وينبغي أن تضبط أن الأمور الغيبية تمر كما جاءت ويؤمن بها كما وردت دون صرفها عن ظاهرها ، وأما تأويلها وصرفها عن مرادها والزعم أنها تمثيل و استعارة هذا كله من التخرص والقول في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا علم .

قال [وقيل بل هو على ظاهره]

هذا هو الحق والحق أن الأمور الغيبية التي يخبر بها صلى الله عليه وسلم يؤمن بها على ظاهرها

قال [وقيل بل هو على ظاهره وأن الشيطان يفعل من ذلك نحو ما يفعله السواحر من عقدها ونفثها]

وفي القران قال الله (ومن شر النفاثات في العقد) أي السواحر اللاتي يعقدن عقداً ينفثن فيها .

وقوله [قافية أحدكم] أي قفاه

[ومنه قافية الشعر] وهو أخر البيت

٢٦- [وروى مسروق قال : قلت لعائشة : أي الأعمال أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : الدائم قلت: فأي الليل كان يقوم قالت: إذا سمع الصارخ . متفق عليه والصارخ : الديك قاله أبو عبيد الهروي]

الشرح..

أورد رحمه الله هذا الحديث عن مسروق عن عائشة

[قال : قلت لعائشة]

أي أم المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق عائشة رضي الله عنهما

[أي الأعمال أحب إلى رسول الله]

وهذا السؤال من مسروق رحمه الله وهو من علماء التابعين له نظائر كثيرة من الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أي العمل أفضل أو أي العمل أحب وهذا يدل على حرصهم على العمل ومعرفة فضائل الأعمال وأي الأعمال أفضل، وهذا ينبّه طالب العلم أن المقصود من قراءة فضائل الأعمال ليس مجرد الوقوف عليها وإنما الغرض منها العمل بها والقيام بها على الوجه الذي يرضيه سبحانه وتعالى ويفوز بثواب الله " ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الّذي يبصر به ويده الّتي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذ بي لأعيذنّه " فالغرض منها أن تكون معونة له على الاعمال .

قال [أي الأعمال أحب إلى الله قالت الدائم]

وهذا هو أحب العمل إلى الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ" فالدائم هو الأحب ولو كان قليلاً يداوم عليه العبد فقليل دائم خير من كثير يفعله المرء مرة أو مرتين أو ثلاث ثم يملّ وينقطع . فأحب العمل الدائم أي الذي يداوم عليه صاحبه وهذه المسألة مسألة الديمومة في العمل والاستمرار هي من المسائل المهمة في باب الاستقامة على طاعة الله سبحانه وينبغي أن يعتنى في هذا الباب عناية عظيمة لان كثيراً ممن يدخل الاستقامة حديثاً ونفسه مقبلة على الطاعة كل ما سأل شخص عن الأعمال أعطاه كمية من الأعمال فيفعلها كلّها وقت اقبال نفسه على الطاعة ثمّ بعد أسبوع أو شهر يرى أن العمل شاق وثقيل وأنه لا يستطيع أن يصبر عليه فيتركه ؛ وهذا من الجهل في باب الاستقامة .

وباب الاستقامة باب تدرج بالنفس وتمرين لها على طاعة الله سبحانه وتعالى ؛ في أعمال تبقى للمرء يداوم عليها لا أن يفعلها مرة أو مرتين ثم ينقطع عنها ، فأحب العمل الى الله أدومه وإن قلّ

مثلاً قراءة القران ، كون المرء يثبّت له نصف صفحة يواظب عليها يوميا خير له من أن يأتي يوماً واحدا ويقرأ القرآن كله ثم يترك قراءته يحس أنها ثقيلة وتأخذ وقتاً طويلا . وقل مثل ذلك في كل الأعمال فأحب العمل الى الله أدومه وإن قل .

قال [قلت فأي الليل كان يقوم]

سؤاله هنا كما هو واضح سؤال عن الأفضل لأن الليل كله وقت قيام لان النبي صلى الله عليه وسلم كما صح عن عائشة نفسها من كل الليل أوتر من أوله ومن وسطه ومن آخره لكن سؤاله عن الأفضل .

قال [فأي الليل كان يقوم قالت : اذا سمع الصارخ]

الصارخ هو الديك مثل ما قاله أبو عبيد وغيره من أهل العلم،

ماذا يشرع للمسلم أن يقول اذا سمع صوت الديك ؟ يشرع للمسلم أن يذكر الله ، والدّيك يوقظ المسلم . وقبل وجود الأجهزة الحديثة المنبهة كانوا يقومون على صوت الديك ويسمى الصارخ لأنه بعد منتصف الليل وفي حدود الثلث الأخير من الليل يبدأ يصيح فيكون صياحه منبها للناس على أن الليل قد انتصف، وصراخ الديك يبدأ بعد منتصف الليل يعني في حدود ثلث الليل الآخر يعني وقت القيام.

وورد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ معنا يتعلق بفضل الديك فيما يتعلق بهذا التنبيه قال النبي صلى الله عليه وسلم" لا تسبّوا الديك فإنه يوقظ للصلاة" أخذ منه العلماء فائدة ألا وهو فضل أهل العلم ؛ اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن سبّ الدّيك لأنه يوقظ للصلاة فكيف الأمر بالعلماء الذين يوقظون القلوب وينبهون الغافلين ويعلّمون عباد الله ويوضحون لهم الدّين ؛ والإيقاظ الذي يكون من أهل العلم أعظم من الإيقاظ الذي يكون من الديك .. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سبه معللاً النهي عن سبه بأنه يوقظ للصلاة فأخذ العلماء من هذا النهي عن سب العلماء .

٢٧- [وروى عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم " ياعبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل " متفق عليه]

الشرح..

قال [يا عبد الله لا تكن مثل فلان]

الغالب والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمي أحداً لأنه اختلف هنا هل الذي أَبهم الاسم هو النبي صلى الله عليه وسلم أو الراوي أو الرواة عن عبدالله بن عمرو لكن الغالب أن النبي صلى الله عليه وسلم أبهم الاسم ولم يقصد معيناً ، وأبهمه ستراً عليه

والإبهام في مثل هذه الحال أولى من التصريح لأمرين :

الأول : ستراً على الشخص

وثانياً : الأمر الذي عليه قد يتوب منه ولا يستمر عليه قد يقوم الليل.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال [لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل]

هذا فيه التأكيد على المعنى المتقدم أحب العمل الدائم ، وكون المرء يداوم من الليل على ثلاث ركعات أو خمس ركعات خير من كثير ينقطع فهذا الحديث فيه التأكيد على معنى المداومة والاستمرار على العبادة .

٢٨- [وروت عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في شهر رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً فقالت عائشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر قال يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي " متفق عليه]

٢٩-[وروى القاسم قال سمعت عائشة رضي الله عنها تقول " كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر فتللك ثلاث عشرة ركعة " متفق عليه]

الشرح..

ثم ختم رحمه الله بهذين الحديثين .. بذكر عدد الركعات التي كان يركعها النبي صلى الله عليه وسلم من الليل وأنه ما كان يزيد على إحدى عشرة ركعة ووصفت عائشة رضي الله عنها هذه الإحدى عشرة ركعة

[إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً]

فهذه صلاته من الليل وكان يطيل فيها وثبت عنه قولا وفعلا أنه يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين وأيضا أمر بهذا، فالسنة أن يفتتح المرء صلاته من الليل بركعتين خفيفتين ؛ ذكر العلماء الحكمة في ذلك : أنها تنشط المرء وتهيئه للإطالة فيها ثم يطول في الباقي ويختم صلاته من الليل بركعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " اجعلوا أخر صلاتكم من الليل وترا"

وقوله في الحديث الأخير بهذا الموضع [ويوتر بسجدة] أي بركعة .

وبهذا انتهى مايتعلق بصلاة الليل وموضعها في الليل كله من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر هذا كله وقت صلاة الليل حتى لو كان المرء مسافر فقدم العشاء مع المغرب يبدأ معه صلاة الليل من بعد العشاء فالحاصل أن وقت العشاء وقت متسع إن شاء صلّاها في أوله أو وسطه أو أخره لكن لا يفوّت على نفسه هذا الحظ والنصيب من الليل وأفضل وقت لقيام الليل في الثلث الليل الآخر كما مرّ معنا اذا سمع الصارخ وهو وقت التنزل الإلهي –كما جاء في الصحيحين وغيرهما – وهو حديث متواتر عن نبينا عليه الصلاة والسلام قال: " ينزل ربنا في ثلث الليل الأخر وذلك كل ليلة فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له " وهو أحرى أوقات الاجابة وأعظم أوقات الاستغفار

(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون)

وقال تعالى (والمستغفرين بالأسحار).

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد**..

يقول الحافظ عبدالعظيم بن عبد القويّ المنذري رحمه الله

[دعاء الاستخارة]

٣٠- [روى جابر رضي الله عنه قال "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : " إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول اللّهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري (أو قال في عاجل أمري وآجله) فاقدره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري (أو قال في عاجل أمري وآجله) فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته " انفرد به البخاري]

الشرح..

هذا الحديث آخر حديث ساقه المصنف رحمه الله فيما يتعلق بالفضائل المختصة بالصلاة وهذا الحديث فيه هذه الصلاة وهي صلاة الاستخارة ويشرع للمرء أن يأتي بها بين ما يهمه من الأمور وما يقدم عليه من المصالح والحاجيات ولاسيما ما كان يجهل عاقبته ومتردد فيه فيأتي بهذه الصلاة العظيمة المباركة مفوضاً أمره الى الله متوكلاً عليه معتمداً عليه وحده راجياً الخيرة في أمره من ربه "وما خاب من استخار" لان من فوض أمره الى الله فوض أمره إلى من بيده الأمور قال الله "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم "

وهذه الاستخارة التي منّ الله بها على أمة الاسلام جاءت عوضاً لهذه الأمة مما كان عليه أهل الجاهلية من استقسام بالأزلام وزجر للطير وغيرها من الأمور التي كانوا يفعلونها من أجل معرفة ما سيقدمون عليه من أعمال ومصالح هل هي ناجحة أو خاسرة فكانوا يفعلون الأمور الجاهلية من زجر الطير واستقسام الأزلام بناء على ذلك يقدمون أو لا يقدمون ..

فوقى الله أهل الاسلام من هذه الجاهلية فاذا همّ المسلم بأمر وشأن من شؤونه فزع الى هذه الصلاة فيصلي لله ركعتين ملتجئاً إليه ثم دعا عقب الصلاة بهذه الدعوات المباركة العظيمة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم كما يعلمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن مما يدل على شأن هذه الدعوات من جهة وأيضا عظم شأن حفظها بألفاظها الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى فهي دعوات عظيمة ينبغي أن يكون المسلم ذا عناية بها من جهات ثلاثة من جهة حفظ ألفاظها كما وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن جهة فهم معاني هذه الألفاظ ومدلولاتها لان الدعوات المأثورة يقوى أثرها وتكبر فائدتها بحسب فهم المرء لها ومعرفة مدلولها ففرق بين من يدعو بدعاء يفهم معناه ويعقل مدلوله وبين من يدعو بالدعاء نفسه ولا يعقل معناه ولا يدري ماذا يقول ؛ فرق بين أثر هاذين الدعاءين ، الجهة الثالثة مواظبة الانسان على هذه الدعوة بين يدي أموره ومصالحه وحاجاته ولاسيما ما كان متردداً فيه ويجهل عاقبته ولهذا لا استخارة فيما افترضه الله ولا فيما حرمه الله على عباده فالواجب يفعل مباشرة والمحرم يترك مباشرة ومصالح الانسان التي يقدم عليها من سفر ومعاملة وزواج وتجارة فانه يستخير الله بهذه الصلاة العظيمة والدعوات المباركة طالباً منه أن يختار له الخير مفوضاً أمره الى من بيده الأمر وما خاب أبداً من استخار ربه وفوّض أمره لمولاه تبارك وتعالى .

قوله [كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القران]

يعني يعلمهم دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن فإذا كانت السورة من القران مطلوب من المرء المسلم أن يحفظها بألفاظها كذلك هذه الدعوة؛ كان يعلمهم إياها كما يعلمهم السورة بمعنى : أن ألفاظها يجب أن يتقنها المرء و يأتي بها متقنة كما جاءت عن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا مانع في بداية تعلّم المرء لهذه الدعوات إن لم يتيسر حفظها واحتاج أن يستخير لا مانع أن يقرأها من ورقة تكون بيديه حتى يتمكن من حفظ هذه الدعوات المباركة ؛ وعليه أن يحفظ هذه الدعوات كما بين جابر في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الدعوات كما يعلّمهم السورة من القرآن

قوله [يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها]

هذا يبين لنا عموم وشمول هذه الاستخارة العظيمة لأمور المرء ومصالحه التي تهمه ويقدم عليها ولاسيما ما كان منها مجهول العاقبة هل هو نافع أو ضار هل هو مفيد أو غير مفيد هل هو رابح أو خاسر هل هو ناجح أو غير ناجح ؛ فإنه بين يدي هذا الأمر يستخير ربه داعياً بهذه الدعوات المباركة العظيمة .

قوله [اذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين] اذا همّ يعني اذا عزم وأقدم على الأمر من الهم وهو العزيمة على فعل الشيء وليس من الهم الذي هو الغم والحزن وإنما الهم الذي هو العزيمة على الأمر .

قوله [فليركع ركعتين]

جاء في بعض الروايات من غير الفريضة يعني يصلي ركعتين ولا تكون هاتان الركعتان فريضة فاذا كانت سنة راتبة أو تحية المسجد أو أنشأ صلاة ركعتين من أجل الاستخارة المهم تكون غير الفريضة – من غير الصلوات الخمس الذي افترضها الله على عباده– ولم يأتي شيء من روايات الحديث تخصيص قراءة معينة أو سور معينة أو آيات معينة تقرأ في هذه الصلاة وإنما يقرأ ما تيسر .

قوله [فليركع ركعتين ثم يقول ..]

هاتان الركعتان وسيلة إلى الله لإجابة هذا الدعاء وفزع إلى الصلاة بين يدي الدعاء **وهذا فيه أن الصلاة من أعظم الوسائل لإجابة الدعاء** ومن أعظم ما يتوسل به إلى الله لإجابة الدعاء وحصول المطلوب والصلاة صلة بين العبد وبين ربه جل وعلا ويأت هذا الدعاء بعد الفراغ من هذه الصلاة ؛ سواء بعد الفراغ منها وقبل السلام أو بعد الفراغ منها بعد السلام والأمر فيه واسع ؛

والأولى والله أعلم أن يكون بعد السلام لأنه في الحديث فليركع ركعتين ثم يقول فـ " ثم " في مدلولها اللغوي تفيد التراخي عن هاتين الركعتين المأتي بهما قبل هذا الدعاء – فلعل الأقرب والله أعلم أن تكون بعد السلام– وإن أتى بها قبل السلام لا حرج والأمر فيها واسع ؛ بل إن ما قبل السلام من أحرى وأعظم مواقع الدعاء

واذا جاء بها بعد السلام فله أن يرفع يديه وهو يدعو بهذه الدعوة عملاً بعمومات الأدلة منها قول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً" وأيضا الأمر فيها واسع إن رفع اليدين أو لم يرفعهما لكن الرفع أولى وأحرى بالإجابة ، لكن قبل السلام يدعو بلا رفع لأنه ليس موطن رفع في الصلاة لليدين .

قال [اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسالك من فضلك العظيم]

[أستخيرك] السين للطلب أي أطلب منك يا الله أن تختار لي الخير مفوضاً أمري إليك يا الله ويسمي أمر هذا الذي استخار من أجله إن كان زواج أو سفر أو غيره .

[بعلمك] هذا توسل بعلمه الذي وسع كل شيء ؛ علم ما كان وما يكون وما لم يكن ألو كان كيف يكون أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا.

[أستقدرك] أي أطلب منك يا الله أن تقدرني على هذا الأمر وأن تمكنني منه وتهيئه لي على الوجه النافع الصالح الذي فيه المنفعة

[بقدرتك] فيه توسل إلى الله بقدرته ؛ وفي هذا الدعاء مراعاة الصفة المناسبة للمطلوب ؛ فلما سأل الخيرة ناسب التوسل الى الله بالعلم ولما سأل الاقدار و التمكين على الأمر والقدرة عليه توسل الى الله بالقدرة .

[وأسألك من فضلك العظيم] فيه اثبات العبد وإيمانه بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء كما قال سبحانه " وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم "

قوله [فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم] هذا من أعظم الوسائل وهو توسل الى الله بأمرين ..

الأول : إظهار العبد لفقره وعجزه وقلة علمه وضعف حيلته وقلّة بصيرته وأنه لا يعلم ولا يقدر ولا حول له ولا قوة ، هذه عبودية إلى الله بالافتقار وإظهار عجزه وحاجته وجهله فهذا توسّل عظيم من العبد لربّه

الثاني : التوسل إلى الله بقدرته العظيمة وعلمه الواسع وصفاته الجليلة الكاملة ؛ فالعبد يتوسّل بصفات الله العظيمة العلم المحيط والقدرة على كل شيء لا يعجزه شيء سبحانه

قوله [وأنت علام الغيوب] يعني أحاط علمك بكل شيء تعلم خوافي الأمور وبواطنها كعلمك بظاهرها وعلنها ؛ فالسر عندك يا الله علانية والغيب عندك شهادة لا تخفى عليك خافية "سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار" .فعلمه محيط بكل شيء "يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور"

قوله [اللهم إن كنت تعلم] هذا ليس شكا من الداعي في علم الله فكيف يكون شك وقد توسل قبله بعلم الله المحيط وأنه علّام الغيوب أحاط بكلّ شيء علما ؛ فقوله إن كنت تعلم ليس شكا في علم الله وإنما جهل من العبد بمتعلّق علم الله في الأمر المعيّن الذي يطلبه من الله سبحانه وتعالى فهو مفوّض أمره إلى العليم الخبير

قوله [اللهم إن كنت تعلم أن هذ الأمر خير لي]

هذا فيه تفويض الأمر لحصول الخيرة في حاجة العبد ومصلحته التي هو قادم إليها الى الله أنا ضعيف يا رب لا علم لي ولا قدرة ولا حيلة ولا قوة ، أفوض الأمر في مصلحتي هذه –ويسميها– إليك يا الله ..

[أن هذ الأمر] لا يقول الداعي في دعائه –الأمر– وإنما يقول كما جاء في آخر الحديث قال " و يسمي حاجته" يعني إذا وصل إلى جملة –هذا الأمر–

لا يقول – اللّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر–

بل يقول " اللهم إن كنت تعلم أن سفري هذا أو زواجي من فلانة بن فلان خير لي أو مصادقتي لفلان بن فلان ..وهكذا " يسمي حاجته ومصلحته والأمر الذي هو متردد فيه

قوله [خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري]

حتى لو كان أمراً دنيوياً في التجارة أو غيرها سواء تجارة اسأل الله أن يختار لك الخيرة وأن يكون خير لك في دينك لان الأمور الدنيوية اذا وفقك الله واختار لك فيها الخير كانت لك معونة على الدين والطاعة وإن كانت أمور الدنيا خلاف ذلك كانت موجبة للطغيان والانصراف عن طاعة الرحمن .

[ومعاشي] أي مصالحي الدنيوية وحياتي الدنيا.

[وعاقبة أمري] آخرتي ووقوفي بين يديك فسأل الله الخيرة في هذا الأمر ويكون صلاحاً له في دينه ودنياه وآخرته ،

فاجتمع في هذه الأمور الثلاثة ما اجتمع في الدعوة المباركة التي كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم أصلح لي ديني الذي فيه عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي"

فاسأل الله الصلاح في هذه الأمور الثلاثة وهنا في هذه الخيرة اجتمعت هذه الثلاثة الخيرة في الدين والمعاش وعاقبة الأمر

يعني الصلاح في هذه الجهات الثلاث ، يعني الأمر الذي أنت قادم عليه وهو الزواج أو السفر تسأل الله بأن يكون صالحاً لك في الدين والدنيا والأخرة .

قوله [أو قال في عاجل أمري وآجله]

هذا شك من الراوي ولهذا قال من قال من أهل العلم لا يؤتى باللفظتين وإنما يؤتى بلفظة واحدة ، ومن أهل العلم من قال يؤتى بها كلها احتياطاً يعني

تقول مثلاً: "اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي"

أو تقول: "اللهم إن كنت تعلم أن هذ الأمر خير لي في ديني وعاجل أمري وآجله فاقدره لي"

لان قوله " عاجل أمري وآجله" هو محل قوله " معاشي وعاقبة أمري "

وأما سؤال الله الخيرة في أمر الدين تبقى ثم قوله [معاشي وعاقبة أمري] يأتي بها أو يأتي بقوله [عاجل أمري وآجله] وبعض أهل العلم قال يأتي كلها ولا حرج احتياطاً .

قوله [وإن كنت تعلم أن هذا الأمر] يعيد تسميته ؛ (زواجي أو سفري ...)

قوله [شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه] اصرفه عني يعني أبعد هذا الأمر عني وقوله "واصرفني عنه " يعني أبعدني عنه واصرف قلبي وأبعد عن قلبي التعلق به لأنه قد يكون القلب متعلق به وطامع به فيسأل الله الصرف عنه ؛ يصرفه عن قلبه تعلقا وعن نفسه بذلا للأسباب في تحصيله وطلبه

قوله [واقدر لي الخير حيث كان] هذا تفويض الأمر إلى الله الذي يعلم ويقدر وهو على كل شيء قدير أن يقدر للعبد الخير حيث كان .

قوله [ثم رضِني به] هذا مطلب عظيم بعد أن يقدر لك الخير ويحصل ، أحياناً يحصل للعبد الخير النافع ونفسه لا ترضى ، وهو خير عظيم ولا شر فيه ونفسه مع ذلك لا ترضى فتكون نفسة ملتفته لشيء آخر غير مهتمة بهذا الأمر فيسأل الله أن يكتب له الخير وأن يرضيه بالخير أي تصبح نفسه راضية على هذا الخير ؛ وهذا الرضى هو القناعة وهو قناعة العبد بما أتاه الله من خير وهذه القناعة هي الغنى الحقيقي

فهذه دعوة مباركة وعظيمة كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه الكرام رضي الله عنهم كما يعلمهم السورة من القران .

- ختاما لعلّي ألخص شيئا ذكرته وأزيد عليه زيادة يسيرة من حيث العناية بهذه الدعوة

عرفنا أهمية العناية بألفاظها كما جاءت عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فليحرص المرء على حفظها بألفاظها كما وردت ..

فإن كان حافظا لها وعرضت له حاجة يصلي ركعتين ويدعو بهذه الدعوات مستحضرا معانيها من حفظه .. هذه الحالة الأولى وهي **أكمل الحالات**

الحالة الثانية .. ان كان لم يتيسّر له حفظها وعرضت له حاجة وعنده هذه الدعوة بورقة فلا حرج أن يدعو بهذه الدعوة من الورقة لكن لا يجعل هذا طريقة له ومسلك وإنما مرحلة إلى أن يتيسّر له حفظ هذه الدعوات

الحالة الثالثة .. إن كان لا يحفظ هذا الدعاء وليست عنده ورقة يقرأها أو كان غير قارئ فلا يترك الاستخارة ، لا يقول أنا لا أحفظها ولا أقدر أن أقرأها بل إذا عرضت له حاجة يصلي لله ركعتين ويدعو الله بما يتيسّر .. اللهم أفوّض أمري إليك اللهم اختر لي الخير ، اللهم إني أسألك أن تختار لي أو بما يتيسر له من دعاء بهذا المعنى – طلب الخيرة —

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد..

يقول الحافظ عبدالعظيم بن عبد القويّ المنذري رحمه الله

[الباب الثاني في الصيام]

[فضله]

١- [روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله عز وجل كل عمل ابن ادم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه " متفق عليه

وقوله :" فلا يرفث بضم الفاء وكسرها ، أي: لا يأتي برفث الكلام وفحشه ،

قال الأزهري : هي كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ويكون الرفث الجماع ، ويكون ذكر الجماع والحديث به ، وقيل هو مذاكرة ذلك مع النساء

ولا يصخب، الصخب ،:الصياح واختلاط الأصوات ويقال بالسين والصاد ،

وخلوف فم الصائم –بضم الخاء– هو ما يخلف بعد الطعام في الفم من ريح كريهة].

الشرح..

يقول الحافظ عبدالعظيم المنذري رحمه الله [الباب الثاني في الصيام]

يعني هذا الباب الثاني في فضائل الأعمال وهو فضل الصيام ، والصيام من القرب العظيمة والطاعات الجليلة وهو سر بين الصائم وبين ربه تبارك وتعالى وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم ورغب فيه وبيّن عظيم أجره وما فيه من تكفير للذنوب ورفعة للدرجات

وفي هذا الباب جاءت أحاديث كثيرة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ساق المصنف رحمه الله طرفاً منها .

بدأ بحديث أبي هريرة في فضل الصيام ، وهذا الحديث من أجمع الأحاديث المروية عن نبينا صلى الله عليه وسلم في ذكر فضل الصيام وفوائده فإنه حديث جامع لفضائل عظيمة وفوائد كثيرة يجنيها الصائمون

وهو حديث قدسي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى قال صلى الله عليه وسلم

[قال الله عز وجل " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام] أي جميع أعمال بني آدم لابن آدم [له] أي لابن آدم للعامل .

قال [إلا الصيام] انظر هذه الفضيلة للصيام ما أعظمها وما أكبر شأنها حيث اختص الله الصيام من بين سائر الطاعات بقوله الا الصيام فإنه لي .

قال [وأنا أجزي به] العبادات كلها يجزي الله بها ويثيب عليها صاحبها لكن هذا تنبيه لما في الصيام من خصوصية عظيمة ومكانة رفيعة وثواب مضاعف ولهذا في رواية الحديث عند مسلم في كتابه الصحيح جاء بلفظ قال النبي صلى الله عليه وسلم "كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به "

أعمال العبد وطاعاته المتنوعة مضاعفة الثواب، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ثم استثني الصيام

" قال الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به "، قيل لهذه الخصوصية للصيام بأن المضاعفة له فوق ذلك بأضعاف كثيرة وبغير حساب لان الصيام صبر عظيم والصابر يوفّى أجره بغير حساب وقد جمع الصيام أنواع الصبر الثلاثة .. الصبر على الطاعة و الصبر عن المعصية والصبر على أقدار الله المؤلمة

بل صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمّى شهر رمضان شهر الصبر لما بين الصيام والصبر من صلة وثيقة "صيام شهر الصبر و ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر" فسماه شهر الصبر،

فالصيام له خصوصية عظيمة في الصبر، الصبر على طاعته والصبر عن معصيته والصبر على أقداره تبارك وتعالى المؤلمة إضافة لما فيه من تهذيب للنفوس وتزكية للقلوب وتقوية للإيمان وتحقيق للتقوى قال الله (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)

قال [قال الله كل عمل ابن ادم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به] عرفنا أن قول الله الا الصيام فإنه لي يفيد خصوصية عظيمة للصيام من بين سائر الطاعات والعبادات لان الله شرف هذه العبادة بهذا الاختصاص

قال [والصيام جنّة] والحديث جمع بين الحديث القدسي والحديث النبوي يعني ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أثناء حديثه هذا من كلام الله وهو حديث القدسي وذكر أيضاً فيه من كلامه هو فيما يبلغه عن ربه تبارك وتعالى .

[والصيام جنّة] وهذا ثمرة عظيمة من ثمار الصيام وفائدة كبيرة من فوائده العظيمة أنه جنة ؛ ومعنى جنة : أي وقاية وستر ، جنة للصائم من الآثام والذنوب وجنة له من النار وسخط الجبار .. وكل من الأمرين مترتب على الآخر فإن اتقاء العبد للذنوب ومباعدته عنها واجتنابه لها موجب لوقايته من النار وسلامته من سخط الجبار .. فالصيام جنة للعبد من هذا وهذا ؛ فالصيام جنة له من الذنوب لما فيه من تزكية للقلب وتهذيب للنفس وتربية على الفضائل ومعونة للنفس على البعد عن الرذائل وأيضاً جنة من النار وسيأتي معنا ما في الصيام من المباعدة وأن " من صام يوماً لله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا "

ولعله والله أعلم لهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما وجّه إليه الشباب

قال " من استطاع منكم الباءة فليتزوج فمن لم يستطع فعليه بالصيام فإن له وجاء " أي واقي ، وما في الصيام من تهذيب وتزكية وتطييب للقلوب أعظم وقاية للعبد من اقتراف الذنوب وارتكابها لاسيما من يصوم ويفقه الصيام ويعمل على تحقيق ما في الصيام من تربية لنفسه ، فإنه اذا صام يوماً عن طعامه وشرابه وشهوته قربة لربه وطاعة لمولاه ورجاء ثوابه وخوفاً من عقابه فإنه يعينه صيامه الذي هو في النهار على الصيام الدائم الذي لا يختص بنهار ولا ليل ولا يختص بشهر دون شهر أو يوم دون يوم وإنما هو صيام دائم مطلوب من المسلم في لياليه وأيامه وشهوره وأعوامه وأوقاته كلها إلى أن يتوفاه الله وهو الصيام عن المحرمات وهذا الصيام واجب وهو مستمر ودائم ،

هناك صيام للسمع و هناك صيام للبصر واليد والقدم واللسان صيام دائم مطلوب من العبد يصوم لسانه عن الكلام المحرم وقدمه عن المشي الى الحرام وبصره عن الحرام وسمعه عن الحرام ، والصيام فرضه ونفله الذي يكون عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الشمس الى غروبها معونة للعبد على الصيام الدائم لأنه يمرّن النفس ويدرّبها على لزوم طاعة الله والانتهاء عما حرم الله وانظر هذا في حديثنا هذا كيف أن الصيام يربي ويهذب قال [والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم] وهذا فيه التنبيه على ما في الصيام من التهذيب والتربية وأن الصائم ينبغي أن يستغل صيامه على تهذيب نفسه وتمرينها على الفضائل وترك المحرمات .

كما قال صلى الله عليه وسلم [إذا كان يوم صوم أحدكم] أي خذوا هذا اليوم مأخذ الاهتمام فلا يمر مرور عادي بحيث تشرع مع الصيام بتهذيب النفس

قال [فإن سابه أحد أو قاتله] فإن سابه أحد أي بدأه بالمسابة واللعن والشتم أو المقاتلة والاعتداء فليدفعه بهذه الكلمة

[فليقل إني صائم] وقول هذه الكلمة في هذا المقام مفيد من جهتين : مفيد للصائم نفسه أن يذكِر نفسه أنه في صيام وأن الصيام مقام رفيع ؛ أرفع من أن يخوض وهو صائم في مخاصمة ومقاتلة ، ومن جهة أخرى لهذا الذي يقاتله يقول له إني صائم حتى يذكره بهذه العبادة وشرف العبادة التي هو عليها ليحترمها ويبعد عن أذية من هو مشتغل بها ثم يقسم نبينا عليه الصلاة والسلام بالله في بيان فضيلة من فضائل الصيام

قال [والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك] خلوف فم الصائم المراد به الرائحة الكريهة التي تنبعث من جوفه ومن فمه ولاسيما آخر النهار، وهذه الرائحة مستكرهة عند الناس أطيب عند الله من ريح المسك . لان هذه الرائحة تولدت من عبادة عظيمة محبوبة لله عظيمة الشأن عند الله ومر معنا قول الله في الحديث " والصيام لي " فهذا الأثر الذي ترتب وتولد عن هذه العبادة الجليلة شأنه عند الله كما أخبر صلى الله عليه وسلم مقسما بالله أنه أطيب عند الله من ريح المسك .

قال [وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه]

فالصائم له فرحتان؛ فرحة في الدنيا وفرحة في الأخرة ؛ الفرحة التي في الدنيا عقب الصيام يفرح أنه أتم هذه العبادة وأكملها وجاء بها تامة فاهو أتم صيامه وأفطر فيفرح بها بفطره ؛ وفرحه بفطره لأمرين الأول : لإتمام العبادة التي وفقه الله لإتمامها وإكمالها

الثاني : لتناوله هذا الذي أباحه الله له على إثر صيامه وعن حاجة لطعامه وقد اشتد به العطش والجوع وهو صابر محتسب فاذا أفطر يفرح بفطره ويفرح بإتمام العبادة فهذا فرح دنيوي والفرح الأخروي يفرحه يوم يلقى الله بما يناله على الصيام من أجر وثواب جزيل يوفّاه الصائم يوم القيامة يناله بغير حساب .

ثم ذكر المصنف رحمه الله شرحاً لبعض ألفاظ الحديث

قال [فلا يرفث بضم الفاء وكسرها أي لا يأتي برفث الكلام وفحشه]

لا يرفث : أي عليه أن يبتعد وقت الصيام عن الكلام الفاحش والبذيء وهذا الفحش والبذاءة مطلوب من المسلم أن يجتنبه في كل حين لكن الأمر في الصيام أعظم والاجتناب في الصيام أوثق وأوكد .

قال الأزهري – وهو صاحب كتاب تهذيب اللغة وهو من أحسن الكتب وأجودها في هذا الباب وصاحبه إضافة لإمامته في اللغة إمام في السنة والمعتقد–

[هي كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة]

يعني الجماع ومقدمات الجماع يشمله هذا اللفظ الرفث.

قال [ويكون الرفث الجماع]

قال الله " أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم "

قال [ويكون ذكر الجماع والحديث به]

عندكم ذلك وهو تصحيف مطبعي قوله ويكون أي الرفث ذكر الجماع والتحدث به

قال [وقيل هو مذاكرة ذلك مع النساء]

أي مذاكرة المرء ذلك مع أهله وهذه المذاكرة له تهيجه وتثيره هذا ما قيل في معنى الرفث .

قال [ولا يصخب : الصخب : الصياح واختلاط الأصوات]

أيضاً هذا اللجج والأصوات العالية ورفع الصوت كما أنه منهي عنه في كل وقت " واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير "كما أنه منكر في كل وقت إلا أنه في وقت الصيام أشد نكارة وقوله لا يصخب يقال بالسين والصاد يعني لا يسخب ولا يصخب ولفظ الحديث في مسلم بالسين لا يسخب .

قال [وخلوف فم الصائم بضم الخاء هو ما يخلف بعد الطعام في الفم من ريح كريهة]

وهذه الرائحة مستقذرة عند الناس لكن مر في ذكر ثوابها عند الله أنها أطيب عند الله من ريح المسك .

٢- [وروى سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن في الجنة باباً يقال له الريان لا يدخل منه الا الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق ، فلم يدخل منه أحد " متفق عليه

قوله باب الريان واختصاص الصائمين به قيل هو مشتق من الريّ لما ينال الصائم من العطش فسمي هذا الباب بما أعد فيه من النعيم المجازى به على الصوم]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث ؛ انظر لهذا التشويق النبوي

[إن في الجنة باباً يقال له الريان] عرّفهم أولاً أن في الجنة باباً يقال له الريان وما من شك أن السامع الناصح لنفسه اذا سمع ذلك تشوقت نفسه إلى معرفة موجب الدخول من هذا الباب ويسمى بالريان ، وسمي بهذا من الري ضد العطش، وقد أعده الله للصائم من جنس عمله لما عطّش نفسه لله وطلبا لثوابه جزاه الله بالدخول من باب الري ؛ الباب الذي يسمى الريان خص به أهل الصيام ولا يدخل منه الا الصائمون

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم خصوصه بهم مرتين

قال: لا يدخل منه الا الصائمون ، ثم قال :لا يدخل معهم أحد غيرهم هذا تأكيد للمعنى الأول وأنه باب خاص بهم .

قال [يقال أين الصائمون فيدخلون منه] يدعون للدخول من هذا الباب .

قال [فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد]

ولفظ البخاري " فإذا دخلوا أغلق " وهذا فيه تأكيد اختصاص هذا الباب للصائمين .

قال المصنّف [باب الريان واختصاص الصائمين به ، قيل: هو مشتق من الري لما ينال الصائم من العطش فسمّى هذا الباب بما أعد فيه من النعيم المجازى به على الصوم]

وهو جزاء من جنس العمل كما أنه عطّش نفسه في صيامه طلباً لمرضات ربّه جازاه الله من جنس عمله فأدخله من هذا الباب المبارك –جعلنا الله بمنه وكرمه من الداخلين من هذا الباب–

٣- [وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا " متفق عليه، والخريف السنة]

الشرح..

ثم ختم فضائل الصيام عموماً بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا]

انظر هذه الفضيلة للصيام ما أعظمها في هذا الحديث صيام يوم واحد يباعد له وجهه عن النار سبعين خريفا فكيف من وفق وأكثر منه وتخصيص الوجه بالذكر لشرف الوجه وإذا حصلت المباعدة للوجه فهي حاصلة للبدن كلّه ؛ لكن خص بالذكر لشرف الوجه ،

والخريف: أي السنة يعني يباعد وجهه عن النار سبعين سنة وهل العدد مفهوم أم لا مفهوم له ويراد به التكثير أي باعده مباعدة شديدة عن النار .. من أهل العلم قال هذا العدد له مفهوم؛ أي له مراد . ومنهم من قال لا مفهوم له وإنما المراد به التكثير ولاسيما ما كان منه هذا العدد السبعين والسبعمائة

ونحو ذلك لكثرة ذكره عند العرب ويراد به التكثير ومنه قول الله تعالى " إن تستغفر لهم سبعين مرة" .

وقوله [في سبيل الله] اختلف أهل العلم في المراد بقوله في سبيل الله، فمن أهل العلم من قال أن المراد بقوله في سبيل الله : أي الجهاد والمعنى أن من صام يوماً في الجهاد وهو مجاهد . ولهذا أورد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح في كتاب الجهاد ، فمن أهل العلم من يرى أن المراد **بقوله** في سبيل الله يعني من صام في الجهاد في سبيل الله ، وأيضاً قالوا إنه محمول على عدم التضرر، تضرر المرء بذلك وأن لا يؤثر على نشاطه في الجهاد وقتال العدو أما اذا كان يؤثر على القتال ومقاتلة العدو ونشاطه فإنه مطلوب منه الفطر حتى يتقوى على مقاتلة الأعداء فهذا محمول على ما لم يكن سبباً في إضعافه وإضعاف قوته على مجاهدة الأعداء ، **والقول الأخر** أن المراد بقوله في سبيل الله أي في طاعة الله والتقرب إليه وطلب ثوابه ومن أهل العلم من قوّى هذا القول في معنى هذا الحديث ؛

نقل لي أن الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله يقوّي هذا القول – لم أقف عليه في شيء من كتبه فلعلّ الأخوة يبحثون عن ذلك ويتحفوننا من كتب الشيخ مباشرة سواء مما جمع من فتاواه أو مصنفاته[1] .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

(1) قوّى هذا القول الشيخ ابن باز في شرحه لعمدة الأحكام .

شرح كفاية المتعبد

وتحفة المتزهد للمنذري

للحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه اللّه

من الدرس ١٠ إلى الدرس ١٢

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٣/٢٩ هـ

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أما بعد..

يقول الحافظ المنذري –رحمه الله – في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[ما جاء في صوم المحرم]

٤– [روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرّم " انفرد به مسلم]

الشرح..

لا نزال في الباب الثاني من أبواب هذا الكتاب وهو يتعلق بفضائل الصيام

وهنا يذكر المؤلف صيام التطوع وتفاضل الصيام وأن الصيام ليس على رتبة واحدة بل بعضه أفضل من بعض وأفضل الصيام صيام رمضان الذي افترضه الله على عباده وما تقرب متقرب بشيء أحب الى الله مما افترض ، كما في الحديث القدسي "وما تقرّب إليّ عبدي أحب مما افترضته عليه " ثم الصيام النفل وهو صيام التطوع جاءت السنة بأنواع منه ، منها ما يتعلق بأيام في الأسبوع ومنها ما يتعلق ببعض الأيام من الشهر ومنها ما يتعلق ببعض الأيام من السنة وهذا التطوع ليس على رتبة واحدة بل بعضه أفضل من بعض وبدأ رحمه الله بما جاء في صيام المحرم وأورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرّم " وهذا فيه أن صيام شهر الله المحرّم هو أفضل صيام التطوع كما أن صلاة الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة، والمحرّم لا يصام كاملاً بل إن النبي صلى الله عليه وسلم كما صحّ عن عائشة رضي الله عنها " ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان " لكن شهر الله المحرم يستحب الإكثار فيه من الصيام وهو أفضل الصيام ، والصيام فيه أحب الصيام الى الله بعد رمضان لكنه لا يصام كامل لأن نبينا و قدوتنا ما صام شهرا كاملا غير رمضان

[ما جاء في صيام عاشوراء]

٥- [سئل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء فقال : ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوماً يطلب فضله عن الأيام إلا هذا اليوم - يعني يوم عاشوراء - ولا شهراً إلا هذا الشهر - يعني رمضان - متفق عليه]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله ما يتعلق بيوم عاشوراء وصيام هذا اليوم الذي هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم جاء فيه ثواب عظيم وفضل جزيل ، وصيامه صيام شكر لله

لأن الله أنجى في هذا اليوم العظيم موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه ، أهلكهم مع كثرة عددهم وعدتهم هلاك نفس واحدة أغرقهم أجمعين ؛ فصامه موسى عليه الصلاة والسلام شكراً لله ثم صامه نبينا صلى الله عليه وسلم شكراً لله ، فصيام يوم عاشوراء صيام يوم عظيم وهو شكر لله على هذه النعمة العظيمة وهو هلاك الطاغية ، وهلاك الطغاة من أعظم النعم و أجل المنن ، وموسى عليه الصلاة والسلام صام ذلك اليوم شكراً لله وصامه نبينا صلى الله عليه وسلم شكراً لله وقال النبي صلى الله عليه وسلم " نحن أحق بموسى منهم " أي أحق بموسى من اليهود .

قال : [سئل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء] أي عن فضله

قال[ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوماً يطلب فضله عن الأيام إلا هذا اليوم يعني يوم عاشوراء]

وهذا يدل على مكانة صيام هذ اليوم وقد ورد في فضل صيامه أحاديث عديدة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أيضاً صحّ عنه أنه قال " لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع والعاشر " أما العاشر لأجل فضيلته شكراً لله وأما التاسع لأجل مخالفة اليهود.

قال : [ولا شهرا إلا هذا الشهر] يعني رمضان

٦- [روى أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه فذكر الحديث إلى قوله ، وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال " يكفر السنة الماضية " نفرد به مسلم]

الشرح..

ثم أورد حديث أبي قتادة وذكر طرفاً منه وسيأتي الحديث بتمامه وهنا أقتصر على موضع الشاهد منه في فضل صيام يوم عاشوراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن فضله وفضل صيامه

قال [يكفر السنة الماضية]

يعني يكفر الذنوب التي كانت في السنة الماضية والذنوب هنا هي الصغائر دون الكبائر لأن الكبائر لابد فيها من توبة قال صلى الله عليه وسلم " الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر " ومن المعلوم أن رمضان صيامه أفضل من صيام عاشوراء وغيره من صيام التطوع ، ومع عظمه بيّن أن التكفير الذي يكون بصيام رمضان إنما هو باجتناب الكبائر ؛ يعني الكبائر لابد فيها من توبة الى الله .

[ما جاء في صيام شعبان]

٧-[روت عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان " متفق عليه "

وفي مسلم قالت عائشة رضي الله عنها ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه في شعبان كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان الا قليلا]

الشرح..

ثم أورد ما يتعلق في صيام شعبان وهو الشهر الذي يسبق شهر رمضان وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الصيام في شهر شعبان حتى إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أخبرت أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان كثير الصيام في شعبان حتى قالت

"ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه في شعبان كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان الا قليلا " .

قولها [كان يصوم شعبان كله] اشارة الى كثرة الأيام التي يصومها في شعبان قولها [كان يصوم شعبان الا قليلا]

أي أنه يترك بعض الأيام من شعبان لا يصومها لأنه لم يستكمل صيام شهر قط إلا صيام شهر رمضان .

وهذا الحديث لا يعارض الذي مرّ معنا بأن أفضل الصيام فيما يتعلق بالشهور بعد رمضان صيام شهر الله المحرم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الصيام بعد رمضان قال : "صيام شهر الله المحرم " فإكثاره من الصيام في شهر شعبان لا يعارض كون أفضل الصيام صيام شهر الله المحرم ، وقد ذكر أهل العلم في الجمع بين الحديثين ومنهم النووي رحمه الله في كتابه – شرح صحيح مسلم – ذكر توجيهين في الجمع بين الحديثين ، الأول قال : لعلّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بهذا الفضل المتعلق بشهر محرم الا بعد

التوجيه الأخر : لعل ثمّة مانع حصل للنبي صلى الله عليه وسلم من جهاد أو مرض أو غيره من الأعذار لم يتمكن بسببه من الإكثار من الصيام في شهر الله المحرم لكنه أخبر أن الصيام في شهر الله المحرم أفضل الصيام بعد شهر رمضان

قول عائشة رضي الله عنها [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم]

إشارة منها إلى أنه عليه الصلاة والسلام كان صيامه وفطره معتدلا يعني يصوم حتى يظن أنه لا يفطر ، و يفطر حتى يظن أنه لا يصوم ،

وهذا يدل على الاعتدال والتوازن في الصيام ، وقد أشار إلى هذا المعنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عندما تقالّا نفر عبادته " أما أنا فأصوم وأفطر" أي عبادته في الصيام متوازنة .

٨-[وروى عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل صمت من سرر هذا الشهر شيئا يعني شعبان قال لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه " متفق عليه "

سرر الشهر سراره قال الفراء الفتح أجود ، سرره ثلاث لغات .

قال أبو عبيد : سرار الشهر آخره . وقال غيره هو وسطه وقيل آخره]

الشرح..

ثم أورد حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وهو أيضاً يتعلق بفضل صيام شعبان وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل هل صمت من سرر هذا الشهر شيئا يعني شعبان ،

والمراد بسرر الشهر كما أوضح المصنف رحمه الله هو آخر الشهر ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتقدم رمضان بصيام يوم أو يومين وذلك على سبيل التحري والاحتياط لرمضان أما من كان له صيام فإنه يصومه ، مثل الذي من عادته أن يصوم كل اثنين ووافق الاثنين آخر شعبان أو من عادته الاكثار من الصيام في شعبان فإنه يصوم للعادة التي كان يصومها ، أما من صام للاحتياط لرمضان فإنه لا يجوز وهو معصية للنبي صلى الله عليه وسلم

ولهذا في قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل [صمت من سرر هذا الشهر شيئا يعني شعبان قال لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه]

أخذ منه العلماء مشروعية قضاء التطوع إذا تركه المرء أولم يتمكن من القيام به وأيضاً العلماء رحمهم الله حملوا هذا الحديث على من كانت له عادة وأن هذا الرجل كانت له عادة أن يصوم ذلك الوقت فتركه في ذلك الشهر فأرشده النبي صلى الله عليه وسلم الى قضاء هذا الذي تركه مما هو معتاد على صيامه أن يقضيه بعد شهر رمضان حتى يكون عمله مداوماً على ما مضى عليه من النوافل والسنن

وبين رحمه الله ما يتعلق بسرر الشهر الذي جاء في الحديث

فقال [سَرر الشهر سَراره وسِراره] بفتح السين وكسر السين ، قال الفراء الفتح أجود وبيّن أيضا [أن سرر الشهر أو سرار الشهر يطلق ويراد به آخره وقيل وسطه]

لكن الأظهر أن سرر الشهر أو سراره هو آخر الشهر ،

ووسط الشهر أي أيام وسط الشهر لا يقال أيام استسرار وإنما يقال لها أيام إبدار ؛

لأن سرر الشهر مأخوذ من استتار القمر في آخر الشهر عندما يخفى القمر ولهذا أيام آخر الشهر أيام استستار للقمر وأما وسط الشهر أيامه أيام إبدار وضياء ونور للقمر فالأظهر أن سرر الشهر هو آخره لا وسطه .

[ما جاء في صيام رمضان]

٩-[روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلّقت أبواب النار وصفّدت الشياطين " متفق عليه ،

وقوله صفدت الشياطين : أي غلّت وأوثقت بأغلال الحديد]

الشرح..

ثم أورد ما يتعلق بصيام شهر رمضان وحق ذلك أن يقدّم على صيام التطوع ، لكن ذكره في أثناء كلامه على الأحاديث الواردة في صيام التطوع ، وربما والله تعالى أعلم أنه راعى في الترتيب ؛ ترتيب الشهور محرم ثم شعبان ثم رمضان ثم شوال ثم ذي الحجة ، راعى في ذلك ترتيب الشهور ومع ذلك فإنّ الأولى تقديم رمضان على غيره ، وأورد هذا الحديث عن أبي هريرة في فضل رمضان

قال " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين " وفي الحديث ثلاث فضائل لشهر رمضان

الأولى : تفتح أبواب الجنة الثمانية فلا يغلق منها باب

الثاني : أبواب النار السبعة تغلق فلا يفتح منها باب وهذا فيه دلالة على ما يكون في رمضان من طاعات زاكية وعبادات عظيمة واقبال على طاعة الله

الثالث : وصفدت الشياطين ومعنى هذا يعني غلّت وأوثقت بأغلال الحديد ؛ وتصفيدها يحبسها ويمنعها إلى أن تخلص الى ما كانت تخلص اليه في غير رمضان ، لكن الموثّق بحديد – وهذا المعنى ألمح إليه شيخ الاسلام ابن تيمية – أن الموثق بالحديد قد يحصل منه بعض الشي لكنه لا يتمكن من أن يخلص الى ما كان يخلص اليه في غير إيثاقه بالحديد فقد يحصل منه بعض الشيء ، فالحاصل أن من فضائل رمضان أن الشياطين تصفّد فلا تتمكن من أن تخلص الى ما كانت تخلص اليه في غير رمضان ،

لكن في رمضان تبقى مع الانسان نفسه الأمّارة بالسوء و يبقى أيضا خدم الشياطين وأعوان الشياطين ممن يعملون على تدمير أوقات الناس في رمضان وإضاعتها في الحرام والآثام ولهذا بعض أعوان شياطين الجن من شياطين الإنس يعدّون إعداداً مسبقاً لأمور في رمضان يضيّعون فيها أوقات المسلمين في الحرام والآثام و تهييج الحرام في نفوسهم ،

فالحاصل أن رمضان إذا أقبل على المسلم أن يغتنمه اغتناماً عظيما في نيل الجنّة فأبوابها تفتّح ، والنجاة من النار فأبوابها تغلق في رمضان ، والخلاص من الشياطين فإنها تصفّد في رمضان فيكون رمضان للمسلم باباً عظيما لغفران الذنوب وتحقيق تقوى الله وحسن الإقبال عليه جلّ في علاه .

١٠-[وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " متفق عليه]

الشرح..

ثم أورد هذا الحديث في فضل صيام رمضان ، وأن من صام رمضان ايماناً واحتسابا

قوله " إيمانا " أي إيمانا بالله وبوعده العظيم وما أعده لعباده المتقين .

قوله " واحتسابا " احتسابا للأجر والثواب يرجو بصيام رمضان ثواب الله و النجاة من النار والفوز بالجنّة ونيل رضى الله .

قوله [غفر له ما تقدم من ذنبه] المراد بالذنوب هنا الصغائر دون الكبائر ، الكبائر لابد لها من توبة وقد مر معنا قول النبي صلى الله عليه وسلم " الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر "

[ما جاء في صيام ستة أيام من شوال]

١١-[روى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر " انفرد به مسلم]

الشرح..

ثم ذكر رحمه الله ما يتعلق بفضل صيام ستة أيام من شوال وأورد حديث أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر " وهذا حديث صحيح ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يلتفت إلى من شكك في ثبوته بل هو ثابت صحيح ، وفيه هذه الفضيلة العظيمة الثابتة بإتباع رمضان بستة أيام من شوال

ولا يشترط في هذه الأيام الست أن يؤتى بها متتابعة متوالية ، بل لو صامها متفرقة ، سواء في أول الشهر بعد يوم العيد على التوالي أو متفرقة أوّله ووسطه وآخره ؛ المهم أن يقع صيام هذه الأيام في شوال وذكر عليه الصلاة والسلام هذا الثواب العظيم

قال " من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر "

وذلك أن الحسنة بعشر أمثالها فالسنة ثلاثمائة وستين يوماً فصيام رمضان يعدل ثلاثمائة يوم لأن الحسنة بعشر أمثالها وصيام ست من شوال تعدل ستين يوماً لأن الحسنة بعشر أمثالها .

قوله "كان كصيام الدهر "

يعني المرء كل سنواته على هذه الصفة يصوم رمضان ويتبعه ستاً من شوال فيكون بذلك كأنما صام الدهر لأن الحسنة بعشر أمثالها .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

اللّهم فقِهنا في الدين ووفقنا لاتباع هدي رسولك الكريم صلى الله عليه وسلّم

أما بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[ما جاء في العمل في عشر ذي الحجة]

١٢-[روى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام العشر " فقالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولا الجهاد في سبيل الله تعالى إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء " أخرجه البخاري].

الشرح..

ما زلنا في باب فضائل الصيام وذكر رحمه الله جملة من الفضائل فيما يتعلق بالصيام عموما ، وفيما يتعلق في الصيام في أيام من السنة أو الشهر أو الأسبوع وهنا أورد رحمه الله حديثاً عامّاً في فضل عموم العمل في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة ، وإيراده ذلك في باب فضائل الصيام من أجل أن من جملة العمل الذي يفعل في العشر الأيام الأوائل من ذي الحجة عدا يوم النحر الصيام : فهو من جملة الأعمال الصالحة لان النبي صلى الله عليه وسلم عمّم فقال " ما من أيام العمل الصالح فيهن " فيشمل قوله العمل الصالح الصيام ؛ فهو من جملة الأعمال الصالحة التي يحرص على القيام بها في العشر الأول من شهر ذي الحجة ،

والعشر الأول من ذي الحجة أيامها خير الأيام كما أن العشر الأواخر من رمضان هي خير الليالي ،

فخير أيام السنة العشر الأول من ذي الحجة وخير ليالي السنة العشر الأواخر من رمضان ، وفي العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر وهي خير من ألف شهر وفي العشر الأوائل من ذي الحجة عرفة وهو سيد الأيام وخيرها وأفضلها ،

فالحاصل أن العشر الأول من ذي الحجة أيام فاضلة وعظيمة ومباركة وهي خير أيام العمل الصالح وينبغي للمسلم إذا وفق لإدراكها فعليه أن يستغلها بالعمل الصالح من صيام وصدقة وغير ذلك من الطاعات ،

وأورد رحمه الله حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام العشر "

أي العشر الأول من ذي الحجة

فقالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولا الجهاد في سبيل الله تعالى إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء " أخرجه البخاري]. وهذا اللفظ الذي ساقه رحمه الله تعالى هو لفظ الترمذي رحمه الله في جامعه

أما لفظ البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم [" ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذه "

" يعني العشر الأول من ذي الحجة "

" قالوا : ولا الجهاد . قال : ولا الجهاد إلا رجل خاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء]

والحديث دلّ دلالة ظاهرة على فضل هذه العشر وعظم شأنها وأنها خير أيام العمل الصالح وأن المسلم ينبغي أن يغنم تلك الأيام و يحرص على الأعمال الصالحة ومن جملتها الصيام ولأجل هذا أورده المنذري رحمه الله في الأبواب المتعلقة بفضائل الصيام.

[ما جاء في صيام يوم عرفة وثلاثة أيام من كل شهر ويوم الاثنين]

١٣-[روى أبو قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه : رضينا بالله رباً و بالإسلام ديناً و بمحمد رسولا وببيعتنا بيعة ، قال: فسئل عن صيام الدهر قال: لا صام ولا أفطر أو ما صام وما أفطر، قال : فسئل عن صيام يومين وإفطار يوم قال : ومن يطيق ذلك ، قال : وسئل عن صوم يوم وإفطار يومين قال ليت أن الله عز وجلّ قوّانا لذلك ، قال وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم قال ذاك صوم أخي داود ، قال : وسئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت وأنزل علي فيه ، قال : فقال فصوم ثلاثة أيام من كل شهر ورمضان إلى رمضان صوم الدهر ، قال فسئل عن صوم عاشوراء فقال يكفر السنة " انفرد به مسلم]

الشرح..

ثم عقد هذه الترجمة في جملة من الفضائل جمعها حديث واحد وهو حديث أبي قتادة رضي الله عنه في فضل صيام يوم عرفة وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام يوم الاثنين إلى أيضا جملة من الفضائل الأخرى من الصيام اشتمل عليها هذا الأحاديث

[قال أبو قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه]

أي سأله رجل عن صومه ؛ أي عن صوم النبي صلى الله عليه وسلم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وغضبه عن كراهية لهذه المسألة ، غضب لأنه كره من هذا السائل هذه المسألة ؛ وهو سؤاله عن صيام النبي صلى الله عليه وسلم لأن باب الصيام باب منافسة والناس يتفاوتون فيه تفاوتاً عظيما

وكان الجدير في مثل هذا المقام أن يكون السؤال كم أصوم ؟ ويجيبه بما يناسب حاله لأن باب الصيام باب واسع ، والنبي صلى الله عليه وسلم يطيق من الصيام ما لا تطيق أمته صلوات الله وسلامه عليه وفي الحديث قال " إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين "

فغضب عليه الصلاة والسلام كراهية للمسألة ، فالذي يناسب في هذا المقام أن يقول كم أصوم ، فكره صلوات الله وسلامه عليه مسألته فغضب صلوات الله وسلامه عليه ..

[فقال عمر رضي الله عنه رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا وببيعتنا بيعة]

لما رأى غضب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمات العظيمة الجامعة التي جمعت الدين كله ؛ لان الدين يقوم على هذه الأصول الثلاثة التي ذكرها عمر رضي الله عنه قال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا ؛

وعن هذه الثلاثة يسئل كل إنسان اذا أدرج قبره ؛ فإنّه يأتيه ملكان يقعدانه ويسألانه من ربك وما دينك ومن نبيّك ، ويفوز بصحة الجواب عن هذا السؤال أهل الرضا في هذه الحياة الدنيا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ،

وهذه الكلمات يشرع للمسلم أن يقولها قولا متكررا في أيّامه مع سماعه كل أذان بعد أن يقول المؤذن – أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله – يقول بعد إجابته للمؤذن في هذا التشهد يقول رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا مجددا إيمانه ورضاه بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا

قال [فسئل عن صيام الدهر] يعني يصوم أيامه كلها ولا يفطر ؛ سئل عن ذلك

[فقال لا صام ولا أفطر أو ما صام وما أفطر]

هذا شك من الراوي يعني من يصوم الدهر لا صام ولا أفطر

لم يحصل له ثواب الصيام للمخالفة ؛ مخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم

وفي مثل هذا المقام قال عليه الصلاة والسلام " فإني أصوم وأفطر ومن رغب عن سنتي فليس مني " فلم يحصّل أجر الصوم لأجل المخالفة وما أفطر لأنه أمسك ، فليس هو المفطر وليس هو بالمحصل أجر الصيام لأجل مخالفته ؛ هذا معنى قوله ما صام وما أفطر

[قال : فسئل عن صيام يومين وإفطار يوم قال: ومن يطيق ذلك ، قال: وسئل عن صوم يوم وإفطار يومين قال : ليت أن الله عز وجل قوّانا لذلك ، قال : وسئل عن صوم يوم وإفطار يوم قال: ذاك صوم أخي داود ، قال: وسئل عن صيام يوم الاثنين فقال : ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت وأنزل عليَ فيه]

هذا فيه فضل صيام يوم الاثنين من كل أسبوع ، وذكر أنه يوم ولد فيه عليه الصلاة والسلام ويوم أنزل عليه الوحي ويوم بعثه الله فيه عليه الصلاة والسلام

[قال: فصوم ثلاثة أيام من كل شهر ورمضان إلى رمضان صوم الدهر]

هذا فيه فضيلة المواظبة على صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، ولا يشترط أن يؤتى بها مجتمعة فلو صامها متفرقة أو صامها في أول الشهر أو وسطه أو آخره فإنه يكون حصّل فضيلة صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وسيأتي بيان هذا في حديث عائشة رضي الله عنها

[قال فصوم ثلاثة أيام من كل شهر ورمضان إلى رمضان صوم الدهر]

لأن من يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فإن الحسنة بعشر أمثالها ، ومن صام رمضان مع الثلاثة أيام من كل شهر فكأنما صام الدهر كله كأن حياته كلها أمضاها صائماً وهذا من فضل الله

[قال فسئل عن صوم عاشوراء فقال يكفر السنة]

يعني السنة التي قبلها ويوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ، ومرّت به ترجمة خاصة عند المصنف رحمه الله .

١٤-[وروت معاذة رضي الله عنها أنها سألت عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام قالت نعم فقلت لها من أي الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم " انفرد به مسلم

وقد تقدم في صلاة الضحى حديث أبي هريرة رضي الله عنه " أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر ....." الحديث ؛ وهو متفق عليه

وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه في ذلك وهو من إفراد مسلم]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث [أن معاذة رضي الله عنها سألت عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام قالت نعم فقلت لها من أي الشهر كان يصوم]

ومثل هذه السؤالات يسألون عنها حرصاً على الإتباع والاقتداء بهديه صلى الله عليه وسلم ليست مجرد معلومات يحصّلونها وإنما يسألون عنها لاتباعه و الائتساء به

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾

ومثل هذه السؤالات توضح لنا الهدف من دراسة فضائل الأعمال ، فإن معرفة فضائل الأعمال و مدارستها من أعظم المعونة للعبد على العناية في الأعمال الفاضلة

[فقلت لها من أي الشهر كان يصوم]

يعني هل يصومها في أول الشهر أو في وسطه أو في آخره

[قالت عائشة رضي الله عنها لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم]

يعني تارة يصوم من أوله وتارة من وسطه وتارة من آخره

فهذه الأيّام الثلاث الّتي ذكرت أم المؤمنين عائشة أن الرسول عليه الصلاة والسلام يواظب عليها من كل شهر لم يكن يبالي في أن يصومها من أوله أو وسطه أو آخره

وهل هذه الأيام التي يواظب عليها عليه الصلاة والسلام غير الأيام البيض أي التي يصومها وسط الشهر؟ فإن قيل هي غير البيض يعني هذا أنه يصوم عليه الصلاة والسلام ستة أيام وهذا لا يقال ولم يأتي ما يدل عليه ، وإنما المراد بذلك صيام ثلاثة أيام من كل شهر سواء في أوّله أو في وسطه أو في آخره ، وسواء أيضا صامها المسلم مجتمعة أو متفرقة ؛

فإنه بذلك يكون حصّل فضيلة صيام ثلاث أيام من كل شهر وكأنّه صام الدهر ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وردت فيها فضائل عديدة فلا يشترط في صيامها أن يؤتي بها مجتمعه لا في أوله ولا في وسطه ولا في آخره ، بل سواء جاء بها متفرقة أو مجتمعة فإنه يكون حصل الفضيلة كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم]

ويؤكد هذا المعنى ما تقدم عند المصنف حديث أبي هريرة رضي الله عنه [أوصاني خليلي بصيام ثلاث أيام من كل شهر] وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه فهذه الأحاديث كلها جاء فيها فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر دون أن يعيّن هل هو في الأول أو في الوسط أو في آخر الشهر،

لكن جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إذا صمت من الشهر ثلاثا فصم ثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمس عشرة " التي هي الأيام البيض فهذا الحديث أفاد فضل صيام البيض ، وتسمى أيام البيض لأنها أيام إبدار للقمر واكتمال نوره ، فجاء في هذا الحديث ما يدل على فضل هذه الأيام ،

لكن من أراد أن يصوم الثلاثة الأيام في أول الشهر أو وسطه التي هي البيض أو في آخره الأمر في ذلك واسع يكون قد أدرك فضيلة صيام هذه الأيام الثلاثة

يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله حول هذه المسألة " الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيها ذكر البِيض بل يصوم متى شاء كما في حديث عبدالله بن عمرو في الصحيحين وأبو هريرة في الصحيحين وحديث أبي الدرداء في مسلم وهي أصح بكثير من حديث أبي ذر رضي الله عنه فاذا صام ثلاثة أيام من كل شهر في العشر الأول أو في العشر الأوسط أو في العشر الأخيرة حصل له الأجر وإذا وافق أيام البيض فذلك أفضل جمعاً بين الأحاديث كلها " انتهى كلامه رحمه الله

والفضيلة كما تقدم تحصَل بصيام ثلاثة أيام سواء صامها متفرقة أو مجتمعة ، حتى من كان يواظب على صيام الاثنين فإنّه حصَل هذه الفضيلة وهي صيام ثلاث أيام من كل شهر ، وإذا خصّ ثلاث أيام في أيام البيض فهذا الأفضل كما قال الشيخ رحمه الله .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أما بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[الباب الثالث : في فضل الصدقة]

١-[روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفا " متفق عليه]

الشرح..

هذا الباب الثالث من أبواب كتاب فضائل الأعمال المسمّى بكفاية المتعبد وتحفة المتزهد وهذا الباب معقود في فضائل الصدقة والصدقة هي ما يخرجه المرء من ماله على وجه التقرب إلى الله وطلب ثوابه وهي من أعظم الأعمال وأجلّها وفي الصدقة ثواب عظيم يناله المتصدقون في دنياهم وأخراهم ،

في دنياهم بركة في حياتهم وأموالهم وفي أخراهم ما أعده الله لهم من عظيم الثواب وجميل المآب ، والصدقة سميت صدقة من الصدق لأنها تدل على صدق إيمان صاحبها كما يوضح هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم " والصدقة برهان " أي برهان على إيمان المرء وصدقه في إيمانه والصدقة شأنها عظيم فيما يترتب عليها من خيرات وبركات وحسن عوائد في الدنيا والآخرة ، والمصنف رحمه الله جمع في هذا الباب جملة من النصوص في فضل الصدقة وعظيم ثوابها عند الله ، وبدأها بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفا "

والحديث فيه حث على الصدقة في كل يوم ، حثاً يومياً على الصدقة بمعنى أن المرء يكون له نصيب من الصدقة في كل يوم من أيامه لان نزول الملكين نزولاً يومياً ودعوة الملكين دعوة يومية بأن يعطي الله سبحانه وتعالى المنفق خلفا والممسك تلفا فالحديث فيه حث على الصدقة بشكل يومي ،

والمراد بالنفقة في قوله " اللهم أعط منفقاً خلفا " أي النفقة على الطاعات وعلى الأولاد والنفقة على الضيوف والنفقة على المحتاجين والفقراء فإن ما ينفقه المرء على أولاده وأهله من طعام وشراب وكسوة اذا احتسبها عند الله فإنها تدخل في النفقة وكذلك ما ينفقه في حاجة الفقراء والمساكين والانفاق والاحسان على الجار كله يشمله النفقة التي جاء الحث عليها والترغيب فيها في الحديث

قال " فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفا "

أي من ينفق من ماله فأخلفه بخير وحسن عوض ولهذا يجد المنفق بركة النفقة في ماله ظاهرة " وما نقصت صدقة من مال "كما جاء في الحديث ،

قال " ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفا "

أي تلفاً في ماله ، والتلف الذي يكون في المال نوعان : حسي ومعنوي أما الحسي بأن يصاب ماله بجائحة بأن يضيع أو يحرق أو يسرق أو يعتدى عليه أو نحو ذلك ، والتلف المعنوي وهو أن يكون المال موجود عنده لكن يكون عديم البركة لا يستفيد منه فهو مال غير مبارك ،

فالتلف يشمل نزع البركة في المال ويشمل ضياع المال بأي صفة من صفات الضياع ، وهذه الدعوة التي في هذا الحديث " اللهم أعط ممسكاً تلفا " تفيد أن المراد بالنفقة في هذا الحديث النفقة الواجبة ،

لان النفقة نوعان : نفقة واجبة ونفقة مستحبة ، والدعاء بتلف المال لا يكون إلا في حق من فرط في ما أوجب الله عليه أما النفقة المستحبة إن حصلت من صاحبها أثيب وإن لم تحصل من صاحبها لم يعاقب ولم يستحق الدعاء عليه بتلف ماله

فالظاهر والله أعلم أن المراد بالنفقة هنا النفقة الواجبة مثل النفقة على الأهل والولد والنفقة التي هي إخراج الزكاة الواجبة ونحو ذلك من النفقات الواجبة فإن من يمسك عما أوجب الله عليه فإنه حقيق بهذه الدعوة اليومية من الملكين بتلف ماله

٢-[وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا يتصدق أحدكم بتمرة من كسب طيّب إلا أخذها الله تعالى بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوّه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم " متفق عليه ،

الفلوّ : المهر والقلاص ، فتيان الإبل : واحدها قلوص]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا يتصدق أحدكم بتمرة من كسب طيّب " وفي بعض الأحاديث زيادة " ولا يقبل الله إلا الطيب "

وجاء في بعض الأحاديث " لا يتصدق أحدكم بعدل تمرة " فيفيد الحديث بروايتيه أن من تصدق بتمرة أو تصدق بما يعادل التمرة من طعام أو شراب أو مال أو نحو ذلك فلا يكون خاصاً بالتمر وإنما من تصدق بتمرة أو تصدق بما يعادل تمرة ، والمراد أنه تصدق بشيء قليل فإن الله يضاعفه لصاحبه ويربّيه له ، حتى تكون هذه التمرة الواحدة أو ما يعادل التمرة يجده صاحبه يوم القيامة مثل الجبل لأن الله يربيها وينميها لصاحبها حتى تكون التمرة الواحدة مثل الجبل

وهذا فيه أن ثواب الصدقة مضاعف وأن في الصدقة بركة وأنها تنمو لصاحبها ويجدها يوم القيامة أضعاف مضاعفة اذا كانت التمرة الواحدة أو ما يعادلها يجدها المرء يوم القيامة مثل الجبل فكيف بمن يكرمه الله بأنواع من الصدقات محتسباً طامعاً في أجر الله وعظيم ثوابه.

قال [لا يتصدق أحدكم بتمرة من كسب طيب]

بهذا القيد وهذا فيه أن النفقة التي من كسب ليس بطيب ليست مقبولة لان الله قال بعده " ولا يقبل الله إلا الطيب " فبهذا القيد أن تكون النفقة من كسب طيّب يعني دخلت علية هذه التمرة أو غيرها من المال من طريق حلال ومباح أما لو دخلت عليه من غش أو ربا أو غيرها من الطرق المحرمة فإنها غير طيبة فلا تكون متقبلة لان الله لا يقبل إلا الطيّب ،

قال [من كسب طيّب إلا أخذها الله تعالى بيمينه]

وهذا فيه إثبات اليمين لله تعالى كما في القران الكريم ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

قال " إلا أخذها الله بيمينه " والقاعدة عند أهل السنة أن هذه النصوص ؛ نصوص الصفات تمر كما جاءت ويؤمن بها كما وردت وأن يحذر المرء من طرائق أهل التأويل وسبل أهل التحريف الذين يجهدون أنفسهم في ليّ هذه النصوص وصرفها عن ظاهرها وإبعاداً عن معناها زعماً منهم أنهم يريدون تنزيه الله تبارك وتعالى ، والنبي صلى الله عليه وسلم القائل لهذا الحديث هو إمام المنزهين لله عز وجل ،

ويكفي المسلم أن يسمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأن يؤمن به كما جاء ويمرّه كما ورد لا أن ينشغل بصرف الحديث إلى المعاني البعيدة زعماً منه أنّه يريد تنزيه الله ،

نحن نقول كما قال صلى الله عليه وسلم " إلا أخذها بيمينه " وهذا فيه عظم الصدقة وبركتها وفائدتها لصاحبها

ويجب أيضاً في هذا المقام أن ينزّه الله عن التمثيل ، قال الله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقال تعالى ﴿ هل تعلم له سميّا ﴾ وقوله ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾

ولا يجوز أن يخطر ببال أحد أنها مثل صفات المخلوق وإنما صفات الله المضافة إليه تليق بجلاله وعظمته ، والقاعدة عند أهل العلم في هذا الباب " أن الاضافة تقتضي التخصيص " فما يضاف إلى الله من الصفات يخصّه ويليق بكماله وجلاله وما يضاف الى المخلوقات من الصفات يليق بضعفهم وعجزهم ونقصهم ، وتنزّه ربنا تبارك وتعالى عن الشبيه والمثال ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ .

قال[إلا أخذها الله تعالى بيمينه فيربّيها كما يربّي أحدكم فلوَه ، قال المؤلف " الفلوّ المهر "]

الفلوّ سمي فلواً من فليِه عن أمه أي فصله عنها ولهذا يقال له الفلوّ ويقال له الفصيل يعني لما يبلغ سن الفطام عن أمه وأن يفصل عن أمه ،

والمراد بالفلوّ : الصغار من الخيل يقال له فلو وأهل الخيل لهذا الفلوّ شأن عظيم عندهم جداً ولهذا خصّه النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ، له شأن عظيم ومكانة في نفوسهم ويعتنون به عناية عظيمة ، لأنهم يعدّونه لأشياء عظيمة ؛ يعدّونه للدفاع ومجابهة الأعداء فعنايتهم به أشد من عنايتهم ببهيمة الأنعام أو غيرها مما يربّى عندهم وإنما يربى تربية خاصة ويعتنى به عناية خاصة

قال [فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه ، قال المؤلّف" القلاص فتيان الابل"]

يعني الصغار من الابل فيربّيها له كما يربي أحدكم الصغار من الإبل أو الصغار من الإبل وكل هذه لها شأن عند أصحابها

قال [حتى تكون مثل الجبل أو أعظم]

حتى تكون أي التمرة أو ما يعادلها ، مثل الجبل ؛ أي يربيها الله له حتى يجدها صاحبها يوم القيامة مثل الجبل

فالحاصل أن هذا الحديث العظيم المبارك يدل على فضل الصدقة ولو كان الذي تصدقت به قليلاً " ولا تحقرن من المعروف شيئاً " لا تحقرن ريالاً أو درهما أو خبزةً أو علبة حليب أو تمراً أو أي شيء من المعروف فاذا أخرجها الانسان بنفس طيبة وكسب طيّب يبتغي بها وجه الله ربّاها الله له هذه التربية المشارة بالحديث حتى يجدها صاحبها مثل الجبل أو أعظم كما قال نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه

" فَلُوّه " تضبط بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ، وأيضاً تضبط فِلوه بكسر الفاء وإسكان اللام .

٣- [وروى حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " تصدَقوا ، فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيها ، لو جئت بها بالأمس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لي بها ، فلا يجد من يقبلها " متفق عليه]

الشرح..

أورد رحمه الله هذا الحديث في الحث على الصدقة واغتنام أوقات إمكانها قبل تعذُّرها وهذا نوع من أنواع الحث على الصدقة ، حث على الصدقة لاغتنام أوقات امكان الصدقة وكم من إنسان أخّر فرصاً عظيمة لم يغتنمها للصدقة ففاتت عليه ،

أحد الأفاضل حدثنا بقصة عظيمة في هذا الباب أن أحد الأثرياء كلَمه شخص فاضل في بناء مسجد جامع كبير يكلف ثلاثة ملايين فوافق على ذلك وقال أعدُوا المخططات وهيّؤوها وأنا متكفل بإخراج هذا المال لهذا المسجد لكن لم يباشر دفعه ولم يكتب بالمبلغ وإنما تكفل بذلك واستعد ثم مرض على إثر ذلك ومات ثم قال الفاضل لورثته : الوالد اعتمد هذا المسجد وورَثكم خيراً كبيرا واعتمد هذا المسجد وقال لي أنا متكفل ببنائه وأمرني أن أعد المخططات وهي جاهزة فتشاور الورثة فما أعطوه شيئاً إلا واحداً منهم أعطاه ألفين ريال وقال هذه مني أنا ،

فاغتنام الصدقة في فرصة تهيؤها للعبد هذا مطلب مهم لأنها اذا تهيئت الفرصة الآن قد لا تتهيأ لك غداً كما في أثر ابن عمر رضي الله عنه " لا تدري ماذا يكون اسمك غداً " يعني من الأحياء أم من الأموات ، فاغتنام الصدقة وقت تهيؤها للعبد أمر مهم ولا ينبغي أن يغفل عنها ، وهذا الحديث فيه هذا النوع من الحث على الصدقة بأن يغتنم الانسان وقتها وفرصة تهيؤها له ، لأنه قد يأتي عليه وقت لا تتهيأ له ،

بل بعض الناس يؤخر الصدقة ويكبر سنّه ثم يصيبه شيء من الخرف فيحجر أبناءه على ماله ويكون ماله موجود ويريد أن يتصدق فلا يتمكن لأنه حجر على ماله وهذه لها صور كثيرة ، فالحاصل أن الانسان ما ينبغي له أن لا يؤخر

وأيضاً عليه أن يحرص على أن يكون له نصيب يومي من الصدقة وفي الوقت نفسه يحتسب ما ينفقه على أهله من طعام أو شراب أو ملبس أو مركب يحتسب ذلك عند الله

قال [تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيها لو جئت بها بالأمس قبلتها]

لاحظ الفرق كم بين إمكان الصدقة وعدم الإمكان يوم واحد فهذا فيه حث على الصدقة وقت إمكانها لأنها اذا كانت ممكنة اليوم قد لا تكون ممكنة في الغد قد يعرض أسباب تحول بينك وبين الصدقة يعني من الأسباب تكون اليوم نفسك متشجعة على البذل – والنفس لها إقبال وإدبار – وفي الغد تكون شحيحة يتذكر الانسان المصالح والأولاد فيشح في المال ،

فالشاهد هناك عوارض كثيرة تجعل الانسان يؤجل ويسوّف فالمطلوب المبادرة واغتنام فرصة إمكانها قبل تعذُرها

قال [لو جئت بها بالأمس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لي بها ، فلا يجد من يقبلها]

فالشاهد أن هذا الحديث فيه حث على فرصة اغتنام الصدقة قبل تعذر ذلك على العبد .

٤-[وروى عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرات ثم قال : " اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة " متفق عليه ،

قوله أشاح : أي جدّ وانكمش على الوصية باتقاء النار وقيل : حذر من ذلك والمشيح : الحذر، وقيل : الهارب ، وقيل أشاح : أقبل ، وقيل : قبض وجهه ، قال الحربي : أحسن ما قيل فيه : التنحية وهو موافق للإعراض .]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن عدي بن حاتم الطائي ، وحاتم الطائي والد عدي رضي الله عنه كان مضرب مثل ولا يزال مضرب مثل في البذل والكرم والإنفاق على الضيوف وكان يبذل وينفق في ذلك بذلاً عظيما لكن لم تكن نيته في ذلك صالحة ولم تكن لله خالصة

ولهذا جاء في حديث أن عدياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الذي كان يقدّمه والده من كرم وصدقات وبذل أينفعه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لا ، قال : ذاك أراد شيئاً فحصله " قال أهل العلم : أي الشهرة "كان يريد بهذه الصدقات والكرم والبذل الشهرة فحصّلها ،

فرق بين من ينفق الأموال الطائلة شهرة فلا يتجاوز نصيبه من هذا المال إلا سمعة تكون له في الدنيا وبين من ينفق ريال واحد أو ريالين أو تمرة أو تمرتين لا يبتغي بها إلا وجه الله فيرى بركتها العظيمة في الدنيا والآخرة ويجدها يوم القيامة مثل الجبل كما تقدم وذاك الذي أنفق الكثير الكثير لا يجد منه شيئاً يوم القيامة لأنه لم ينفقه لوجه الله ،

ومثله عبدالله بن جُدعان والحديث في صحيح مسلم وكان ينفق ويفك العاني ويبذل الكثير فسألت عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت له أن من حاله كذا وكذا أينفعه ذلك قال صلى الله عليه وسلم : لا ، لأنه لم يقل يوماً قط اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين " يعني لم يرد الأخرة والله يقول ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾

من ينفق للدنيا والسمعة والشهرة ومدح الناس هذا كله لا ينفعه في الأخرة نعم قد يحصّل شهرة وصيتاً ومدحاً عند الناس ، لكن لا يجد شيئاً من ذلك في صالح عمله يوم القيامة لأنه لم ينفقه ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى

قال [عن عدي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر النار فتعوذ منها – نعوذ بالله من النار– وأشاح بوجهه ثلاث مرات]

جاء في رواية في صحيح البخاري لهذا الحديث أن الصحابة قالوا حتى ظننا أنه ينظر إليها : أي كأنها أمامه ينظر إليها من إشاحته بوجهه عليه الصلاة والسلام

وذكر المؤلّف رحمه الله أقوالاً لأهل العلم في معنى أشاح وفي كتب اللغة هذه المعاني المذكورة التي ذكرها المؤلف رحمه الله

لكنه ختم بقول الحربي

قال : " أحسن ما قيل فيه : التنحية وهو موافق للإعراض "

وفي اللغة يقال : أشاح اذا نحّى الرجل وجهه : يعني أعرض بوجهه وصدّ بوجهه ، وهذا المعنى هو الأقرب لسياق الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه أي نحى وجهه عن الجهة التي كان ينظر إليها وأعرض عن تلك الجهة حتى قالوا الصحابة رضي الله عنهم حتى ظننا أنه ينظر إليها يعني في جهة معينة فأعرض عن تلك الجهة ،

ثم قال " اتقوا النار ولو بشق تمرة "

والله يقول ﴿ يأيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

وهذه النار أعاذنا الله منها مما تتقى به الصدقة ولو كان بتمرة أو بما يعادل التمرة ، لا يحقر المرء شيء من المعروف مما يتقى به النار ،

قال " اتقوا النار ولو بشق تمرة " يعني لا يتقالّ أحدكم شيئاً يتقي به النار من المعروف والخير والصدقات ولو شيئاً قليلاً لا يحتقره المرء بأن يقدمه بأن يكون وقاية له من النار والصدقة كما في الحديث " تطفئ غضب الرب جل وعلا " ،

قال " اتقوا النار ولو بشق تمرة " يعني ولو كان شيئاً قليلاً ثم أيضاً من لم يجد القليل له أيضاً ما يتقي به النار

قال صلى الله عليه وسلم " فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة "

يعني إن لم تجدوا مالاً أو طعاماً أو شراباً أو لباساً فبكلمة طيبة والكلمة الطيبة يدخل تحتها الكلمة الطيبة للسائل الذي جاء يسأل وليس عند الانسان ما يعطيه مثل أن يقول أسأل الله أن يرزقك ويعينك على قضاء دينك يسمعه كلمة طيبة دعاءً طيباً

أو الكلمة الطيبة تتناول ما هو أعمّ من ذلك ، من لم يتيسر له مالاً ينفقه فالنفقة بالكلام ممكنة ؛ مثل ما قال صلى الله عليه وسلم " وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة " والدلالة على الخير ومعاونة الناس ، الآن مثلا ترى شخصا أو زائر لم يهتدي إلى بيته بحكم أنه جديد على المنطقة فاذا وضح له الطريق وذهب معه هذه صدقة فباب التصدق بالكلمة الطيبة باب واسع جدا ، فالحاصل أنه لا يتقال من المعروف شيئاً .

٥- [وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما يسرني أن لي أحداً ذهبا تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار إلا ديناراً أرصده لدين علي " متفق عليه]

الشرح..

ثم أورد هذا الحديث في الحث على الصدقة والترغيب فيها

وقوله " ما يسرني أن لي أحداً ذهبا " أحد جبل معروف عظيم يقع شمال المدينة ، والحديث جاء بنحو هذا من حديث أبي ذر قال "كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحرّة فاستقبلنا جبل أحد – يعني صار جبل أحد أمامنا – فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأبو ذر رضي الله عنه إلى جنبه يرى جبل أحد ، قال " ما يسرني أن لي مثل أحداً ذهبا "

قال " تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار" هذا فيه السرعة في البذل وعدم التأخير

ثم قال " إلا ديناراً أرصده للدَين علي "

هذا يفيدنا الحث على المسارعة على سداد الدين وأن سداد الدين أولى من الصدقة ومن هذا أخذ العلماء أن من تيسر له مالا يحج به ويعتمر وعليه دين فسداد الدين أولى – هذه حقوق الناس – وينبغي على المرء أن يسارع في الخلاص منها وسدادها وجاء في المسند للإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم " لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال الدين "

الدين ليس بالهيّن ، ولهذا مسارعة الانسان لقضاء الدين وجمع المال لقضائه مقدم على الصدقة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " إلا ديناراً أرصده لدين عليّ "

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

شرح كفاية المتعبد

وتحفة المتزهد للمنذري

للحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه اللّه

من الدرس ١٣ إلى الدرس ١٥

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٣/٢٩ هـ

الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

٦- [وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلَّق في المساجد ، ورجلان تحابّا في الله تعالى اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناها " متفق عليه]

الشرح..

هذا الحديث حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - جعلنا الله أجمعين منهم بمنّه وكرمه - حديث عظيم مبارك فيه حث على هذه الخصال العظيمة والأوصاف المباركة الموجبة للظلال يوم القيامة ،وعندما يستحضر المسلم ذلك الموقف العظيم يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق حتى تكون على بعد ميل منهم ولا ثمّة في ذلك اليوم أشجار ولا جبال ولا أمكنة يستظل بها إلا في ذلك الظل العظيم المشار إليه في هذا الحديث الذي يظل به سبحانه وتعالى عباده المتقين وأوليائه المقربين ، فاذا استحضر المسلم ذلك الموقف العظيم تحركت نفسه لمعرفة هذه الخصال الموجبة للظلال والاتصاف بها طمعاً أن يحظى في ذلك اليوم بأن يكون من هؤلاء الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله

وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث بقوله [سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله]

وذكر العدد " سبعة " حثاً منه عليه الصلاة والسلام على ضبط هذه الأوصاف ومعرفتها معرفة جيدة من أجل مجاهدة النفس على التحلّي بها والاتصاف بها ليكون العبد من أهل الظلال يوم القيامة ممن يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه ،

قوله [سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَ إلا ظلُه]

" يظلُهم الله في ظلِه " أي يوم القيامة ، في ذلك اليوم الذي تدنو فيه الشمس من رؤوس الخلائق وإضافة الظل إليه سبحانه وتعالى جاءت مفسرة في غير ما حديث عنه عليه الصلاة والسلام " في ظل عرشه " فالمطلق جاء ما يفسره ويقيِده في بعض الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم ، فهذا ظل عرش الرحمن جلّ وعلا ،

والواجب على المسلم فيما يتعلق بأمور الآخرة والمغيبات أن يتلقاها بالتسليم والإيمان وأن يُمِرّها كما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن لا يقحم عقله القاصر دفعاً لهذه النصوص أو تشكيكاً فيها أو نحوها من الطرائق الآثمة الباطلة المحرمة ، فالظلّ في الحديث جاء ما يفسره وأن المراد به ظل عرش الرحمن حتى إنه جاء في بعض ألفاظ الحديث " سبعة يظلهم الله في ظلِ عرشه يوم لا ظلَ إلا ظلُه "

وجاءت أحاديث أخرى في ذكر خصال موجبة للظلال زائدة على هذه السبع ، فليست الخصال الموجبة للظلال هي السبعة التي ذكرت في هذا الحديث فقط وليس الحديث حاصراً لها ، لأنه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم خصال أخرى غيرها في غير هذا الحديث " مثل من أنظرَ معسِراً " وجاءت خصال كثيرة توجب لصاحبها الظلال يوم القيامة ، وبعض العلماء أفردوا هذه الخصال في مصنفات خاصة جمعوا فيها ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من خصال توجب للعبد أن يظلّه الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . بدأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الخصال السبعة بالإمام العادل

قال صلى الله عليه وسلّم " سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، الامام العادل "

أي يقوم في رعيته بالعدل والقسط والبعد عن الجور والظلم والحيْف ويتقي الله فيما استرعاه من رعية و ولّاه من ولاية فيتعامل معهم بالعدل ، والعدل هو إقامة شرع الله وتطبيق حدود الله وإنصاف المظلوم وإعطاء أهل الحقوق حقوقهم فمن كان كذلك من الولاة كان يوم القيامة ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ،

وقدّم النبي صلى الله عليه وسلم الامام العادل على غيره لأن نفع الإمام العادل نفع عام ومتعدي لعموم الرعية إذا وفّقه الله لذلك ومنّ عليه بذلك وجعله من أهل العدل والإنصاف فإن النفع يعود على الرعيّة كلّهم ، فقدَمه لعموم نفعه للرعية كلها ، وفي هذا الحديث أن العدل ومراعاة الإنصاف والبعد عن الحيْف والظلم من موجبات الظلال يوم القيامة بل إنه من أعظم الخصال الموجبة لذلك

قال صلى الله عليه وسلم " وشاب نشأ بعبادة الله عز وجل "

أي نشأ عابداً من صغره وهو معتني بالعبادة مقبل على الطاعة ليست عنده صبوة وليست عنده نزوة من نزوات الشباب وسَفههم وطيشهم ، بعيد عن ذلك كله ، وقليل من الشباب من يوفّق لذلك ؛ أن ينشأ نشأة لا صبوة فيها ولا نزوة وإنما نشأة ماضية على الاستقامة وملازمة طاعة الله وفي حديث في سنده مقال " عجب ربكم لشاب ليست له صبوة " فهذا أمر عظيم جداً أن ينشأ الشاب على هذا الوصف بعيداً عن نزوات الشباب مراعياً الاستقامة محافظاً عليها معتنيا بها ومن كان كذلك ونشأ على هذه الحال أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ولهذا ينبغي على الصغار أن يعوا هذا المعنى وأن يفهموه وأن يحرصوا أن تكون نشأتهم كذلك وهذا المقام مقام مجاهدة للنفس والله يقول ﴿ والذين جاهدُوا فينا لنَهدِيَنَّهم سُبُلَنا وإنَّ اللهَ لمع المحسنين ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم " ورجل قلبه معلّق بالمساجد "

يحب المساجد حباً عظيماً وقلبه مرتبط بها ، معلق بها إذا خرج من المسجد وأدى الصلاة اشتاقت نفسه أن تدخل إليه في صلاة أخرى وتاقت إلى ذلك ، لعظم مكانة المساجد في قلبه وذلك لما يجده في المساجد من قرّة عين وأنس خاطر وبهجة قلب ، والمساجد قرّة عيون المؤمنين وهناءة قلوبهم وراحة نفوسهم فيها يجدون راحتهم وسعادتهم ولاسيما في وقوفهم

مؤدين للصلاة المكتوبة والطاعة المفروضة في بيوت الله كما أمرهم الله ﴿ في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ و يُذكَرَ فيها اسمُهُ يُسَبِّحُ لهُ فيها بالغُدوِّ والأصالِ ٭ رجالٌ لا تُلهِيهِم تجارةٌ ولا بَيعٌ عن ذِكرِ اللهِ وإقامِ الصلاة ﴾ فمن كان قلبه كذلك معلّقا ببيوت الله محباً لها محافظاً على آداء الصلوات الخمس المكتوبة فيها حريصا على الجلوس في المسجد والمكث فيه كان من السبع الّذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظله إلا ظله

وليس معنى قلبه معلق بالمساجد أي أنه يبقى دائماً في المسجد لا يخرج منه بل هو يخرج لمصالحه ويؤدي أموره من تجارة إن كان ذا تجارة أو عمل إن كان ذا عمل لكن أعماله وحرفته لم تشغل قلبه عن التعلق بالمسجد وانتظار الصلاة والشوق إليها والحرص عليها ، ومن أمارة ذلك وعلامته المبادرة إلى الصلاة حينما يسمع الأذان لأن الناس عند سماع الأذان على صنفين :

صنف اذا سمع الأذان فرح وابتهج وترك كل ما في يده كيف لا وقلبه معلق بالمساجد وصنف اذا سمع الأذان ربما قلق وحسّ أن ثمّة أمر سيُعيقه عن ما بيده من عمل فلهذا يتأخر ويبقى على عمله بل ربما انتهت وهو باقي على عمله لان قلبه معلق بعمله وصنعته

وهذا الحديث يفيدنا فائدة عظيمة أن صلاح العبد من عدم صلاحه عائد إلى قلبه وبأي شيء هذا القلب متعلق ويميل ، فالإنسان تبع لهذا القلب كما قال صلى الله عليه وسلم:

" ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله "

وهذا الانسان يكون بحسب ما تعلق به هذا القلب فمن كان قلبه معلّق بالمساجد له شأن آخر وله اهتمام عظيم ببيوت الله سبحانه ، فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل معلق قلبه بالمساجد

وأعظم شيء بنيت لأجله المساجد الصلاة التي هي عماد الدين وأعظم أركانه بعد الشهادتين

قال صلى الله عليه وسلم " ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه "

جميع الخصال المذكورة يذكر رجل إلا في هذه الخصلة رجلان ، لأن التحاب يحتاج إلى مفاعلة بين اثنين هذا يحب هذا وذاك يحبه وتحابهم في الله ولأجل الله وهذا أوثق عُرى الإيمان

كما قال صلى الله عليه وسلم " أوثق عُرى الايمان الحب في الله والبغض في الله " وفي الحديث يقول الله عزّ وجلّ : " أين المتحابون في جلالي "

فالحب في الله من الأعمال العظيمة والخصال الجليلة وهو أوثق عرى الإيمان وفي الحديث " من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان "

وهذا الحب الذي يقوم في قلوب أهل الايمان بعضهم لبعض هو مبني على هذا الايمان الذي تحلّوا به وكانوا من أهله كما قال الله " إنما المؤمنون إخوة " أي أخوَتهم في الله ومبناها على الإيمان به وعلى طاعته ورضاه وهذه الأخوة والرابطة الايمانية هي أوثق رابطة على الاطلاق وهي التي تبقى لأهلها في الدنيا والاخرة

﴿ الأخلاءُ يومَئذٍ بعضُهُم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين ﴾ فكل رابطة تنقطع إلا الأخوّة في الله

ولهذه الأخوَة مقتضيات جاء تبيانها في كتاب الله ، ينبغي على المتآخين في الله أن يعملوا على تحصيلها ﴿ إنما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلحوا بين أخَوَيكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ۞ يأيها الذين آمنوا لا يسخرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ ولا تَلمِزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقابِ بئسَ الِاسمُ الفسوقُ بعد الايمانِ ومن لم يتُب فأولئك همُ الظالمون ۞ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنِ إن بعض الظنِ إثمٌ ولا تَجسسوا ولا يغتب بعضُكم بعضاً أيُحِبُ أحدُكُم أن يأكُلَ لحمَ أخيه مَيْتاً فكرِهْتُمُوهُ واتقوا اللهَ إن الله توابٌ رحيم ﴾

هذه كلها مقتضيات لهذه الأخوّة ومتطلبات للأخوّة الإيمانية

ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا " حقِقوا هذه الأخوة ومعانيها بالبعد عن هذه الأعمال المنافية للأخوّة الإيمانية ، وعليه فإن مثل هذه الأوصاف الغيبة والنميمة والغش والاستهزاء والسخرية اذا وجدت في المرء تجاه إخوانه المؤمنين فهذا من ضعف إيمانه وضعف دينه وضعف تحقيقه لهذه الأخوّة الإيمانية ،

فالحاصل من يوفق لذلك التحاب في الله والتزاور في الله فإن هذه من الخصال الموجبة للظلال

قال " رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه " كان تلاقيهما واجتماعهما مؤسس على المحبة في الله ليست هناك مقاصد وأهداف دنيوية ولهذا كثير من المِحبات التي تقع بين الناس تنتهي بالمصالح التي تكون بينهم والمطامع التي تكون بينهم إلا المحبة في الله باقية ، ليست باقية في الدنيا فقط بل في الدنيا والآخرة وقوله

" تفرقا عليه" أي فرقهم الموت وهم على هذه المحبة ، مضوا عليها إلى أن فرقهم الموت وهم على هذه المحبة ، ويفيد هذا الحديث أن هذه المحبة إذا أُكرم بها المرء ينبغي أن يحافظ عليها وأن يحرص أن لا تضيع منه وأن تبقى ثابته معه إلى أن يموت في صفائه ونقائه ومحبته لإخوانه والبعد عن الأوصاف الذميمة التي تضعف هذه المحبة وتخدشها ، فيحرص على هذه المحبة إلى أن يتوفاه الله وهو على هذه الحال طمعاً في أن يكون من أهل هذه الخصال الموجبة للظلال يوم القيامة .

ثم قال صلى الله عليه وسلم "ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى "

" رجل دعته امرأة " أي إلى نفسها لارتكاب الفاحشة والوقوع في الزنا وكانت المرأة " ذات منصب وجمال " اجتمع فيها المنصب والجاه والمكانة والمنزلة والشرف واجتمع فيها أيضا الجمال والحسن ، حسن الصورة و الهيئة والقوام إضافة إلى ذلك دعته إلى نفسها يعني لم يحتج المقام إلى مراودة وإنما هي التي دعته وراودته **فامتنع** ولم يمنعه من ذلك إلا خوف الله

" قال إني أخاف الله " مثل ما قال يوسف عليه السلام ﴿ مَعاذ اللهِ إنه ربي أحسنَ مثواي﴾ بعد مراودة عظيمة من امرأة العزيز التي أوتيت منصباً وأوتيت جمالا وتهيأت ليوسف وتعطرت وتجملت وهو شاب غريب في فورة الشباب وقد أوتي شطر الحسن عليه السلام وهي التي راودته ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقتِ الأبوابَ وقالت هيتَ لك ﴾ واجتمع عدة أمور من المغريات منها أنه شباب وأنه غريب عن البلد وأن المرأة ذات حسن ومنصب وجمال وأنها تزينت وتهيّأت وأن المكان غلّق ﴿ وغلّقت الأبواب ﴾ وهي التي راودته بل توعدت وهدّدت ومع ذلك قال

﴿ معاذ الله ﴾ ، بل قال بعد ذلك ﴿ ربّ السجنُ أحبُّ إلي مما يدعونَني إليه ﴾ ولم يقتصر الأمر عليها فقط حتى النسوة في المدينة صار مطمعاً للجميع ، ومع ذلك قال ﴿ معاذ الله ﴾

وقال ﴿ ربّ السجن أحب إلي مما يدعوني إليه ﴾ . فالحاصل أن من حصل له هذا الابتلاء وتعرّض لهذه المحنة والفتنة أن تدعوه امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فامتنع خوفاً من الله فإن هذا الامتناع موجب للظلال يوم القيامة وأن يكون ممن يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله .

وإن كانت اللذة هي المطلوبة ؛ فلا والله ليست بلذة أن يواقع حراماً للحظات يسيرة يبوء بخزيه وعاقبته الوخيمة في الدنيا والآخرة

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الخزي والعار
وتبقى عواقب سوء من مغبّتها لا خير في لذة من بعدها النار

أي خير في لذة للحظة يسيرة يعقبها حسرات و ندامات وأسقام وأمراض وخزي وندامة فإن كان البحث عن اللذة ، فاللذة الحقيقية في الانتصار على النفس وإن من ينتصر على نفسه في مثل هذا المقام يجد لذة في انتصاره على نفسه لا يجدها ولا يذوقها من يتعاطى تلك الشهوة المحرمة الشهوة الخسيسة ، فإن امتناع الانسان عن الحرام طاعة لله يعقِب في المطيع حلاوة ولذة في نفسه لا يجدها العاصي في مقارفته للمعصية ، فإن كان البحث عن اللذة فها هي اللذة في الدنيا والآخرة ، ثم يكون هذا الامتناع موجب للظلال يوم القيامة ممن يظلّهم الله يوم لا ظل إلا ظله هذه هي اللذة الحقيقية والهناءة الحقيقية والسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة ليست اللذة في مقارفة الرذيلة وفعل المحرم

وفي قوله " إني أخاف الله " في قول إني أخاف الله فائدة عظيمة جداً ولو أن العبد استحضرها في كل مقام تدعوه نفسه للمعصية لسلم من المعصية ، "إني أخاف الله " هذا دواء وشفاء وأمان للعبد من الوقوع في المحرم ولهذا ينبغي على العبد أن يستحضر خوف الله ، وكل ما حدّثته نفسه لارتكاب المحرم ذكَرها برؤية الله واطلاعه عليه وأنه سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية

وذكر ابن رجب رحمه الله – في أحد كتبه– " أن أعرابياً راود أعرابيةً في الصحراء عن نفسها وقال في جملة كلامه لها في إغرائها قال ممن تخافين نحن في مكان لا يرانا إلا الكواكب ، فقالت تلك الأعرابية

وأين مكوكبها ؟ أين مكوكب الكواكب خالقها فتوقف " ذكّرته بالله وخوفته بالله وهذا الوازع أعظم وازع وأكبر رادع على الإطلاق

يقول الإمام الشنقيطي رحمه الله – في كتابه أضواء البيان– : " اتفق العلماء على أن أكبر رادع وأعظم زاجر أن تعلم أن الله يراك "

فاذا استحضر المرء أن الله يراه وأنه مطلع عليه وأن الله لا تخفى عليه خافية وأن بطشه شديد وعقابه أليم وحرّك في قلبه خوف من الله لا يمكن أن يقارف الفضيلة ويفعل الرذيلة .

فينبغي للمرء أن يستحضر هذا المقام و إني أخاف الله يوجبه معرفتك بالله وأنه الرب العظيم الذي خلقك وأوجد فيك السمع والبصر الخالق للسماوات والأرض والخالق للنعم كلها والمطّلع عليك وعلى أعمالك وحركاتك وسكناتك كلها والبصير الذي يرى كل شيء ، يستحضر هذه المعاني فهي أكبر زاجر وأعظم رادع عن ارتكاب المحرم والوقوع فيه

قال " ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه "

أي من قوة إخلاصه وعظيم طمعه فيما عند الله تعالى ورغبته أن يكون العمل بينه وبين الله ؛ وهذه صدقة السر وشأنها عظيم ، ولا مانع أن تكون الصدقة علانية بالنية الحسنة مثل الصحابي الجليل عندما حث النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة ، فجاء يحمل معه مالاً وضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فتتابع الصحابة على إثر ذلك فقال عليه الصلاة والسلام : " من سن في الاسلام سنّة حسنة " ، فإن كان هذا لقصد تحريك الآخرين وحثِهم على الصدقة فحينئذ تكون حسنة اذا أعلنت ، والأصل في صدقة المرء أن يسرَها إلا إذا كان فيه مصلحة في إعلانها وكان إعلانها عن نية حسنة وقصد طيب ، أما اذا أعلنها رياءً لم يقبلها الله منه كما في الحديث القدسي " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه "

وقوله في هذا الحديث " ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " أي من مبالغته في إخفاء صدقته ، حتى إن بعض السلف من مبالغته في هذا الباب ، المتصدَق عليه لا يدري من تصدق عليه ؛ يأتي في جوف الليل ومعه الطعام واللباس والغذاء فيضعه عند باب الفقير ويمضي أو يطرق الباب ويمضي فلا يدري الفقير من وضعه ، حتى إنه ممّا ذكر في

بعض كتب التاريخ أن بعض الفقراء لم يعلموا بالشخص الذي كان ينفق عليهم إلا بموته لما مات انقطعت هذه الأشياء فعرفوا أنها كانت منه.. مبالغة في إخفاء الصدقة وأن تكون سراً بين العبد وبين الله تعالى

ثم قال صلى الله عليه وسلم " ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه "

أي فاضت من خوفه و خشيته لله

" خالياً " أي بينه وبين الله وهذا من إخلاصه وعظيم إقباله على الله وعظيم طمعه فيما عند الله

" ففاضت عيناه " أي نزل الدمع من عينه من خشية الله وهذا مقام عظيم في خلوة العبد بينه وبين الله تعالى ولا سيما في جوف الليل وثلث الليل الآخر وقت التنزُل الإلهي وسكون الكون وهدوء الناس ، قال صلى الله عليه وسلم " ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له " فاذا وفِق العبد للوقوف بين يدي الله وحسن مناجاته والتأمل في آياته والتدبر في كلامه فبكى من خشيته فإن ذلك من موجبات الظلال في ذلك اليوم العظيم ، الحاصل أن هذا الحديث حديث عظيم مبارك جمع فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الخصال العظيمة التي توجب لصاحبها أن يظله الله في يوم لا ظل إلا ظله .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

الدرس الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

٧-[وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال : " يا رسول الله أي الصدقة أعظم قال : أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ألا وقد كان لفلان " متفق عليه]

الشرح..

أورد رحمه الله هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم "

هذا سؤال عن الصدقة وأيها أعظم وقد ذكرْت غير مرّة أن مثل هذه السؤالات المتكررة على النبي صلى الله عليه وسلم كلها تدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم على فضائل الأعمال ومعرفتها ، معرفة فضائلها وأي الأعمال أفضل وأحب وأيها أحب إلى الله رغبة منهم في الاستكثار من الخيرات والاغتنام في تحصيل الأعمال ونيل فضائلها وهذا مما يؤكد أهمية دراسة فضائل الأعمال والوقوف عليها ومعرفة الأحاديث الواردة فيها الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون حافزاً للمرء على العناية بالعبادة والحرص على العمل و الاهتمام بالتقرب إلى الله

قال " يا رسول الله أي الصدقة أعظم " أي أعظم أجراً ومثوبةً عند الله

قال" أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى "

يعني وأنت على هذه الحال تخرج الصدقة وتبذل النفقة والمال حال كونك صحيح ، والانسان حال صحته وعافيته يقع في نفسه شحٌ في المال وهذا في الغالب من حال الناس لماذا ؟ لأنه يخشى الفقر ويأمل الغنى فما دام أن الصحة موجودة يخشى الفقر

فلهذا إذا أراد أن يخرج القليل أو الكثير بدأ يحسب الحسابات وكم تؤثر عليه ، لأنه يأمل الغنى ونفسه تطمع في الغنى وتطمع في وجود المال عنده ، فيقع في نفسه شحٌ بسبب الصحة التي عنده

بخلاف إذا مرض فإن مرضه يثمر فيه زهداً في المال ولا سيما إذا اشتد فيه المرض ، فالصحة قرينها في الغالب الشح في المال والمرض قرينه في الغالب عدم الاهتمام بالمال .

ومن القصص التي تروى في هذا الباب وهي كثيرة وفي بعض القصص عبرة ،

يذكر أحد الأفاضل أنه أتى إلى أحد الأثرياء وعنده الأموال الكثيرة فعرض عليه بناء مسجد وهو في حال مرضه فوافق على بنائه وقال هيئ المخططات لهذا المسجد وأنا متكفل ببنائه فاشتغل الفاضل بتهيئة هذه المخططات للمسجد ولما كملها وعاد للرجل فاذا به خرج من المستشفى ، عوفي فأتاه في بيته فذكر له المشروع الذي تعهّد به ، قال : والله سامحنا عندنا التزامات وأمور كثيرة ما نستطيع ، يقول الفاضل ثم فيما بعد مرض مرة أخرى فأتيته في المستشفى فقال هيئ لي المخططات وأنا أتولى هذا الأمر يقول فذهبت لأهيئها له ثم في أثناء تهيئتها مات قبل أن تصل إليه – وفي هذا الباب قصص كثيرة فيها عبرة والسعيد من اتعظ بغيره–

فالحاصل أن حال الصحة يحصل فيها شحٌ في المال والسبب كما جاء في الحديث تخشى الفقر وتأمل الغنى لكن إذا كان مريضاً ولا سيما إذا اشتد المرض لا يبالي يخرج من الأموال، لكن أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت على هذه الحال صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى يعني تأمل أن يكثر مالك وتُروى " وتأمل البقاء " –وهذه الرواية في صحيح مسلم – ولعلها أَولى

لأن " تخشى الفقر" متضمنة المعنى الثاني ، وهو تأمل الغنى " فتخشى الفقر وتأمل البقاء " أي بالعافية التي عندك والصحة تأمل أن تبقى طويلاً لكن المريض يحس بمرضه أنه شارف على مفارقة الحياة فيبدأ يخرج من ماله لفلان كذا ولفلان كذا

ثم قال " حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ألا وقد كان لفلان "

أي لفلان كذا صدقة ولفلان كذا صدقة يخرج من المال في حال المرض

قوله " حتى اذا بلغت الحلقوم " ليس المراد بـ" بلغت" أي أنه وصل إلى درجة الغرغرة وخروج النفس ، لأن في مثل هذه الحال لا تكون تصرفات المرء من عطاء وهبة نافذة وماضية وإنما المراد بقوله " حتى اذا بلغت الحلقوم " : أي قاربت

وقوله هذا يفيد أن روح المرء في خروجها تبدأ تخرج من أسفل بدنه ولهذا أول ما يموت من الانسان أسفله إلى أن تبلغ روحه الحلقوم في نزعها وخروجها من بدنه قال ﴿ حتى اذا بلغت الحلقوم ﴾ ولهذا إذا بلغت الحلقوم يغرغر الانسان بها ثم يفارق هذه الحياة

قال " حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ألا وقد كان لفلان "

" وقد كان لفلان " لأنه بمفارقته الحياة لم تبقى أمواله له لأنه فارق الحياة بخلاف الصحيح الذي ينفق وهو صحيح فإن أمره مختلف عن هذا الذي يخرج في لحظاته الأخيرة من عمره المال بعد قليل هو آيل إلى غيره وصائر لغيره ،

ولهذا قال " وقد كان لفلان " لأن مال المرء له في حياته واذا مات لم يصبح مالاً له وإنما يصبح مالاً للورثة ولهذا يعدّ المرء في هذه الحياة ولاسيما الجامع له والمكتنز له يعد خازناً وحافظاً وظَف نفسه في هذه الحياة أن يحفظ المال ويجمعه للورثة الذين يقتسمون المال من بعده ، بخلاف المنفق ، المنفق: هو الذي أحسن إلى نفسه إحساناً عظيما لأنه قدَم لنفسه يقول ابن ادم مالي مالي وهل مالك إلا ما أكلت فأبليت ولبست فأفنيت أو تصدقت فأبقيت هذا مال الانسان وسواه هو لورثته وليس له .

٨-[وروى أبو أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى " أخرجه مسلم ،

واليد العليا : هي المنفقة كذا جاء مفسراً في الحديث ،

وقال الخطابي : روي في بعض الحديث أنها المتعففة والسفلى السائلة ،

وروي عن الحسن أنه الممسكة المانعة

وذهبت المتصوفة إلى أن اليد العليا هي الآخذة لأنها نائبة عن الله تعالى

وما جاء في الحديث الصحيح أولى]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك " بفتح الهمزة في قوله " أن " والمراد بالفضل أي ما فضل عن حاجتك وحاجة أولادك وأهل بيتك وما زاد عن الحاجة أن تبذله خير لك ،

لأنه يبقى لك ذخراً وأجراً وثواباً عظيماً يوم تلقى الله وبركة عليك في هذه الحياة وما نقصت صدقة من مال ،

قال " وأن تمسكه شر لك "

أما إن كان إمساكه إمساك لما أوجب الله عليه بذله وإنفاقه فهو شر له ؛ لأنه يكون بذلك آثماً . وأما إن كان الذي أمسكه من باب المندوبات بذله وإخراجه ؛ فهو شر له لأنه أبقاه عنده شاغلاً له مع غير حاجة له إليه ، فهو شر له في كلتا الحالتين ،

قال " ولا تلام على كفاف "

يعني لا يلام المرء على إمساكه لما يكفيه وما هو محتاج إليه ، لا يلام على إمساكه من حاجاته ما فيه كفايته وما فيه حاجته وحاجة أهل بيته وولده لا يلام على كفاف وإنما اللوم في الفضل الزائد الذي لا حاجة للإنسان فيه

قال " وابدأ بمن تعول "

أي من أهل وولد والنفقة على هؤلاء واجبة فيبدأ بهم والنفقة عليهم أولى من غيرهم ومقدمة على غيرهم

قال " واليد العليا خير من اليد السفلى "

العلوّ هنا : علوّ الفضل والمكانة والنُبل والقدر في البذل والعطاء والسخاء ،

ما اليد العليا واليد السفلى ؟ النبي صلى الله عليه وسلم فسَر ذلك بنفسه كما في الصحيحين وإذا جاء نهر الله بطل نهر عمْر ، لا يحتاج إلى تفسير مفسر ولا بيان مبين وإنما يقتصر على ما بينه عليه الصلاة والسلام ، فاليد العليا واليد السفلى بينها النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة إلى تكلف وإنما يقتصر على ما بينه صلوات الله وسلامه عليه

والمصنف رحمه الله أشار إلى ذلك قال " العليا هي المنفقة والسفلى هي الآخذة كذا جاء مفسراً في الحديث "

والحديث في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى الآخذة " ففسر النبي صلى الله عليه وسلم المراد بالعليا والسفلى فلا يحتاج بعد بيانه إلى بيان أحد

قال المصنف "وقال الخطابي : روي في بعض الحديث أنها المتعففة والسفلى السائلة"

يعني جاء في بعض روايات الحديث بدل قوله " واليد العليا المنفقة "

جاء في بعض الروايات " واليد العليا المتعففة والسفلى هي الآخذة " ، لكن الأولى والأصح هي الرواية المتقدمة وهي في الصحيحين " واليد العليا هي المنفقة"

قال " وروي عن الحسن أنها الممسكة المانعة "

يعني السفلى هي الممسكة المانعة

قال " وذهبت المتصوفة إلى أن اليد العليا هي الآخذة "

يعني اليد التي تمتد للناس تسألهم وتستجدي منهم هي اليد العليا في فهم هؤلاء ، وهذا التفسير لائق تماماً بحال هؤلاء لأن من الأمور التي يبنى عليها التصوف تعطيل الأسباب والتواكل الذي يورث في فاعله احتياجه إلى الناس والتسول حتى إن التسول في بعض طرق التصوُّف عُدّ من الطرق الموصلة إلى الله التي بزعمهم يكون فيها كسر للقلب وإيجاد الافتقار فيه وهذا كله من الباطل المتراكم الناشئ من البعد عن هدي الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه

قال " وذهبت المتصوفة إلى أن اليد العليا هي الآخذة " وهذا كلام باطل مجانب للحق "لأنها نائبة عن الله تعالى " لانه جاء في الحديث " أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد المتصدق عليه " وهذا من الفهم الأعوج الفهم المنحرف لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى تقع في يد الله على المعنى السابق مرّ معنا في صدر هذه الفضائل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا يتصدق أحدكم بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربِيها له كما يربي أحدكم فلُوَّه "

قال المصنف رحمه الله " وما جاء في الحديث الصحيح أولى "

يعني هذه الأقوال أشار إليه مجرد إشارة أما الصحيح هو ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي الآخذة أو السائلة "

٩- [وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " على كل مسلم صدقة " فقالوا : يا رسول الله فمن لم يجد ، قال : " يعين ذا الحاجة الملهوف " قالوا : فإن لم يجد ، قال :" فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة " متفق عليه]

الشرح..

ثم أورد هذا الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " على كل مسلم صدقة " أي كل يوم – كما مرّ معنا–

" على كل سلامى من أحدكم صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس " فهذه صدقة مطلوبة من المسلم كل يوم بحيث يكون له في كل يوم حظ ونصيب من الصدقة

قال " فقالوا يا رسول الله فمن لم يجد " يعني يمر عليه أيام لا يجد ما يتصدق به وهذا السؤال مبني على حرصهم رضي الله عنهم على الخير

قال "يعين ذا الحاجة الملهوف " الملهوف :المضطر المحتاج إلى من يعينه وهذا يتناول كل أنواع الإعانة لأصحاب الضرورات والمحتاجون إلى المعاونة والمساعدة والدلالة والإرشاد ونصح وتوجيه

قال " قالوا : فإن لم يجد " يعني لم يجد ذا حاجة ليعينه ماذا يصنع

قال" فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة "

يعمل المعروف من ذكر وحمد وتسبيح وقراءة للقرآن وصلاة ودعاء وغير ذلك وليمسك عن الشر يعني يكف عن المعاصي والآثام يمنع نفسه من الوقوع فيها قال " فإنها له صدقة " أي صدقة منه على نفسه بفعله للمعروف وتجنبه للمعاصي والمنكرات .

١٠-[وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب كلّها من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأرجو أن تكون منهم " متفق عليه ،

قوله " من أنفق زوجين " قال الحسن البصري يعني اثنين من كل شيء : درهمين ، دينارين ، ثوبين

وقال غيره يريد شيئين درهماً ودیناراً درهماً وثوباً ، خفاً ولجاماً ونحو هذا ،

قال الباجيّ يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين .]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في الحث على الصدقة والترغيب فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من أنفق زوجين في سبيل الله "

" زوجين " نقل المصنف رحمه الله تفسيرات عن أهل العلم عن المراد بالزوجين فقيل : الشيئين من نوع واحد مثل درهمين أو دينارين أو شاتين أو ثوبين أو بعيرين وهكذا،

وقيل المراد بالزوجين : شيئين من نوعين مختلفين مثل درهم ودينار ، ثوب وعمامة أو لجام وخف أو شاة وبعير وهكذا

وقيل المراد بذلك: العبادات مثل ركعتين أو صيام يومين أو صدقتين وهكذا ،

قال" من أنفق زوجين في سبيل الله تعالى نودي في الجنة : يا عبد الله هذا خير " "هذا " إشارة إلى ما بذله و قدّمه من الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا

قال " فمن كان من أهل الصلاة يُدعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان "

وهذا فيه أن الأعمال الصالحة ولا سيما مباني الدين " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا " فهذه الأعمال موجبات لدخول الجنة حتى إن للجنة أبواب بأسماء هذه الأعمال ، باب الصلاة وباب الزكاة وباب الجهاد

قال " ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان "

لم يسمَ باب الصيام مثل باب الصلاة والصدقة والجهاد لان الصائم عطَّش نفسه وصبر على العطش طلباً لثواب ربه والفوز بمرضاته والجزاء من جنس العمل ولهذا يدخل من هذا الباب –

باب الريان – من الرِي إشعاراً أنه لا عطش ،وانتهى العطش على الداخلين ولا حصول له مطلقاً

قال " قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه "

وهو سبَاق الأمة إلى الخيرات وما سبق رضي الله عنه ، وهو خير الأمة ؛ أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلها ،بل إنه رضي الله عنه خير الناس بعد النبيين من جميع الأمم ، وهذا المعنى دلّ عليه القرآن والسنة أما في القرآن ففي قوله تعالى ﴿كنتم خيرَ أمةٍ أُخرِجت للناس ﴾ وهو رضي الله عنه خير هذه الأمة ، أما من السنة قال النبي صلى الله عليه وسلم " أبو بكر وعمر سيدا كُهُول أهل الجنة من الأولين والآخرين عدا النبيين " ليس من هذه الأمة بل من الأمم كلها

فمنزلة أبو بكر رضي الله عنه تلي الأنبياء منزلة وفضلاً في كل الأمم فهو رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال " يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها "

يعني يدعى من جميع الأبواب باب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة وباب الريان ، سأل رضي الله عنه بناء على ما قام فيه من حرص عظيم على المسابقة في الخيرات والمسارعة إليها والمنافسة في الصالحات رضي الله عنه

" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأرجو أن تكون منهم "

وهذه منقبة لأبي بكر لم تكن لغيره رضي الله عنه ، ولهذا لما أورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الحديث في – منهاج السنة وهو الكتاب الذي ردَ فيه على أباطيل الرافضة وأكاذيبهم– لما أورد هذا الحديث في فضائل الصدِيق رضي الله عنه قال " هذه لم تكن لغيره رضي الله عنه " وهذه منقبة عظيمة لصِديق الأمة رضي الله عنه وشاهد بيّن على عظيم مسابقته للخيرات وإيمانه وفعله للصالحات ، ومع هذه الفضائل العظمى والمناقب الكبرى لهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه إلا أن الروافض أخزاهم الله يعدُونه شر الناس بل يعدونه في بعض كتبهم شر من إبليس والعياذ بالله ، وهذا من أعظم الخذلان وانتكاس القلوب وزيغها وضلالها وكيف يصل الأمر بالإنسان إلى هذه الحال

المزرية ، وإذا نيل من صِدِّيق الأمة أي خير يبقى في من نال منه ! لا والله لا خير في من نال من صديق الأمة رضي الله عنه ،

والطعن فيه رضي الله عنه وفي غيره من الصحابة رضي الله عنهم طعن في الدين لأن هؤلاء هم رجالات الدين وحملته أهل الفضائل العظيمة والمناقب الجليلة ، ولهذا من يطعن فيهم لم يعرف الاسلام ، كيف يعرف الاسلام من طعن في حملته ونقلته للأمة رضي الله عنهم ولهذا قال الامام أبو زرعة الرازي رحمه الله : " اذا رأيتم الرجل ينتقص أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعلموا أنه زنديق لأن الدين حق والقرآن حق وإنما أدَى – يعني نقل إلينا ذلك – إلينا ذلك الصحابة فهؤلاء أرادوا أن يجرحوا شهودنا وهم بالجرح أولى فهم زنادقة "

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

الدرس الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

١١- [وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ أبا طلحة كان أكثر الأنصار بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بيرُحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيّب ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآية ﴿ لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحِبُّون ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله عز وجل يقول في كتابه ﴿ لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحِبُّون ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرُحاء ، وإنها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذُخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث شئت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَخٍ ؛ ذلك مال رابح قد سمعتُ ما قلتَ فيها وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه " متفق عليه ،

قوله " بيرُحاء " : هو موضع بقرب المسجد ، وقيل " حاء " اسم رجل إليه نسب البئر ، واختلف في تقييده فروي بفتح الراء في كل حال وروي بضم الراء في الرفع ، وفتحها في النصب وكسرها في الجر

وقوله " بخٍ " يقال بالتسكين وبالكسر مع التنوين ، قال الخليل يقال ذلك للشيء إذا رضيته ويقال ليعظم الأمر ،

ويقال مال رابح ، يروى بالباء الموحدة من الربح بالأجر وجزيل الثواب ، أي ذو ربح ، ويروى بالياء المثناة من الرواح عليه بالأجر على الدوام ما بقيت أصوله وثماره ، وقال الهروي : رابح أي ذو ربح ، ومن رواه : رابح أراد أنه قريب الفائدة]

الشرح..

هذا آخر حديث ساقه المصنف الإمام المنذري رحمه الله في كتابه – كفاية المتعبد – في الباب الثالث الذي خصصه في فضائل الصدقة ، يروي هذا الحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا طلحة كان أكثر الأنصار مالاً وأبو طلحة رضي الله عنه هو زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس بن مالك رضي الله عنه

قال أنس رضي الله عنه [أن أبا طلحة كان أكثر الأنصار في المدينة مالاً وكان أحب أمواله إليه بيرُحاء]

و بيرُحاء هو بستان كان في الجهة التي قبالة المسجد أي في قبلة المسجد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها ، – وجاء في رواية في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل فيها – ، وأخذ العلماء رحمهم الله من ذلك جواز قصد البستان للراحة فيه و الاستظلال وقضاء شيء من الوقت تحت ظل الشجر وفي داخله وكذلك أخذ منه العلماء إباحة استعذاب الماء وطلب الماء العذب الطيّب لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ،

وذِكْر أنس رضي الله عنه لدخول النبي صلى الله عليه وسلم وكونه يستظل فيها ويشرب من مائِه الطَيب كل ذلك من أجل بيان القيمة العظيمة لهذا البستان والمكانة العليّة للبستان عند صاحبه أبي طلحة ، ومن مكانة هذا البستان العظيمة أن النبي صلى الله عليه وسلم يدخله ويشرب من مائِه الطيّب فكان البستان أحب أموال أبا طلحة رضي الله عنه إليه

قال أنس [فلما نزلت هذه الآية ﴿ لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحِبُّون ﴾]

المطلوب من الآية بيّن وهو أن ينفق الانسان مما يحب وأن لا يتيمم الخبيث فينفق منه أو ما لا يحب ، فالمطلوب من الآية بيّن

﴿ لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحِبُّون ﴾ أي مما تحبه نفوسكم من أموالكم وترغب فيه وتحرص على بقائه

قال ﴿ لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحِبُّون ﴾ أي لن تنالوا حقيقة البِر وتمامه حتى تكونوا بهذا الوصف تنفقوا مما تحبون ، فالمطلوب في الآية مما يُنال به البر أن ينفق المرء مما يحب ، لكن

أبا طلحة رضي الله عنه أراد لنفسه درجة أعلى ؛ فالمطلوب أن ينفق مما يحب ، فأنفَق رضي الله عنه أحبَّ المحبوب ؛ فارتقى إلى درجة أعلى في سخاء نفسه وبذل المال فلما نزلت الآية ﴿ لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحِبُّون ﴾

لم يقتصر على انفاق المحبوب من ماله وإنما أنفق أحب ماله إليه

قال [قام أبا طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله عز وجل يقول في كتابه ﴿ لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحِبُّون ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرُحاء وإنها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرُها عند الله تعالى]

" أحب أموالي بيرُحاء " اختار الأحبّ – لم يقتصر على المحبوب – فأخرجها صدقةً في سبيل الله سخيَّة بها نفسه رضي الله عنه

"و إنّها صدقةً لله " هذا فيه أن الصدقة كغيرها من العبادات لا بد فيها من قصد التقرب إلى الله وطلب مرضاته حتى تدخل هذه الصدقة في صالح العمل لأنه لا يدخل في صالح عمل العبد إلا ما قصد به التقرب إلى الله وطلب ثوابه ورضاه سبحانه وتعالى

ثم قال " أرجو" أي بإخراجها

" برَّها وذُخرها " برَّها : أي خيرها وبركة هذه الصدقة وهذه النفقة

" وذُخرها " أي أدَّخر مثوبتها أجراً يوم ألقى الله

" أرجو برَّها وخيرها عند الله تعالى " يعني يريد على هذا الإخراج لهذه البئر في سبيله وطلب مرضاته الثواب يوم القيامة يوم ألقى الله

قال [فضعها يا رسول الله حيث شئت]

فوَّض أمر السبيل الذي تُصرف فيه هذه البستان التي تصدق بها إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

قال [بخٍ ذلك مالٌ رابح]

"بخٍ" هذه كلمة تقال عند الرضى في الأمر والثناء على العمل والمدح على الصنيع، قال ذاك مالٌ رابح .. ذاك مال رابح .. كرّرها عليه الصلاة والسلام مرتين للتأكيد " ذاك مال رابح " أي ربح صاحبه في الدنيا والآخرة ، وكان ماله ربحاً له وذخراً له يوم يلقى الله فهي التجارة الرابحة ﴿ هَلْ أدُلُّكم على تجارةٍ تُنْجيكم من عذابٍ أليم ﴾

و قصرت أنظار أكثر الخلق في الربح بالتجارة على الأرباح الدنيوية وغاب عن أكثرهم مثل هذا الربح العظيم والغنيمة العظيمة التي يحصِّلها المرء في الدنيا والآخرة

قال [ذاك مال رابح ذاك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها]

يعني قد سمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال أبو طلحة رضي الله عنه في بستانه من مكانتها العظيمة في نفسه ومنزلتها وأنها أحب أمواله إليه وأنه أخرجها طيّبة بها نفسه في سبيل الله وطلب مرضاته جل وعلا

قال " وإني أرى أن تجعلها في الأقربين "

أي تجعلها في قرابتك حتى تكون جامعةً بين الصدقة والصلة

فيجمع في هذا الصنيع بين الحُسنيين ؛ صلة الأرحام والقرابة وهم أحقّ بالمعروف وأَولى به وتكون في الوقت نفسه صدقة ، وهي في الأقربين أولى وهم أحق بالمعروف

وجاء في رواية عند البخاري قال : " قبِلتها منك ورددتُها عليك " وأراد بقوله "رددتها عليك" أي أن تجعلها في قرابتك الذين هم أحق الناس بالمعروف

قال [فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه]

أي امتثل لما أرشده إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء في سنن أبي داوود قال " فقسمها بين حسان بن ثابت وأُبَيّ بن كعب رضي الله عنهما " ويلتقي مع حسان بن ثابت في الجد الثالث ويلتقي مع أُبَيّ في الجد السادس

قال " قوله : بيرحاء ": هو موضع بقرب المسجد ، وقيل " حاء " اسم رجل إليه نُسب البئر ، واختلف في تقييده فرُوي بفتح الراء في كل حال ورُوي بضم الراء في الرفع ، وفتحها في النصب وكسرها في الجر "

يعني البستان الذي أخرجه رضي الله عنه يسمى بيرُحاء ، وبيَّن المصنف رحمه الله أنه موضع قريب من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبلة المسجد

قال [" بخٍ " يقال بالتسكين وبالكسر مع التنوين]

يقال بالتسكين يعني " بخْ " ، وبالكسر مع التنوين يعني " بخٍ"

قال [قال الخليل : يقال ذلك للشيء إذا رضيته ويقال ليعظم الأمر]

يعني يقال في مقام الرضا عن الصنيع ومدح لفاعله والثناء على الفعل ويقال لإعظام الأمر إشارة إلى عظمة الأمر وأنه أمر عظيم مثل قوله صلى الله عليه وسلم في مقام إعظام الأمر" بخٍ بخٍ خمسٌ ما أثقلهن في الميزان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد يتوفى للعبد الصالح فيحتسبه عند الله جل وعلا "

قال [وقوله مال رابح يروى بالباء الموحدة من الربح بالأجر وجزيل الثواب ، أي ذو ربح ، ويروى بالياء المثناة]

" ويروى بالياء المثناة " يعني مالٌ رايح

قال [من الرواح عليه بالأجر على الدوام ما بقيت أصوله وثماره]

أي رايحٌ عليك نفعه ، مال رايح أي رايح عليك أجره على الدوام وبشكل مستمر ، قال [وقال الهرَوي : رابح أي ذو ربح ، ومن رواه : رابح أراد أنه قريب الفائدة] وبهذا انتهى ما أورده المصنف رحمه الله من أحاديث تتعلق بفضائل الصدقة وبقي من هذا الكتاب الباب الرابع في الدعاء والذكر .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا بما علّمنا ويزيدنا علما وأن يصلح لنا شأننا كلّه ولا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

شرح كفاية المتعبد

وتحفة المتزهد للمنذري

للحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه اللّه

من الدرس ١٦ إلى الدرس ١٨

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٤/١٧ هـ

الدرس السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[الباب الرابع : في الدعاء والذكر]

[فضله]

١-[روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وقالَ ربُّكُمُ ادْعُونِي أَستَجِبْ لَكُم إنَّ الّذينَ يَسْتَكبِرونَ عن عبادَتِي سَيَدخُلونَ جهنَّمَ داخِرين ﴾ " أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه]

الشرح..

هذا الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب وهو في فضائل الذكر والدعاء وعرفنا أن هذا الكتاب مختص في فضائل الأعمال ، وأنه رحمه الله قسّمه إلى أبواب أربعة :

الأول في فضائل الصلاة والثاني في فضائل الصيام والثالث في فضائل الصدقة والرابع في فضائل الذكر والدعاء ،

والذكر هو الثناء على الله تعظيماً وتمجيداً به سبحانه وتعالى بما هو أهله وهو أهل الثناء والحمد والله جل وعلا أمر عباده بذكره ، بل أمرهم بذكره بالكثرة ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذِكراً كثيرا ﴾ وقال الله ﴿ والذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكراتِ أعدَّ اللهُ لهم مغفرةً وأجراً عظيما ﴾ وهو من أجلّ

الأعمال وأعظم القرَب وأحبها إلى الله ، ومن ذكر الله ذكره الله ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ " ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خير منهم " وكفى هذا دليلاً على شرف الذكر وعظيم منزلته

والدعاء سؤال الله والالتجاء إليه في طلب خيري الدنيا والآخرة وصلاح الدين والدنيا والآخرة وذلك أن الأمر كله بيد الله ، فبيده العطاء والمنع والعز والذل والحياة والموت والقبض والبسط ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ،

عطاؤه كلام ومنعه كلام ﴿ إنما أمْرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقولَ لهُ كُن فيكون ﴾ ، والدعاء حبيب إلى الله بل ثبت في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال " ليس شيء أكرم على الله من الدعاء " وقال صلى الله عليه وسلم " من لم يسأل الله يغضب عليه " هذا فيه أن الله يحب الدعاء ويحب عباده الداعين المقبلين عليه سؤالاً وطلباً وتذللاً ،

والدعاء أفضل أنواع العبادة وأعلاها شأناً ، قد دل على ذلك دلائل كثيرة منها هذا الحديث الذي صَدّر به المصنف رحمه الله هذه الترجمة حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " الدعاء هو العبادة "

وقد جاء هذا الحديث من رواية ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " أفضل العبادة الدعاء "

[ثم تلا هذه الآية الكريمة ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾]

فالدعاء أفضل العبادة وأحبها إلى الله وهذا المعنى دل عليه هذا الحديث حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال " الدعاء هو العبادة " ، مثله قوله صلى الله عليه وسلم " الحج عرفة " ، " الدين النصيحة "

فالدعاء هو العبادة هذا دليل على فضل الدعاء وأنه أشرف أنواع العبادة وأكرمُها على الله وأحبها إليه ، وأن الواجب على المسلم أن يستشعر مكانة الدعاء وعليَّ قدره فلا يعجز عنه بل يُقبل عليه ويكثر من الإلحاح على سيده ومولاه جل في علاه ﴿ وقال ربُّكم ادعوني أَستجب

لَكُم ﴾ أمَر بالدعاء ووعد بالإجابة وهو الذي لا يخلف الوعد سبحانه وتعالى ، أمر بالدعاء وهو غني عن العباد وغني عن دعواتهم فهو سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة الطائعين ولا دعاء الداعين ، يقول الله جل وعلا في الحديث القدسي : " يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَرّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخْيَط إذا أدخل البحر " وإذا أدخل مخيط في بحر أي شيء ينقص من البحر اذا أدخل فيه ! وهذا فيه أن خزائن الله ملأى لا يغيظها نفقة ولا ينقصها عطاء سحّاء الليل والنهار ، وعطاؤه كلام ومنعه كلام ، ولهذا من أعظم الأمور المعينة للعبد على الدعاء أن يعرف ربه ، أن يعرف من يدعو وأنه يدعو من بيده الأمور ومن بيده ملكوت كل شيء ومن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء

ولِذا ينبغي على العبد المسلم أن يعرف قدر الدعاء وعظيم شأنه وأن يعرف فقره إلى الله وعدم غناه عنه طرفة عين فيُقبل عليه في كل حاجاته سائلاً طامعاً راجياً موقناً أن ربه لا يرد من دعاه ولا يخيّب من ناجاه ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعان ﴾ واذا عُلم من هذا الحديث وغيره من نصوص الشريعة مكانة الدعاء وأنه أعلى العبادة شأناً فيجب أن يُخلَص لله وأن يفرد به فلا يُدعى إلا الله ولا يُسأل إلا الله ولا يُستغاث إلا به ولا يُتوجه بالدعاء والطلب إلا لله فإن دعوة غيره والالتجاء إلى غيره هذا من أعظم الضلال وأشنعه ﴿ وَمَن أَضَلُّ مِمَّن يَدعو من دونِ اللهِ من لا يستجيبُ لَهُ إلى يومِ القيامةِ وهُم عن دُعائِهم غافلونَ ۞ وإذا حُشِرَ الناسُ كانُوا لهُم أعداءً وكانُوا بعبادتِهِم كافرين ﴾ ، ﴿ قلِ ادعُوا الذين زعمتُم من دونِه فلا يملكون كشف الضرِ عنكُم ولا تحويلا ﴾ ﴿ قلِ ادعوا الذين زعمتم من دونِ اللهِ لا يملكون مثقالَ ذرةٍ في السماواتِ ولا في الأرضِ وما لَهم فيهِما من شركٍ وما له منهم من ظهير ۞ ولا تنفعُ الشفاعةُ عندهُ إلا لِمن أَذِنَ له ﴾ وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ والذين تَدعونَ مِن دونِهِ ما يملكونَ من قطمير

﴿ إن تدعوهُم لا يسمعوا دعاءَكم ولَو سَمِعوا ما استجابُوا لَكُم ويومَ القيامةِ يَكفُرونَ بِشِركِكُم ولا يُنَبِؤكَ مثلُ خبير﴾ فالدعاء هو العبادة والعبادة حق لله لا يجوز صرف شيء منها لغيره ، فمن دعا غير الله كان من الكافرين المشركين ﴿ ومن يدعُ مع اللهِ إلهاً آخرَ لا برهانَ لهُ بهِ فإنما حسابُهُ عند ربِّهِ إنه لا يفلحُ الكافرون ﴾ فمن يدعوا غير الله يعد كافراً كفراً أكبر ناقلاً من الملة ؛ لأن الدعاء عبادة بل هو أعظم العبادة وأرفعها شأناً فلا يدعى إلا لله ولا يستغاث إلا به ولا يطلب المدد والعون إلا من الله وهذا حقيقة لا إله إلا الله ، حقيقة كلمة التوحيد إخلاص الدين لله ﴿ قل إنَّ صلاتي ونُسُكِي ومحيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالمينَ ۞ لا شريك له ﴾

صدَّر رحمه الله هذه الترجمة بهذا الحديث تنبيهاً على مكانة الدعاء وعظيم شأنه وأن الواجب على المسلم أن يكون على عناية عظيمة بالدعاء بقسميه المطلق والمقيد ، لأن الدعاء منه دعاء مطلق في كل وقت وحين ودعاء مقيّد بأحوال وأوقات أو مناسبات معينة فيحرص المسلم على الدعاء حرصاً عظيماً ويعتني به عناية دقيقة مع اليقين بالله والثقة به جل في علاه " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة "

ثم بعد ذلك شرع رحمه الله في تفاصيل تتعلق بالدعاء من حيث ما يقال عند النوم وما يقال عند دخول الخلاء وما يقال من أذكار ودعوات في الصلوات وغير ذلك مما يأتي الإشارة إلى فضائله فيما ساقه رحمه الله من الأحاديث عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

[ما يقال عند القيام من النوم]

٢-[روى ابن عباس رضي الله عنهم قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال : " اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق و وعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي

ما قدمتُ وما أخرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك " متفق عليه ،

قوله : " أنت نور السماوات والأرض " **معناه** ذو نور أي خالقه ، قيل نور الدنيا في الشمس والقمر ، وقيل منوّر قلوب عباده المؤمنين بالهداية والمعرفة ،

وقوله " قيوم السماوات والأرض " أي القائم بأمرهما "

الشرح..

ثم أورد رحمه الله في هذا الموضع ما يتعلق فيما يقال عند القيام من النوم وذكر رحمه الله بعض الأدعية والأذكار العظيمة الفاضلة التي تقال عند القيام من النوم ، ولعلّه والله أعلم بدأ بذلك بما يقال عند النوم لشرف الذكر والدعاء في ذلك الوقت وعظيم مكانته وما يترتب عليه من أجور عظيمة وثواب جزيل لمن يكرمه الله ويوفقه للعناية بالدعاء والذِكر عند قيامه من نومه ، وإنما يكون العبد كذلك ذا عناية بالذكر حين قيامه واستيقاظه من نومه إذا كان مشتغلاً بالذكر معتنياً به في أوقاته وأحايينه يجري على لسانه سهلاً عليه معتنياً به فإنه إذا كان كذلك فإنه أول ما يستيقظ من النوم – والنوم موتة صغرى– أول ما يبادر إليه ويُقبل عليه ذكر الله الذي هو مشتغل به ، وأيضاً دخل في هذا النوم على ذكر الله وعناية بالذكر فتكون يقظته من نومه ذكر الله ، ومن كان كذلك فهو على شرف عظيم وخير كبير ، وهو من أمارات عناية العبد بذكر الله سبحانه وتعالى أنه اذا استيقظ من نومه بادر إلى ذكر الله ولا سيما بالكلمات الأربع التي هي أحب الكلام إلى الله .. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .. فإن هذه الكلمات أَولى ما ينبغي أن يبادر المرء إليه إذا قام من نومه ومن كان كذلك فإن دعاءه مستجاب وصلاته مقبولة واستغفاره وطلبه لغفران الذنوب مستجاب ، هذا كله يدل على شرف الذكر ومكانته في هذا الوقت ، ولعلَه لأجل ذلك بدأ رحمه الله أول ما بدأ في فضائل الذكر والدعاء في بيان فضل ما يقال عند القيام من النوم ، والقيام من النوم

حياة كتبها الله لعبده بعد موتة حصلت له ولهذا مما يشرع للمسلم أيضاً أن يقوله عند قيامه من نومه " الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني " فالنوم موتة صُغرى والقَومة من النوم حياة بعد موتة فلهذا يُشرع للعبد أول ما يقوم من نومه أن يحمد الله على هذه الحياة ، فكم من أناسٍ وأناس ناموا على فُرشهم وكانت هي النومة التي لا قومة منها إلا إلى القبر ، فأول ما يبدأ يحمد الله ثم يعتني بالأذكار العظيمة المأثورة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ومن أعظمها وأجمعها في باب الذكر والدعاء والثناء والتوحيد والإيمان هذا الدعاء العظيم والذكر المبارك الذي كان يقوله نبينا صلى الله عليه وسلم إذا قام يتهجد من الليل ، وجاء في بعض روايات هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح به صلاته من الليل ، ويعد هذا الحديث حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم "إذا قام يتهجد من الليل.." يعد متناً جامعاً في الاعتقاد والتوحيد والإيمان ، حوى أصول الايمان وقواعد الملة والشريعة وأصول الديانة وإذا وُفق المسلم للعناية بهذه الكلمات العظيمة كل ليلة في جوف الليل مستحضراً ما دلت عليه هذه الكلمات من معاني وما تضمنته من العقائد والإيمانيات كان مجدداً لإيمانه كل ليلة قال صلى الله عليه وسلم " إن الإيمان ليَخلق في جوف أحدكم كما يَخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم " وهذا الدعاء العظيم من أعظم ما يكون في تجديد الإيمان وأنفعه في هذا الباب لاسيما عندما يقوم المرء وقد أخذ حظه ونصيبه من النوم والراحة يقوم ليصلي ما كتب الله له في جوف الليل مستفتحاً صلاته بهذه الكلمات متأملاً في معانيها ودلالاتها التي اشتملت عليه جُمل هذا الحديث والتي تبلغ اثنتين وعشرين جملة ؛ وهي جمل عظيمة جداً في تقرير الاعتقاد وتثبيت الايمان وتعميق التوحيد في القلب ، وإنما ينتفع العبد بهذه الكلمات الانتفاع العظيم إذا وُفق للعناية بفهم المعاني والدلالات وما تضمنته هذه الكلمات المباركات من بيان للتوحيد وتقرير له وإيضاح لأصول الايمان وقواعد الشريعة بأتم وأبلغ ما يكون من الإيضاح والبيان ، وأكتفي بالكلام على ما يتعلق بهذا الدعاء بالإحالة إلى رسالة مطبوعة بعنوان "المقالة المفيدة شرح حديث جامع في العقيدة " وهي رسالة خُصصت في شرح هذا الحديث وهي نافعة في بابها إن شاء الله تعالى

وقول المصنف رحمه الله [" أنت نور السماوات والأرض " يعني ذو نور أي خالقه ، وقيل نور الدنيا في الشمس والقمر ، وقيل منور قلوب عباده المؤمنين بالهداية والمعرفة "]

وهذا الذي ذكره هو لازم النور الذي هو اسم الله والذي يتضمن النور الذي هو صفته تبارك وتعالى ، فالنور يضاف إلى الله اسماً ويضاف إليه وصفاً ؛ كما أنه يوصف بالسمع والبصر والعلم فإنه كذلك يوصف بأنه نور جل وعلا ، فالله نور ووحيه نور وشرعه نور ونبيه صلى الله عليه وسلم نور "﴿ سِراجاً مُنيرًا ﴾ وعبادته وطاعته سبحانه وتعالى نور وثمرة طاعته نور في الطائعين ﴿ نُورُهُم يَسعَى بَينَ أَيدِيهِم و بِأَيمَانِهِم ﴾ فالذي ذكره رحمه الله هو أثر من آثار النور الذي هو اسم الله تبارك وتعالى وصفته جل في علاه ،

وأيضاً ما يتعلق باسم الله القيوم قال رحمه الله[" قيوم السماوات والأرض" أي القائم بأمرهما]، واسم الله القيوم وهو ثابت بالقرآن ﴿ اللهُ لا إله إلا هُو الحَيُّ القَيُّوم ﴾ يدل على هذا المعنى وهو كمال تدبير الله للخلق وتصريفه لهما وقيامه بشؤون العباد ، وأيضاً يدل على قيامه سبحانه وتعالى بنفسه ، فالقيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره ، فالأول يدل على كمال غناه والثاني يدل على كمال قدرته وتدبيره سبحانه وتعالى

٣-[روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من تعارَّ من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله وسبحان الله و الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال " اللهم اغفر لي ودعا استجيب له فإن توضأ وصلَّى قبلت صلاته " أخرجه البخاري ، وقوله " تعارَّ " بتشديد الراء قيل استيقظ وقيل تكلم وتمطى وأنّْ ، وقيل انتبه وقال بعضهم تمطى بصوت قال البعض وهو أبين وأشبه بالمعنى]

الشرح..

أورد رحمه الله هذا الحديث حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم [قال " من تعارّ من الليل " بتشديد الراء أي استيقظ وقيل تكلم وقيل تمطى وأنّ وقيل انتبه وقال بعضهم تمطى بصوت وقال البعض وهو أبين وأشبه بالمعنى]

هذه معاني قيلت في معنى تعارّ من الليل والمراد بذلك أي استيقظ من الليل سواء حصل له تمطي في استيقاظه أو أنين أو صوت ، أحياناً بعض الناس إذا استيقظ من نومه يستيقظ بشيء من الصوت مثلاً ، ومنهم من لا يكون كذلك ، فالمراد بتعارّ من الليل أي استيقظ من نومه وقام من نومه فإن أول ما ينبغي أن يبادر إليه ذكر الله حمداً وثناءً وتعظيماً وتنزيهاً لله

قال [من تَعَارَّ من اللّيل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير]

وهذه كلمة التوحيد التي بها قامت السموات والأرض ولأجلها خُلقت المخلوقات وأوجدت الجنة والنار فأهلها هم أهل السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة فعليها قيام دين الله ، " لا إله إلا الله " هذه كلمة التوحيد توحيد الله وإخلاص الدين له ،

لا إله إلا الله نفي وإثبات ؛ نفي العبودية عن كل ما سوى الله وإثبات العبودية بكل معانيها لله وحده ، وقوله " وحده لا شريك له " تأكيد للنفي والإثبات ، قوله " وحده " تأكيد للإثبات ، وقوله " لا شريك له " تأكيد للنفي وهذا من الاهتمام بمقام التوحيد ، وقوله " له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " هذه براهين للتوحيد ودلائل على وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له

قال [من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله]

هذه سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الكلمات الأربعة التي هي أحب الكلام إلى الله كما ثبت في صحيح مسلم وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر "

ومعنى سبحان الله : تنزيه الله ، أي أُنزِّه الله وأقدسه عن كل ما لا يليق به ، من النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقات ﴿ سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَ سَلَامٌ عَلَى المرسَلِينَ ۞ وَ الحَمدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾

والحمد لله : ثناء على الله مع حب له سبحانه وتعالى ، وفي الجمع بين التسبيح والحمد جمع بين التنزيه والإثبات ، تنزيه الله تبارك وتعالى عن النقائص وإثبات الكمال ، فالتسبيح تنزيه عن النقائص والحمد إثبات للكمال له سبحانه وتعالى

ولا إله إلا الله : هذه كلمة التوحيد وهي تعني إفراد الله بالعبادة وإخلاص الدين له ،

والله أكبر : كلمة تعظيم لله وإقرار بأن الله لا أكبر منه كما في حديث عَدي بن حاتم رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم " ما يُفِرّك يا عدي أيفرك أن يقال الله أكبر وهل شيء أكبر من الله " فالله أكبر تعني أنه سبحانه وتعالى الكبير الذي لا أكبر منه فهي كلمة تعظيم لله

ولا حول ولا قوة إلا بالله : كلمة استعانة والاتيان بها في هذا الموضع مناسب غاية المناسبة لأنك إذا قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله فأنت تبرأ إلى الله من حولك وقوتك وتطلب المدد والعون من الله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله أنت تطلب بهذه الكلمة المعونة ، ومن أنسب المقامات والأوقات لقول هذه الكلمة عندما تقوم من النوم تطلب من الله أن يعينك ؛ أمامك أعمال وأمور وطاعات عظيمة جداً يحتاج قيامك بها إلى معونة من الله ومدد من الله فيناسب أن تبادر أول ما تقوم من النوم أن تقول لا حول ولا قوة إلا بالله .. تطلب المعونة من الله بعد الثناء والتقديس والتكبير والتوحيد تطلب المعونة بقولك لا حول ولا قوة إلا بالله

[ثم قال " اللهم اغفر لي ودعا استجيب له]

قال " ثم قال " أي بعد هذه الكلمات " اللهم اغفر لي ودعا " ولفظ الحديث في بعض مصادره (ثم قال " اللهم اغفر لي أو دعا ") وَ " أو " هنا ليست للشك وإنما للتنويع سواء استغفر أو دعا فدعاءه مستجاب استغفاراً أو دعاءً وهذا فيه حث على المبادرة للدعاء بعد هذه الكلمات استغفاراً وسؤالاً فبعد أن يقول – لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله – يبادر إلى الاستغفار " اللهم اغفر لي" بهذه اللفظة التي نص عليها في الحديث .. اللهم اغفر لي، اللهم اغفر لي، اللهم اغفر لي ويسأل الله ما شاء من خيري الدنيا والآخرة فإن دعوته مستجابة ،

قال " ودعا استجيب له " وهنا أنبه على أمر يفرّط فيه كثير من الناس ‘ بعض الناس يسأل عن أشخاص مستجابِ الدعوة ليطلب منه أن يدعو له ويفرّط في مثل هذه الأمور ولهذا أحد الصالحين سُئل قيل له : هل تعرف أحداً مستجاب الدعاء قال أعرف من يجيب الدعاء ، وأحد التابعين دخل على شاب يعوده مريض فقال الشاب للتابعي – وهو فيما أذكر مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِخِّير– قال أُدعُ لي ، قال أُدعُ لنفسك ﴿أَمَّن يُجِيبُ المضطَرَ إِذَا دَعَاهُ ﴾ أي دعوتك دعوة مضطر ودعوة المضطر مستجابة لأن فيها إلحاح وقوة إقبال على الله

وكذا ينبغي على المسلم أن يحرص على مثل هذه الأوقات المباركة ويحرص على هذه الأذكار العظيمة في هذه الأوقات بين يديّ دعائه ومناجاته لربه سبحانه وتعالى ، فيُعوِّد نفسه أول ما يستيقظ من نومه أن يبادر إلى هذه الكلمات لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ، يقول الفيرَبْري – من رواة صحيح البخاري– فيما نقله الحافظ ابن حجر في كلامه على هذا الحديث في فتح الباري يقول الفيربري: " أجريت هذا الذكر على لساني عندما أستيقظ من النوم "أي كما ورد في

الحديث " ثم نمت ليله " يعني بعد ما جاء بهذا الذكر وما بعده قال " فأتاني آتٍ " أي في المنام قال " فأتاني آتٍ وقرأ ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَولِ وهُدُوا إلى صِرَاطِ الحَمِيد ﴾ ،

ولا شك أن العناية بهذا الذكر والمواظبة عليه من الهداية إلى القول الطيب ومن الهداية إلى صراط الحميد ، فينبغي على العبد المؤمن أن يُعنى به و يقول بعد أن يقوم من النوم : الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم يستغفر ويدعو ويتوضأ ويصلي

كما جاء في الحديث " فإن توضأ وصلى قبلت صلاته " واذا جاء بهذه الأمور الثلاثة عندما يستيقظ من النوم الذكر والوضوء والصلاة تنحل العقد لأن الشيطان كما جاء في الحديث " يعقد على قافية ابن آدم إذا نام ثلاث عقد عليك ليل طويل فارقد ، اذا قام فذكر الله انحلت عقدة واذا توضأ انحلت عقدة واذا صلى انحلت عُقَدهُ كلها أو قام نشيطاً طيب النفس وإلا قام خبيث النفس كسلان " فالحاصل أن العناية بهذه الكلمات المباركات أول ما يستيقظ المرء من نومه من أعظم ما ينبغي أن يعنى به المسلم ثم اذا قام يصلي يحرص على أن يستفتح صلاته من الليل بهذا الذكر والدعاء العظيم الذي مرَّ معنا في حديث ابن عباس رضي الله عنهما " اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيّون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوّة إلا بالله "

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

الدرس السابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[ما يقال عند دخول الخلاء]

[روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء قال " اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث " متفق عليه ،

الخُبث : بضم الخاء جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة يريد ذكور الشياطين وإناثهم وعامة المحدثين يسكّنون الباء وغلَّطهم الخطابي فيه وصوب ذلك غيره]

الشرح..

قال المصنف رحمه الله ما يقال عند دخول الخلاء ، والمراد بالخلاء الموضع الذي يقضي فيه المرء حاجته ، وقد جاءت السنة النبوية بما إذا قاله المسلم عند دخوله الخلاء تحقق له بذلك الحفظ والعافية والستر، فإن ما يؤثَر عن نبينا صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بما يقال عند قضاء الحاجة فيه ستر لابن آدم وفيه عافية له وفيه غفران لذنوبه إذا قضى حاجته ذاكراً نعمة الله سبحانه وتعالى عليه بأن يسر له هذا الطعام وهذا الغذاء فانتفع به بدنه وصحَّت به عافيته ثم خرج بهذا اليسر لم يبقى سموماً في بدنه ومضرَّة على جسده فيستغفر الله لعجزه عن شكر هذا المنعم سبحانه وتعالى كما جاءت به السنة يقول غفرانك ، فيبدأ دخوله لقضاء الحاجة

بالبسملة والتعوذ ويختم ذلك بطلب المغفرة ، وهذا من عظيم الهَدي وبركة هذه السنة العظيمة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ،

أورد حديث أنس رضي الله عنه [أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء قال اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث] إما بتسكين الباء أو ضمها والمراد بالخبُث ذكران الشياطين والخبائث إناثهم وهذا التعوذ فيه صيانة للعبد وستر له –كما جاء في الحديث الآخر– " ستر ما بين أعين الجن وعورة بني آدم بسم الله " ، عندما يدخل الخلاء فإن هذه البسملة وهذا التعوذ بالله ستر للإنسان وصيانة له وحفظ له بإذن الله ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانٌ ﴾ أي الذين يذكرون الله ويواظبون على ذكر الله سبحانه وتعالى في الأحوال كلها ومن ذلك عند قضاء الحاجة ، وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث بإسنادٍ قال عنه الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري على شرط مسلم زيادة البسملة في أوله " بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث "

يشرع للمسلم في كل مرة يدخل الخلاء لقضاء الحاجة قول : بسم الله ثم يأتي بهذا التعوذ من الخبث والخبائث ، وعرفنا أن هذا التعوذ فيه صيانة للعبد وستر له عن أعين الشياطين وشرورهم .

[ما يقال بعد الفراغ من الوضوء]

[روى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروّحتها بعشيّ فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يُحدِّث الناس فأدركت من قوله : " ما من مسلم يتوضأ فيُحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة " قال : فقلت ما أجود هذه ، فإذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود ، فنظرت فإذا عمر، قال: إني قد رأيتك حين جئت آنفاً ، قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء

ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء " انفرد به مسلم]

الشرح..

قال رحمه الله ما يقال بعد الفراغ من الوضوء ، والوضوء طهارة لبدن المرء، وقد جاء في السنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ما يشرع للمرء أن يقوله بعد هذه الطهارة البدنية بأن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيجمع بذلك بين الطهارتين ؛ طهارة الظاهر وطهارة الباطن الطهارة الحسية والمعنوية ، طهارة الظاهر بالوضوء وطهارة الباطن بالتوحيد فيتبع طهارة الظاهر بقوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وهذه طهارة لباطنه بتوحيد الله ، ولهذا ينبغي أن يعلم أن هذا التشهد سواء قيل في هذا الموضع أو في أي موضع لا يُؤتى به قولاً مجرداً وإنما يؤتى به مع تحقيق التوحيد وتجديد الإيمان وتوثيق عراه ، إذ هذا هو المقصد من الأذكار النبوية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي ليست مجرد ألفاظ تقال بل هي ألفاظ متضمنة لأجَلّ المعاني وأعظم المقاصد وأنبل الغايات ، ولهذا ينبغي على من يوفقه الله للإتيان بهذه الكلمات المباركات في أوقاتها وفق السنة أن يستحضر ما دلت عليه من معانٍ وأن يحقق ما دلت عليه من مقاصد جليلة وغايات نبيلة ،

أورد حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال "كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي "

هذا التناوب بين الصحابة رضي الله عنهم في رعاية الإبل له مقصد جليل يدل على همتهم العالية وعنايتهم الكبيرة بملازمته النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ الأحاديث عنه وتلَقيها منه والتفقه على يديه صلوات الله وسلامه عليه مع عدم فوات هذه المصالح ، فجمعوا بين الخيرين ؛ القيام بهذه المصالح بالتناوب عليها والحضور في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وأيضاً من فاتته فائدة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقت نوبته بلَّغه تلك الفائدة رفيقه وصاحبه ، وهذا مما يدل على الهمة الرفيعة العالية ، ولعلَّ الجادُّون يستفيدون من مثل هذه التجارب المباركة فيكون التناوب وتحقق المصالح الدينية

والدنيوية -على حد سواء- ، وهذا يفيد أن التعاون مثمر؛ المبني على الإخاء والمحبة والصدق تعاونا على البر والتقوى وطاعة الله سبحانه وتعالى

قال " جاءت نوبتي فروَّحتها بعشيّ " أي رددت الابل إلى مراحها ، أي المكان الذي تبيت فيه " بعشيّ " والمراد بالعشي أي ما قبل الغروب غروب الشمس ،

قال " فروّحتها بعشي فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يحدث الناس فأدركت من قوله " ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه "

" مقبلًا عليهما بقلبه "؛ أي لا يلتفت قلبه وقت صلاته إلى أمور الدنيا بل هو مقبلاً على الله صادقاً في التجائه إليه جل في علاه وأيضاً " مقبل بوجهه" ؛ أي لا يلتفت بوجهه أو بصره هنا وهناك أو تتبع الرائح والغادي ونحو ذلك منشغلاً ، بل ووجهه وبصره موضع سجوده ،

قال " مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة " وهذا فيه الثمرة العظيمة للطهارة والصلاة والعناية بهما وأنهما من موجبات الجنة والفوز برضى الله سبحانه وتعالى،

قال " فقلت ما أجود هذه " أعجبته جداً ، فرح بها ، سُرَّ بهذه الفائدة العظيمة التي سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبدى إعجابه وسروره بقوله " ما أجود هذه " أي: فائدة جيدة وعظيمة وثمينة ، يقول ذلك مغتبطاً فرحاً مسروراً

" فإذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود " انظر تحريك الرغبة والتشويق للفائدة ، لم يقل له الفائدة الأخرى مباشرة وإنما شوَّقه إليها " والتي قبلها أجود " ، هذه جيدة والتي قبلها أجود وقوله " والتي قبلها أجود " هذا دليل على تفاضل الأعمال وبعضها أفضل من بعض فالأعمال الصالحة متفاضله ، وهذا بابٌ ينبغي أن يحرص المرء المسلم على فقهه حتى تتحقق له المنافسة ونيل المراتب واكتساب الفضائل

قال" فنظرت فإذا عمر " أي الذي يقول هذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،

قال " إني قد رأيتك حين جئتَ آنفاً " أي الفائدة الأولى فاتتك ، لم تدرك إلا الفائدة الثانية ، فاتتك فائدة قبل هذه الفائدة وهي أجود ،

قال " ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء " يسبغ الوضوء يعني يأتي به تاماً مكملاً لا ينقص منه شيئاً

ثم يقول " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء " وهذا كما قدمت يجمع بين الطهارتين ، طهارة الظاهر بالوضوء وطهارة الباطن بالتوحيد ؛ التوحيد بنوعيه توحيد المرسِل سبحانه وتعالى بإخلاص الدين له وتوحيد المرسَل صلوات الله وسلامه عليه بتجريد المتابعة له ، فإن لا إله إلا الله تعني: إخلاص الدين لله وإفراد العبادة لله والبراءة من الشرك والخلوص منه ، ومحمد عبده ورسوله تعني : تجريد المتابعة له صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، بأن تُصدَّق أخباره ويؤتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه ، فإنَّ أشهد أن محمداً عبده ورسوله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر ، فإن الرسل الكرام بُعثوا ليطاعوا وتمتثل أوامرهم ويُنتهى عما نَهوا عنه ﴿ وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إلا لِيُطَاعَ بِإِذنِ الله ﴾

" ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء " وهذا فيه أن الجنة لها ثمانية أبواب وأن من أتى بهذه العبادة ، الوضوء ثم التشهد فتحت له على إثر ذلك الأبواب الثمانية يدخل من أيها شاء ، وجاء في الترمذي وغيره زيادة ثابتة لهذا الحديث " اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين " والسنة أن يقول بعد الوضوء (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) .

[ما يقول عند الخروج إلى الصلاة]

[روى علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم عن أبيه ، أنه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ رسول الله وتوضأ وهو يقول : ﴿ إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ وَ اختِلافِ اللَّيل وَ النَّهارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلبَابِ ﴾ فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ، ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات ، كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ، ثم أوتر بثلاث فأذَّن المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول : " اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً واجعل من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً واجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً اللهم أعطني نورا " انفرد به مسلم ،

قوله : واجعل في قلبي نوراً وفي بصري نورا وفي سمعي نورا .. الحديث ،

النور : الهداية والبيان وضياء الحق ، وقيل يحتمل أن يريد الرزق الحلال وقوة هذا الإعطاء به الطاعة]

الشرح..

قال رحمه الله ما يقول عند الخروج إلى الصلاة ، والصلاة عماد الدين وأعظم أركانه بعد الشهادتين ، وهي نور وضياء كما صح الحديث بذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال : "الصلاة نور " وجاء في الحديث الآخر " من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ يوم القيامة " ، فالصلاة نور وكذا جاءت السنة بمشروعية الدعاء بطلب النور في الخروج إلى هذه الصلاة التي هي النور ، وهذا من تمام التوافق وجميل المناسبة والمسلم خارج إلى صلاته التي هي نور أن يسأل الله أن يُعظم حظه من النور في كل أجزائه وفي جميع ذرات بدنه ، في ظاهره وباطنه ومن جميع جهاته من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله بأن يكون النور محيطًا به من كل جوانبه وأن يكون النور في كل جزء من أجزائه وذرة من ذراته ، يقول ذلك وهو خارج إلى الصلاة التي هي نور وهذا من تمام المناسبة وجميل الموافقة في الدعاء ، والدعوات النبوية المأثورة عن نبينا صلى الله عليه وسلم في الأوقات

المعيَّنة لها تعلق بتلك الأوقات أو تلك الأحوال التي تقال فيها تلك الدعوات ، وأورد المصنف رحمه الله عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبيه : أي ابن عباس " أنه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي في بيت خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن الصحابة أجمعين ، وكان غرضه من ذلك أن ينظر ويرقب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ليتفقه ويرى عبادة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل ؛ متى يقوم وينظر إلى وضوئه وصلاته وذِكره ودعائه ومناجاته وعدد ركعات صلاته ، فنام تللك الليلة في بيت النبي صلى الله عليه وسلّم عند خالته ميمونة من أجل التعلم والتفقه رضي الله عنه ، وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وابن عباس رضي الله عنهما ناهز الحلم لم يبلغ بعد ، قارب الاحتلام – يعني في الثالثة عشر أو الرابعة عشر من عمره– ، وقد نقل للأمة علماً كثيراً وخيراً عظيما مما سمعه ورآه من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله صلوا ت الله وسلامه عليه ، وكان عالماً فقيهاً بصيرا عالماً بالتأويل تفسير القرآن الكريم ، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأجاب الله دعوته ؛ فكان يحمل علما عظيما رضي الله عنه وهذا العلم هو ثمرة بعد توفيق الله ، ثمرة الصبر والمكابدة في نيل العلم وتحصيله ،

يقول " فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ وهو يقول ﴿ إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ وَ اختِلافِ اللَّيل وَ النَّهارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلبَابِ ﴾ لابد أن ننتبه وأخُص بذلك صغار السن إلى هذه المناهج العالية الرفيعة من شباب الصحابة رضي الله عنهم وهممهم العالية ، فانظر إلى هذا الصحابي في هذا السن في الثاني عشر من عمره أو الحادي عشر ، انظر همته العالية ، في الليل يأتي إلى بيت خالته ميمونة ليبات في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويرقب صلاته في الليل ، وهذا الارتقاب للصلاة في الليل يحتاج إلى انتباه وخفة رأس وتيقظ عند أي حركة وتنبُّه ، فانظر هذه الهمة العالية وفكر في نفسك وفي حالك وهمتك وليكن نظرك إلى حال هؤلاء الأخيار نظراً يحرك من نفسك الاقتداء بهم و الائتساء بهديهم فإنك إن وفقت لذلك نلت خيراً عظيما ،

ثم قال " فاستيقظ رسول الله وتوضأ وهو يقول ﴿ إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ وَ اختِلافِ اللَّيل وَ النَّهارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلبَابِ ﴾ فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة "

أي سورة آل عمران ، وقراءة هذه الآيات بعد الاستيقاظ من النوم مع التدبر والتأمل فيه نفع عظيم ، لأن قومة الانسان من نومته في هجعة الناس وسكون الكون والهدوء العظيم في ذلك الوقت وحصول الراحة للبدن وفراغ القلب ، فيتهيأ للعبد التدبر في هذه المخلوقات العظيمة الدالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى مما يثمر في قلب المتأمل تعظيماً للخالق وتسبيحاً ﴿ مَا خَلَقتَ هَذَا بَاطِلًا سُبحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار ﴾ فيثمر ثمرة عظيمة جداً ، ثم يقْبل القلب بعد ذلك بالدعاء والسؤال ثم تأتي الإجابة –إجابة الدعاء– فيعيش المرء مع هذه الآيات العظيمة متأملا في مضامينها ومعانيها ، وتزيد من رغبته في الطاعة وقوة إقباله على العبادة وقيام الليل

قال " ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود "

قد جاء فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته من الليل ، أنه يفتتح صلاته من الليل بركعتين خفيفتين ، والذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما أنه بدأ بركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود ، قال : " ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث " : أي أن عدد الركعات من غير الوتر ست وبين كل ركعتين ينام ثم يتوضأ ويستاك وقرأ هذه الآيات ، لكن قال النووي رحمه الله هذه الرواية فيها مخالفة لباقي الروايات في تخليل النوم بين الركعات وفي عدد الركعات فإنه لم يُذكر في باقي الروايات تخلل النوم وذكر الركعات ثلاث عشرة ركعة

قال " فأذن المؤذن وهو يقول " هذا موضع الشاهد من سياق الحديث

" اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً واجعل من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً واجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً اللهم أعطني نورا " عرفنا أن هذه الدعوات مناسبة تماماً للخروج إلى الصلاة لأن الصلاة نور فيناسب تماماً في خروج المسلم إلى صلاته

أن يطلب هذا النور ليكون في كل أجزائه وليكون محيط به من كل جهاته بهذه الدعوات وبهذا التفصيل في طلب النور كما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم

[روى الشعبي عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال " بسم الله توكلت على الله اللهم إنا نعوذ بك من أن نَزِل أو نَضل أو نَظلم أو نُظلم أو نَجهل أو يُجهل علينا " أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح]

الشرح..

ثم أورد حديث أم سلمة رضي الله عنها فيما يقوله إذا خرج من بيته ، إذا خرج من بيته سواء للصلاة أو لغيرها لمصالحه الدينية أو مصالحه الدنيوية يُشرع له أن يأتي بهذه الكلمات " بسم الله توكلت على الله اللهم إنا نعوذ بك من أن نَزل أو نَضل أو نَظلم أو نُظلم أو نَجهل أو يُجهل علينا " وجاء في بعض المصادر" اللهم إني أعوذ بك أن أَزل أو أُزل أو أَضل أو أُضل أو أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل علي " ، وهذا الدعاء مناسب أن يقوله المسلم في كل مرة يخرج فيها من بيته متوكلاً على الله ملتجئاً إليه مفوضاً أمره إليه سبحانه وتعالى ، لأن المرء إذا خرج من بيته سيلاقي الناس ويختلط بهم والناس أجناس في تعاملاتهم وفي أخلاقهم ، فيهم الضال وفيهم المهتدي وفيهم الظالم والجائر وفيهم الخلوق وفيهم غير الخلوق وفيهم المعتدي وفيهم المسالِم ؛ الناس أجناس وأصناف وسيلتقي بهؤلاء وهو أيضاً قد لا يسلم من شر أو زلل أو نحو ذلك ، فشُرع للمسلم في كل مرة يخرج فيها من بيته أن يدعو بهذا الدعاء بحيث لا يكون منه شيءٌ تجاه الناس ؛ يسأل الله أن يسلمه من أن يكون منه شيء من ذلك تجاه الناس ، أو يكون من الناس شيء من هذه الأمور تجاهه هو ، فيسلم ويُسلم منه ، بهذه الدعوات يَسلم من الناس ويُسلم الناس منه ولهذا كان بعض السلف يقول في دعائه (اللهم سلمني وسلّم مني) وهو بمعنى هذا الدعاء ولكن هذا الدعاء أجمع وأنفع وبعض العوام يقولون في دعائهم (اللهم لا تسلطنا ولا تسلط علينا) لا تسلطنا أي على الناس ولا تسلط الناس علينا أي بالأذى والعدوان وهو

حول هذا المعنى ، لكن دعوات النبي صلى الله عليه وسلم أجمع وأنفع ، وتناولت ما يتعلق بالدين قال " أن أَضل أو أُضل " ، وما يتعلق بالدنيا والمصالح الدنيوية قال " أن أَظلم أو أُظلم " ، وما يتعلق بالتعاملات بين الناس والاختلاط بهم قال " أن أزل أو أزل أو أجهل أو يجهل علي " ، فهذه الدعوات شاملة لكل هذه الأمور ، فينبغي للمسلم أن يأتي بهذه الدعوات المباركات إذا خرج من بيته سواء للصلاة أو لغيرها

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

الدرس الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[ما يقال عند الصباح]

[روى شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، إذا قالها حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنّة وإذا قالها حين يصبح فمات يومه مثله " انفرد به البخاري وغيره ،

وقوله أبوء لك بنعمتك قال الهَروي : أقر بها وألزمها نفسي وأصل البوء اللزوم ، وأبوء لك بذنبي أي أعترف طوعاً أي رجعت إلى الاقرار بعد الانكار]

قال المصنف رحمه الله ما يقال عند الصباح ، إدراك المرء للصباح هذه نعمة عظيمة حيث يَسر له الرب جل وعلا أن يكون ممن أدرك هذا الصباح وكان من المصبحين ، فكم من إنسان بات على فراشه ولم يصبح ، فإذا أصبح المرء وهو بالصحة والعافية والنعمة والرخاء فليذكر نعمة المنعم جل وعلا الذي به أصبح وبفضله أدرك الصباح " أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله " فيفتتح صباحه ويستهل يومه بالذكر والحمد والثناء والتعظيم للمنعم جلّ في علاه ولهذا جاءت السنة النبوية بجملة من الأذكار العظيمة التي يشرع للمسلم أن يستهل بها يومه ويفتتح بها

صباحه حتى يكون يومه كلُّه يومًا مباركًا ، لأن ما يكون من المرء في صباحه ينسحب على كل يومه إن نشاطاً فنشاط وإن كسلاً فكسل ، والصباح قيمته عظيمة جداً لا ينبغي أن يُضيع أو يفوت فرصته الثمينة بل ينبغي على المسلم أن يغنم صباحه بذكر ربه وحمده والعناية بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب ، وهذه الأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم أذكار كلها خير وبركة تعود على المرء بالعوائد الحميدة والخيرات المباركة في يومه ، بل وفي دنياه وأخراه وإذا استهل المسلم صباحه بهذه الأذكار حُفظ ووُقي وكفي وأُعين وسدد في أعماله وبورك له في يومه و أقيلت عثرته وحُفظ له يومه بإذن الله سبحانه وتعالى،

ومن جميل ما يُروى في بيان أهمية حفظ الوقت – الصباح الباكر– بذكر الله ، ما جاء في صحيح مسلم عن أبي وائل – شقيق ابن سلمة – ، ذكَر أنهم أَتوا بيت عبد الله بن مسعود بعد صلاة الفجر فاستأذنوا بالدخول فأُذن لهم فتأخروا قليلاً بعد الإذن بالدخول ثم دخلوا فسألهم ابن مسعود رضي الله عنه عن سبب التأخر وقد أُذن لهم فأجابوا بأنهم خشوا أن يكون في طريقهم أحد ، – حتى يُهيأ لهم الطريق من إنسان نائم أو نحو ذلك – فقال لهم ابن مسعود رضي الله عنه : " أظننتم بآل ابن أم عبد غفلة ! " .. يعني هذا وقت ما يُنام فيه وإنما وقت يعمر بالذكر لله ، ثم شرع يذكر الله ثم قال للجارية انظري أطلعت الشمس قالت لا ، ثم استمر يذكر الله ثم قال انظري أطَلعت الشمس قالت نعم ، فقال كلمة عجيبة قال : " الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ولم يؤاخذنا بذنوبنا " انظر ماذا قال ، قال الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا مع أنه في أول اليوم لكن هذا من فقهه رضي الله عنه أن من أمسك أول اليوم بالذكر حفظ له اليوم كله ، ولهذا قال بعض السلف " يومك مثل جملك إن أمسكت أوله تبعك آخره" ، ولهذا ينبغي أن يحرص المؤمن على هذا الوقت الثمين من طلوع الصبح إلى طلوع الشمس هذا وقت نزول البركات والخيرات وتقسيم الأرزاق والنبي صلى الله عليه وسلم قال " بورك لأمتي في بكورها " وخير ما يغتنم فيه هذا الوقت المبارك ذكر الله سبحانه وتعالى وأن يحرص المسلم على الأذكار المأثورة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأن يحفظها بألفاظها كما جاءت عنه مستحضراً معانيها محققاً ما دلَّت عليه

من تعظيم وتوحيد وتنزيه لله ، وقد أورد المصنف رحمه الله في هذا الموضع جملة من الأذكار المأثورة في الصباح ، بدأها بحديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إذا قالها حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنّة وإذا قالها حين يصبح فمات يومه مثله "

أي دخل الجنة أو كان من أهل الجنة ، والنبي صلى الله عليه وسلم سمَّى هذه الصيغة الواردة في هذا الحديث بهذه التسمية " سيد الاستغفار" لأنها أكمل صيغة وأفضل صيغة للاستغفار ، لأن السيد من معانيه المقدّم على غيره لحسن صفاته وخصاله وخلاله ولتميزه بالصفات الفاضلة الحسنة الطيبة ، المقدَّم على غيره يقال له السيد ، فالنبي صلى الله عليه وسلم أطلق على هذه الصيغة هذا الوصف " سيد الاستغفار" لأنه أكمل صيغ الاستغفار وهي صيغة عظيمة جداً فيها من التذلل والخضوع لله والاعتراف له بالعظمة والربوبية وكمال التدبير والتسخير والإقرار بالعبودية والذل له سبحانه وتعالى والاعتراف بالنعمة والاعتراف بالتقصير في حقه وجنبه سبحانه وطلب إقالة العثرة وغفران الذنب ، فهي صيغة عظيمة جداً وحريٌ بمن أكرمه الله بأن يستفتح يومه بهذا الاستغفار ويختتم يومه – لأنها تقال في الصباح والمساء – إن مات أن يكون من أهل الجنة ، لكن بشرط اليقين كما جاء مصرحاً بذلك في بعض ألفاظ الحديث ، قال: " من قالها موقناً بها " لا يكفي أن تُجرى ألفاظ الأذكار على اللسان بل لابد من استحضار المعنى واليقين " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة فإنه لا يستجيب لقلبٍ غافلٍ لاه " ولهذا إذا دعا المسلم بهذه الدعوات أو بغيرها يدعو بحضور قلب ويقين وثقة بالله وحسن التجاء إليه سبحانه وتعالى وفهم لمعاني ما يقول من أذكار وتحقيق لما دلت عليه من التعظيم والتمجيد والثناء والتوحيد لله سبحانه وتعالى

قال " سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت "

أنت ربي هذا توحيد الربوبية ، ولا إله إلا أنت هذا توحيد الألوهية ، ومن لازم إقرار العبد بأن الله وحده هو الرب لا شريك له أن يفرده بالعبادة وأن يخلص الدين له ﴿ وَأَنَا رَبُّكُم فَاعبُدُون ﴾﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم وَ الَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُون ﴾ فالعبادة حق لله المتفرد بالخلق ، خلق هذه الكائنات وإيجاد هذه المخلوقات لا شريك له ، فكما أنه الرب وحده فالواجب أن يفرد بالعبادة وحده وأن لا يصرف شيء من العبادة إلا له ،

" أنت ربي لا إله إلا أنت " ومعنى لا إله إلا أنت أي لا معبود بحق سواك

ثم أكد المعنى العظيم بقوله " خلقتني وأنا عبدك " خلقتني وأوجدتني من العدم ﴿ هَل أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهرِ لَم يَكُن شَيئًا مَذكُورًا ﴾ فالله أوجد هذا الانسان وخلقه وأمده بالسمع والبصر والصحة والعافية والغذاء والمسكن وغير ذلك ، ليكون عبداً لله ﴿ وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ والإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُون ﴾

" خلقتني وأنا عبدك " أنا عبدك ، أي قائم بما خلقتني لأجله وأوجدتني لتحقيقه ، أنا عبدك أي أنا عابد لك مطيع أمرك قائم بما أمرتني به ما استطعت ،

" وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت " على عهدك ووعدك أي ما عاهدتك عليه وواعدتك من امتثال أمرك والقيام بطاعتك ولزوم عبوديتك " ما استطعت " ، ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا استَطَعتُم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم " ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم " " صل قائماً فإن لم تستطع فجالساً فإن لم تستطع فعلى جنب "

" أعوذ بك من شر ما صنعت " أي من الأعمال السيئة والآثام والمعاصي الموجبة للعقوبة وسخط الرب سبحانه وتعالى ، "أعوذ بك من شر ما صنعت" أي أعوذ بك من شر كل أعمالي السيئة التي وقعت مني ، وهذا التعوذ من شر ما صنع العبد يشمل التعوذ من آثاره وعواقبه الوخيمة ويشمل من العَود إلى مثله من الأعمال السيئة بأن يعيذه الله فيقيه من هذه الأعمال ويجنبه الوقوع فيها ،

" أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي " أبوء بنعمتك ، نعمة مفرد مضاف ، والقاعدة في ذلك أنه يعم ، فالمراد بقوله " وأبوء لك بنعمتك علي " أي أبوء وأعترف بجميع نعمك علي من صحة وعافية وسمع وبصر وطعام وسكن وملبس " وأبوء بذنبي " أعترف بأني مقصر ومذنب ، أُقر بذنوبي وأخطائي ، وبوابة التوبة الإقرار بالذنب والاعتراف به والشعور بالتقصير، وهذا يفتح للعبد باب التوبة والانابة ،

ثم قال " فاغفر لي " هذا المطلوب وما قبله وسائل بين يدي هذا المطلوب " فاغفر لي " أي اغفر لي ذنبي واغفر لي خطيئتي وأقِل عثرتي " فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " ﴿ وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ ﴾ هذا فيه إيمان العبد بأن الله يغفر الذنوب مهما عظمت لا يتعاظمه ذنب ﴿ قُل يَا عِبَادِيَ الَّذينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لَا تَقنَطُوا مِن رَحمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم ﴾

قال " إذا قالها حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنّة وإذا قالها حين يصبح فمات يومه مثله " هذا فيه أن هذا الاستغفار بهذه الصيغة المباركة يشرع أن يقال في الصباح والمساء ويواظب عليه المسلم مواظبة يومية في الصباح مرة وفي المساء مرة ويقوله عن يقين كما جاء في بعض روايته " من قالها موقناً بها " ، يقول ذلك عن يقين بالله وثقة بموعوده فإذا قال هذه الكلمات مستشعراً معانيها ومدلولاتها موقناً بربه راجياً فضله كان من أهل الجنة وهذا يفيدنا أهمية المواظبة على هذا الاستغفار كل يوم في الصباح والمساء .

[روى أبان بن عثمان قال سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلم يضره شيء " وكان أبان قد أصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر إليه فقال له أبان ما تنظر أما إن الحديث كما حدثتك ولكني

لم أقله يومئذ ليمضي الله علي قدره " أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح]

ثم أورد هذا الحديث الذي يُشرع للمسلم أن يقوله كل صباحٍ ومساء و أن من قاله حفظ ولم يضره شيء يقول صلى الله عليه وسلم : " ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلم يضره شيء "

" بسم الله " هذه الكلمة في هذا الموضع فيها استعانة بالله سبحانه وتعالى بأن يعيذ العبد ، ففيها التجاء إلى الله سبحانه وتعالى، لأن الجار والمجرور في قوله بسم الله يتعلق بمحذوف مقدر متعلق بحال القائل ، فإن كان قراءة بسم الله أقرأ ، دخولاً بسم الله أدخل ، خروجاً بسم الله أخرج ، أكلاً بسم الله آكل ، تعوذاً بسم الله استعيذ ،

والمقام هنا مقام التعوذ والالتجاء إلى الله فقوله " بسم الله " أي بسم الله استعيذ أطلب منه العوذ متيمناً بذكر الله جل وعلا

" الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء" ، فإذا ذكر اسم الله حفظ العبد ولم يضره شيء ، وهذا كما أنه يفيد في هذا المقام حفظ العبد فإنه فائدة عامة في فضل الأذكار ، أن في ذكر الله عموماً حفظ للعبد وأن الذاكر لله في حصن حصين وحرز متين لا يضره شيء بإذن الله ،

قال " لم يضره شيء " أي لا يصيبه ، حتى لو قدر أن مثلاً هامَّة من الهوام أو دابة من الدواب تعرضت له فإنه لا يضره سمها أو أذاها فالمنفي الضرر لا يضره شيء حتى لو قدر أن حيةً لدغته أو عقرب أو نحو ذلك ، لا يصيبه ضرر ولا يجعل له أذى من سمها لا يضره شيء يعني أن هذا الذكر بإذن الله يجعله الله سبباً لوقاية العبد من حصول الضرر له فيكون حامياً وواقياً للعبد فلم يضره شيء ،

قال " وكان أبان " الراوي للحديث عن عثمان " قد أصابه طرف فالج " يعني في شيء في طرف من بدنه الفالج ، والفالج هو شيء من الشلل في بعض أطرافه " أصابه فالج "كأن يكون مثلًا في يده أو طرف قدمه

" فجعل الرجل ينظر إليه" وهو يحدث بهذا الحديث والرجل حاضر في المجلس ينظر إليه ، ماذا تعني هذه النظرة ؟ يعني روايته للحديث لم يضره شيء وأنت أيها الراوي لهذا الحديث مصاب بهذا الفالج فكأن نظرات عيونه تطرح هذا السؤال ..

" فقال له أبان ما تنظر " أي شيء تنظر ، " أما إن الحديث كما حدثتك " لا تنظر إلي ويقع في نفسك ارتياب في الحديث ، سبحان الله كثير من الناس يبتلى في هذا الباب ، باب الانتفاع بالأذكار المأثورة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بإخضاعها أولاً للتجربة وبناء ذلك على التجارب ثم بعد ذلك تكون القناعة أو لا تكون وهذه مصيبة ، يكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لم يضره شيء " يكفي ذلك لا يحتاج أن ينظر جرب فلان أم لم يُجرب ، تضرر فلان أو لم يتضرر، هذا كلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه ، قال " فقال له أبان ما تنظر أما إن الحديث كما حدثتك " لا يضره شيء يعني كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يضره شيء ، " ولكني لم أقله يومئذ " يعني اليوم الذي أصبت بهذه الإصابة لم أقله ، قال " ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله علي قدره " وهذا يستفاد منه أهمية المواظبة كل يوم ، وتحرص أن لا يفوتك يوم من الأيام حتى تكون هذه الفائدة والثمرة معك في كل يوم " لم يضره شيء ".

[وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه " انفرد به مسلم]

ثم ختم بهذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه " من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة " أي مائة مرة في الصباح ومائة مرة في المساء سبحان الله وبحمده ، وسبحان

الله وبحمده عندما تقولها بهذه الطريقة هادئاً مطمئناً سبحان الله وبحمده سبحان الله وبحمده ما تأخذ دقيقتين ، ربما يستثقلها بعض الناس يقول مائة مرة ويظن أنها كثيرة وهي ما تأخذ دقيقتين وإن اطمأننت أكثر لا تزيد عن ثلاث دقائق ، لا تأخذ وقتا لكن انظر هذه الثمرة " لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه " زاد عليه أي من الأذكار الأخرى المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس معنى زاد عليه أن تقول سبحان الله وبحمده مائة وعشرة ، لا ، بل تعدها مائة مرة في الصباح ومائة مرة في المساء تزيد الأذكار الأخرى المقيدة والأذكار المطلقة تكثر ذكر الله

وقول " سبحان الله وبحمده " جمْع بين التنزيه والاثبات ، التسبيح تنزيه والحمد إثبات ، تنزيه الله عن النقائص والعيوب وإثبات الكمال له سبحانه وتعالى .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

شرح كفاية المتعبد

وتحفة المتزهد للمنذري

للحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه اللّه

من الدرس ١٩ إلى الدرس ٢١

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٤/٢٤ هـ

الدرس التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[ما يقال عند سماع الأذان]

[روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر الله له ذنبه " انفرد به مسلم]

الشرح..

قال المصنف رحمه الله ما يقال عند سماع الأذان ، الأذان ؛ كلمات مباركات يؤتى بها عند دخول وقت الصلاة إيذان بدخوله وإعلاماً بدخوله وهي كلمات عظيمة قائمة على التوحيد والتعظيم لله سبحانه وتعالى والترغيب في الصلاة والحث عليها والنداء لها وبيان ما فيها من فلاح وخير فهي كلمات عظيمة إذا أحسن المسلم الاستماع إليها وقال مثل ما يقول المؤذن مردداً معه وأتى بالأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم فتحت له أبواب الخيرات وفتحت له أبواب الجنة وكانت سبباً عظيماً لطمأنينته في صلاته وخشوعه فيها وإقباله عليها بقلبه ، وكثيرٌ من الناس يفَرِّطون في هذا الأمر فيؤذن

المؤذن ولا يُلقون بالاً لسماع الأذان والترديد مع المؤذن بل يبقون في أحاديثهم وأعمالهم ومصالحهم وهذا مما يضعف هِمة المرء وإقباله على صلاته ، وقد جاء في حديث عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر، فقال أشهد أن لا إله إلا الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله ، وقال أشهد أن محمداً رسول الله فقال أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال حي على الصلاة فقال لا حول ولا قوَّة إلا بالله ، فقال حي على الفلاح قال لاحول ولا قوة إلا بالله ، فقال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر، قال لا إله إلا الله فقال لا إله إلا الله متابعة للمؤذن من قلبه إلا دخل الجنة " ، وهو حديث صحيح فكيف يفوِّت المسلم على نفسه هذا الخير العظيم والفضل المبارك ، ولهذا ينبغي للمسلم عند سماع المؤذن أن يتوقف عن حديثه حتى وإن كان يتلو القرآن الكريم فإنه يتوقف عن التلاوة ويردد مع المؤذن فإن أفضل عمل في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت وهذه قاعدة مهمة في باب العبادات ، قراءة القرآن الكريم من أجَّل الأذكار وأعظمها شأناً وأرفعِها مكانة ، لكن إذا أذَّن المؤذن فإنه أفضل من التلاوة أن تستمع للمؤذن وأن تقول مثل ما يقول كما جاءت بذلك السُنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف إذاً بالأحاديث الخاصة ؛ كثير من الناس يؤَذِّن المؤذن وهم مستمرون في أحاديثهم الخاصة وشؤونهم وأمورهم ولا يبالون بسماع المؤذن فيقولون مثلما يقول فيفوِّتون على أنفسهم خيراً عظيماً ، والسنة جاءت بجملة من الأذكار تتعلق بالأذان عند سماعه ، سواء أثنائه أو بعد الفراغ من سماعه وانتهاء الأذان ، جاءت السنة أن يقول بعد انتهاء الأذان ، أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول " اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته " و أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من

يقول ذلك بعد سماع الأذان حلت له الشفاعة شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومما يُشرع للمسلم أن يقوله عند سماع الأذان ؛ ما جاء في هذا الحديث الذي ساقه المصنف حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه – أحد العشرة المبشرين بالجنة – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر الله له ذنبه " وجاء في رواية لهذا الحديث أخرى في صحيح مسلم قال " وأنا أشهد " ؛ وموضع هذه الكلمات بعد قول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله وقبل قوله حي على الصلاة ؛ هذا موطنها ، قد جاء ذلك مصرَّحاً به في رواية للحديث في مستخرج أبي عوانة أنه إذا قال " أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله قال وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله رضيت بالله رباً ..إلى آخره " فهذا هو موضع هذا الذكر والكلمات المباركات إذا قال المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله وقبل أن يقول حي على الصلاة ؛ تقول وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، ومن قال ذلك غفر الله له ذنبه – انظر لهذا الثواب العظيم –

وقوله " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " هذه كلمة التوحيد متْبعة بتأكيد لها وتحقيق لمعناها وهو قوله " وحده لا شريك له " ، لأن قوله " لا إله إلا الله " هذه كلمة التوحيد ، و " لا إله " نفي للعبودية عن كل ما سوى الله ، " إلا الله " إثبات العبودية بكل معانيها لله وحده وهي تعني إخلاص العبادة لله وإفراده جل وعلا وحده بها ، فقائل لا إله إلا الله لا يعبد إلا الله ولا يسأل إلا الله ولا يستغيث إلا

بالله ولا يتوكل إلا على الله ولا يصرف شيئاً من العبادة إلا لله ، ﴿ قُل إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلهِ ربِّ العَالمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ له ﴾ ولا يكون المرء من أهل لا إله إلا الله بمجرد النطق بلفظها وكلمتها بل لابد من فهم ما دلت عليه من التوحيد وتحقيق ذلك حتى يكون المرء من أهلها ، كما قال تعالى ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَ هُم يَعْلَمُون ﴾أي يعلمون معنى ما شهدوا به كما قال الله ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الله ﴾

وقوله " وأنَّ محمداً عبده ورسوله " هذا فيه الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة ، فهو عبد عليه الصلاة والسلام والعبد لا يُعبد ، الذي يعبد الرب سبحانه وتعالى ، العبد لا يعبد ولا يستحق شيئاً من العبادة ﴿ وَمَن أَضَلُّ مِمَّن يَدعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ وَهُم عَن دُعَائِهِم غَافِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُم أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِم كَافِرِينَ ﴾ وهو نبي عليه الصلاة والسلام والنبي لا يُكذَّب بل يطاع ويُتَّبع ، فقول المسلم " أشهد أن محمداً عبده ورسوله " يحقق له الوسطية والاعتدال والبعد عن الغلو والجفاء ، فإن الشهادة له بالعبودية سلامة للعبد من الغلو ، والشهادة له بالرسالة فيها سلامة للعبد من الجفاء ، والحق وسط بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط ، بل هو عليه الصلاة والسلام عبدٌ لا يعبد ورسول والرسول لا يُكَّذَب بل يطاع ويُتَّبع

وقوله " رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا " هذه الكلمات الثلاث هي أصول الدين الإسلامي التي لا يقوم الدين إلا عليها ، فالإسلام يقوم على هذه الأصول الثلاثة ؛ الرضا بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبالإسلام دينا ، وعن هذه الأصول الثلاثة يُسأل من أُدرج في القبر ، كل من مات وأُدرج في قبره أتاه ملكان كما جاءت بذلك السنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم " فيجلسانه ويقولان من ربك وما دينك

ومن نبيك" ثلاثة أسئلة توَجَّه إليه عن هذه الأصول الثلاثة ، ولهذا حريّ بالمسلم أن يكرر هذه الأصول في أيامه ولياليه ، وهذه الأذكار المشروعة تعينك على هذا التكرار لأصول الدين و استحضارها حتى تتحقق بقلبك وتتمكن من نفسك وتقوى في قلبك ، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا

أما الرضا بالله رباً ؛ يتناول الرضا به معبوداً بحق ولا معبود بحق سواه ، تُصرف العبادة له وحده ويُلتجأ إليه وحده ويُقر بعظمته وجلاله وكمال صفاته سبحانه وتعالى ، وأنه الخالق العظيم الرب الجليل الملك المدبر لا شريك له في شيء من ذلك ﴿ وَأَنَا رَبُّكُم فَاعْبُدُون ﴾ فالرضا به رباً يتناول ذلك كله وأن يفرد سبحانه وتعالى بالعبادة فلا يُعبد إلا الله ولا يصرف شيئٌ من العبادة إلا له جلَّ في علاه

والرضا بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ؛ رضا به وبرسالته وأنه مرسل من رب العالمين ومُبلِّغ عن الله ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغ ﴾ و ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى ۞ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ، والرضا به رسولاً ؛ يعني طاعته فيما أُرسل به واتباعه فيما دعا إليه ولزوم نهجه وترَسُّم خطاه قال الله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذنِ اللهِ ﴾ ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا ﴾ هذا مقتضى الإيمان به رسولاً ، والرضا به رسولاً أن تأخذ ما جاء به وأن تنتهي عما نهى عنه وأن تأتسيَ به ﴿ لَقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾

وأما الرضا بالإسلام ديناً ؛ فهو رضا بدين الله الذي رضيه لعباده ولا يرضى لهم ديناً سواه ﴿ اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَ أَتمَمْتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَامَ دِينًا ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَ مَن يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنه ﴾ ، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَام

فيرضى العبد لنفسه دين الله الذي رضيه لعباده ولا يرضى لهم دينا سواه ، ويقتضي هذا الرضا بالدين أن يُقبِل المرء على دين الله تعلماً له ومعرفة بما فيه من حكم وأحكام وعقائد وشرائع ، وأن يدين الله بذلك كله مؤمناً متعبداً خاضعاً متذللاً لله رب العالمين ، الحاصل إن هذه كلمات عظيمات جدير بالمسلم أن يُعنى بها ، ومن فائدة هذه الكلمات العظيمة أن بتكررها على لسان المرء وقلبه مرات وكرَّات في يومه وليلته كما ورد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم من شأن ذلك أنه يقوي التوحيد في قلبه ويعمق الإيمان وحسن الإقبال على الله والرضا به وبنبيه صلى الله عليه وسلم وبدينه جل في علاه .

[ما يقال بعد التسليم من الصلاة]

[روى ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال : " اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام "

قال الوليد فقلت للأوزاعي كيف الاستغفار قال : تقول أستغفر الله " انفرد به مسلم]

الشرح..

ثم قال رحمه الله " ما يقال بعد التسليم من الصلاة " عند الفراغ منها و إتمامها وختمها بالسلام ، فإنه على إثر ذلك يشرع للمسلم جملة من الأذكار العظيمة جاءت بها السنة النبوية عن نبينا صلى الله عليه وسلم وينبغي للمسلم أن يحرص على الوارد والمأثور ؛ فإن فيه الخير والبركة وفيه السلامة والعصمة وفيه الكمال والتمام ، كل ذلك لا تجده في غير المأثور عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، لأن الأذكار والدعوات التي تُنقل عن غيره قد لا

تكون سالمة لأنها ليست معصومة وإنما العصمة في الدعوات والأذكار المأثورة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، قد يكون فيها بعض النقص والخلل وقد يكون فيها شيء من المخالفة والتعدي والتجاوز وإن سلمت من ذلك فهي أقل شأناً من المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن من أشد الناس عيباً من يهجر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وينشغل بأذكار ودعوات أحدثها بعض الناس وكتبها بعض المتكلفين ، وهذه مصيبة أن ترى مع بعض الناس كتباً جُمعت فيها أذكار مخترعة ودعوات متكلَّفة أنشأها بعض الناس ويستغرقون في قراءة تلك الدعوات الأوقات الطويلة ، ناهيك عما في بعضها من بدع وخرافات وشركيّات وضلالات ، يقرؤونها باستدامة قراءةً يومية هاجرين المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والثابت عنه وهذه من المصائب العظيمة والبلايا الكبيرة ومن الورطات التي تورَّط فيها كثير من العوام بسبب دعاة الضلالة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين " ، بعض العوام في يديه كتاب يقرؤه كل يوم وفيه شركيات وفيه بدع وفيه خرافات ، كل يوم يقرؤه ورَّطه فيه أحد دعاة الضلالة ، لم يُعلمه الدعوات والأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كثير من العوام يعيشون ورطات عظيمة في هذا الباب ؛ أذكار مخترعة ما أنزل الله بها من سلطان ، حتى إن في بعضها الشرك بالله والاستغاثة بغير الله والالتجاء إلى غير الله ، ونسأل الله العفو والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين

أورد رحمه الله حديث ثوبان رضي الله عنه قال "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً " ، وجاء في تمامه " قال الوليد قلت للأوزاعي كيف الاستغفار" يعني كيف هذا الاستغفار ثلاثا " قال تقول استغفر الله ثلاثاً " يعني تقول استغفر الله ثلاث مرات ، فمن السنة أن يقول المسلم بعد سلامه من صلاته استغفر الله .. استغفر الله .. استغفر

الله ، والاتيان بهذا الاستغفار ثلاث مرات بعد السلام في غاية المناسبة وتمام الموافقة لأنك مهما اجتهدت في صلاتك على أن تُكملها وتُتممها وأن تخشع في صلاتك وأن تأتي بها وافية تامة ؛ مهما اجتهدت لابد أن يقع منك قصور وخلل ونقص ، فأنت في صلاتك يُشرع لك أن تجاهد نفسك على تكميل هذه الصلاة ثم إذا سلَّمت تحس من نفسك القصور في الصلاة فتستغفر ربك ثلاثا ، ولذا يُرجى أن يكون استغفارك بعد صلاتك جابراً للنقص الذي يكون منك في صلاتك ، استغفر الله استغفر الله استغفر الله

" اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام "

" اللهم أنت السلام" .. هذا اسم من أسماء الله الحسنى ، تذكرهُ متوسلاً إلى الله به في مناجاتك واستغفارك ، هو اسم من أسمائه تبارك وتعالى وواردٌ في القرآن ﴿ هُو اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المِلِكُ القُدُّوسُ السَلَام ﴾ ومعنى السلام : أي المنزَّه ؛ فهو من أسماء التنزيه والتقديس لله مثل السُّبوح والقُّدوس ، هذه كلها من أسماء التنزيه ، تنزيه الله عن النقائص والعيوب وعن كل ما لا يليق به وتنزيه الله عن مماثلة المخلوقات ﴿ لَيسَ كَمِثلِهِ شَيء ﴾ ، ﴿ هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ، ﴿ سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى المرسَلِينَ ۞ وَ الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين ﴾ فالسلام اسم من أسماء التنزيه ،

قوله " ومنك السلام " .. أي كل سلامة تكون من المهالك فهي منك وحدك ، وهذا أسلوب حاصر " منك السلام " ، أي وحدك ، فلا سلامة للعباد من الشرور والمهالك إلا منك ، بفضل منك ومنّ فالله هو السلام ومنه وحده السلام

قال " تباركت يا ذا الجلال والإكرام " .. " تباركت" أي تعاليت ، " ذا الجلال والإكرام " أي المتصف بذلك ،

وهما وصفان عظيمان لله دالان على عظيم صفاته جل وعلا ، عظمة صفاته وكماله ، وكثرة نعمه وعطاياه ، فالجلال يدل على عظمة الصفات والاكرام يدل على عظمة المِنن وكثرة العطايا والجود والفضل فالعبد يقول ذلك ذاكراً عظمة ربه وعظيم فضله ومنّه جل وعلا .

سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه ..

الدرس العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[وروى المغيرة بن شعبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قضى الصلاة " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد "

قوله : ولا ينفع ذا الجَد منك الجَد ، بفتح الجيم أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه إنما ينفعه العمل بطاعتك ، وقيل الجد والبخت : الحظ ، ورواه بعضهم بكسر الجيم وحمله على الحرص في الأمور ، وأنكر ذلك أبو عبيد]

الشرح..

هذا الحديث فيه هذه التهليلات التي يقولها النبي صلى الله عليه وسلم دبر كل صلاة ، " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد "

" لا إله إلا الله " .. هي كلمة التوحيد أجلّ الكلمات وأفضلها على الإطلاق ، و أفضل الذكر؛ فما ذُكر الله سبحانه وتعالى بأعظم منها ، قد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم " أفضل الذكر لا إله إلا الله" وهي أعلى شعب الإيمان " الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق "

وهي تعني توحيد الله سبحانه وتعالى وإخلاص الدين له وإفراده بالعبادة وعدم الإشراك به ، فإن لا إله إلا الله قائمة على ركنين ؛ النفي والإثبات ، فالتوحيد نفي وإثبات ، فمن نفى ولم يثبت لا يكون موحدا ومن أثبت ولم ينفي لا يكون موحدا ،

فالتوحيد لا إله إلا الله ؛ نفيٌ للعبودية عن كل ما سوى الله وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده ، وقائل لا إله إلا الله حقا لا يدعو إلا الله ولا يستغيث إلا بالله ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يصرف شيء من العبادة إلا لله ﴿ قُل إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِله ربِّ العَالمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ له وَ بِذَلِكَ أُمِرْت ﴾ هذا توحيد الله الذي دعا إليه الأنبياء وخلق الله الخلق لأجله ﴿ وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَ الإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون ﴾ ،

وقوله في هذه التهليلات و هذا الذكر لا إله إلا الله " وحده لا شريك له " ..

هذا تأكيد للتوحيد بركنيه النفي والإثبات ،

فإن قوله " وحده " هذا تأكيد للإثبات ، وقوله " لا شريك له " هذا تأكيد للنفي ،

وقوله " له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير "

هذه براهين لوجوب توحيد الله وإخلاص الدين له ، فلا إله إلا الله ؛ لا معبود بحقٍ إلا الله لأنه سبحانه وتعالى المتفرد بالملك وحده لا شريك له ، الذي بيده النعمة وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير، فهذه براهين ودلائل على وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له سبحانه وتعالى.

وقوله " اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " ..

" لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت " .. يعني الأمر كله بيدك تعطي وتمنع ، تخفض وترفع ، تقبض وتبسط ، تعز وتذل ، تحي وتميت ، تضحك وتبكي ، الأمر بيدك لا شريك لك فمن أعطيته لا قدرة لأحد على منع عطائك عنه ، ومن منعته لا قدرة لأحد على إعطائه ﴿ مَّا يَفتَحِ اللهُ للنَّاسِ مِن رَحمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيم ﴾ فالأمر بيده سبحانه وتعالى ﴿ كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ يُحيي ويميت ، يعز ويذل ، يقبض ويبسط ، الأمر أمره و بيده ، والخلق كلهم طوعَ تسخيره وتدبيره ، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، وعندما يقول المرء هذه الكلمة متعقلاً لمعناها ومدلولها فإنها تقوّي في قلبه جانب التوكل على الله وحسن الثقة به وتمام الإلتجاء إليه جلّ في علاه ،

وقوله " ولا ينفع ذا الجد " .. أي الحظ والنصيب ، والمعنى "ولا ينفع ذا الجد منك الجد " أي لا ينفعه غناه ، وإنما الذي ينفع العبد طاعته لله واستجابته لأمر الله سبحانه وتعالى ، أما المال والجاه والمكانة فهذه لا تنفعه عند الله ﴿ وَ مَا أَمْوَالُكُم وَ لَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُم عِنْدَنَا زُلْفَى ﴾ ، غنى الشخص وماله ورئاسته وزعامته وجاهه وغيرها من الأمور ليست هذه التي تقربه عند الله سبحانه وتعالى ، إنما الذي يقربه عند الله التوحيد والاخلاص لله سبحانه وتعالى ، قال " ولا ينفع ذا الجد منك الجد " أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه إنما ينفعه العمل بطاعتك ، وفي الحديث " من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه " وإنما الذي يقدم الشخص عند الله وترتفع به درجاته عنده سبحانه وتعالى العمل الصالح

قال [قوله : ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، بفتح الجيم أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه إنما ينفعه العمل بطاعتك ، وقيل الجد والبخت : الحظ]

ما يمنع أن يجتمع هذا كله ، يعني لا ينفع ذا الجد ، ذا الغنى والحظ والجاه والمال ، هذه كلها لا تنفع الشخص عند الله إنما الذي ينفعه عنده سبحانه وتعالى الطاعة والعبادة مثل ما في الآية الكريمة ﴿ وَ مَا أَمْوَالُكُم وَ لَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُم عِنْدَنَا زُلْفَى ﴾ .

قال [ورواه بعضهم بكسر الجيم وحمله على الحرص في الأمور ، وأنكر ذلك أبو عبيد] المحفوظ في الرواية لهذا الحديث بفتح الجيم ذا الجَد وليس بكسرها .

[وروى عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " من سبَّح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمده ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر " انفرد به مسلم . واتفق على معناه من رواية أبي صالح عن أبي هريرة]

الشرح..

هذا الحديث ، حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه هذه التسبيحات والأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم دبر كل صلاة ، وأن من أتى بها غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر – أي كثرةً – ، فهي أذكار عظيمة يستحب للمسلم أن يحافظ عليها ويعتني بها دبر كل صلاة ، وهي من موجبات غفران الذنوب وحطّ الخطايا وإن كانت كثيرة وإن كانت مثل زبد البحر ، فينبغي على المسلم أن يحرص عليها .. " سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكبر ثلاثا وثلاثين ثم يقول تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" ،

قال " من قال ذلك غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر " ولو تأملت هذا الذكر لا يأخذ من المسلم دقيقتين من وقته ، ومع ذلك كثير من الناس يسلم مع التسليمة الثانية يقوم من مكانه ويخرج إلى مصالحه وأعماله ، مع أن هذه الأذكار التي يترتب عليها هذه الأجور العظيمة لا تأخذ منه وقتا ؛ تأخذ دقائق يسيرة ربما ست دقائق لا تزيد عن عشر يستكمل كل الأذكار المأثورة ويحصل أجرا عظيما ،

قوله " سبحان الله " .. هذه كلمة تنزيه لله وتقديس وتبرئة لله عن النقائص والعيوب وعما لا يليق بجلاله وكماله وعن مماثلة المخلوقات ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَ سَلَامٌ عَلَى المرْسَلِينَ ۞ وَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين ﴾

﴿ وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَه ﴾ أي تنزه عن الولد وتقدس

" سبحان الله " .. هذه كلمة تنزيه ولهذا وأنت تقول سبحان الله .. سبحان الله .. سبحان الله .. تستشعر المعنى وأنك تقدس الله وتنزهه عما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته جل في علاه ،

وكلمة " الله أكبر" .. هذه كلمة تعظيم لله وإيمان بأنه الكبير المتعال جل وعلا ، وأنه لا أكبر من الله عز وجل فتؤمن بذلك ، عندما يردد المسلم ؛ الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. معظما ربه يسقط من قلبه كل الأشياء المعظمة ، الأشياء الدنيوية التي يتعلق بها و تعظم في قلبه وتأخذ مساحة واسعة في نفسه ، فتأتي هذه الأذكار تداوي القلوب تقوي صلتها بربها تعظيما وتنزيها لله سبحانه وتعالى،

وقول " الحمد لله " .. هذه كلمة ثناء على الله ومدح له جلا في علاه مع الحب له ، والحمد له سبحانه وتعالى يتناول الحمد على الأسماء والصفات ؛ يُحمد على أسمائه وصفاته ، ويُحمد على مِنَنِه وآلائه ونعمه وعطائه وأن الفضل بيده سبحانه وتعالى ،

ثم يقول تمام المئة " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير "

والسنة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأذكار وغيرها مما يحتاج إلى عدّ ، إما ثلاثا وثلاثين أو عشرا أو مائة ونحو ذلك ، كل هذه الأذكار جاءت السنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم بأن تعد بأصابع اليد ، كما هو هديه صلى الله عليه وسلم ، وكان في زمانه يوجد الخرز ومن المتيسر نظمه واستعماله للعدّ فما فعل ذلك عليه الصلاة والسلام ولا رَغَّب في ذلك ولا دعى إلى ذلك ، وخير الهدي هديه صلى الله عليه وسلم ، جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيمينه " ، وقال عليه الصلاة والسلام : " اعقدن التسبيح بالأنامل فإنهن مستنطقات " فالسنة أن يعقد التسبيح باليد ، وعليه أن يحرص على ذلك مهتديا بهديه صلى الله عليه وسلم .

[وروى عبد الله بن الزبير أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا نعبد إلا إياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلل بهن في دبر كل صلاة " انفرد به مسلم]

الشرح..

هذا آخر حديث ساقه فيما يتعلق بما يقال بعد التسليم من الصلاة ، وهو مشتمل على تهليلات كان النبي صلى الله عليه وسلم يهلل بها دبر كل صلاة ، يقول : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " هذه كم تهليلة ؟ ثلاث تهليلات ،

" لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير ، لا حول و لا قوة إلا بالله ... لا إله إلا الله و لا نعبد إلا إياه له النعمة و الفضل و له الثناء الحسن ... لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " ، هذه ثلاث تهليلات

وإذا قارنت هذا الحديث بحديث المغيرة المتقدم فإنه يشترك معه في الجملة الأولى " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " ، وفي الحديث المتقدم زيادة " اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " ، فتحصل من مجموع هذين الحديثين أن تقول هذه التهليلات الثلاث التي في الحديث الأخير حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ، وتضيف إليه الزيادة التي جاءت في حديث المغيرة ، فتكون التهليلات التي تقولها دبر كل صلاة ثلاث تهليلات ، أتبعت كل تهليلة بتأكيد للتوحيد وتأكيد على معناه ، لأنا عرفنا أن لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد فأتبعت كل تهليلة من هذه التهليلات الثلاث بتأكيد للتوحيد الذي هو مدلول لا إله إلا الله ،

التهليلة الأولى أتبعت بـ : " وحده لا شريك له " ؛ وهي تأكيد للتوحيد بركنيه النفي والإثبات ، " وحده " تأكيد للإثبات و " لا شريك له " تأكيد للنفي ،

وقوله " له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" هذه براهين للتوحيد ودلائل على وجوب إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة ،

والتهليلة الثانية أتبعت بـ : " لا نعبد إلا إياه " ؛ هذا هو التوحيد يعني لا نعبد إلا الله ،

وقوله : " له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن " هذه براهين ودلائل على وجوب إفراده بالعبادة وإخلاص الدين له جلَّ في علاه

والتهليلة الثالثة أتبعت بـ : " مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " هذه حقيقة التوحيد ، أن تخلص التوحيد لله وأن تخلص له العبادة ، " مخلصين له الدين " أي ديننا كله خالص لله ﴿ أَلَا

لِلهِ الدِّينُ الخَالِص ﴾ ، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾ والخالص : هو الصافي النقي ، وإخلاص الدين لله : أي أن يكون الدين صافيا نقيا لله لا يبتغي به إلا الله ،

وانظر- رعاك الله – إلى هذه التهليلات كيف أنها تجدد للمسلم توحيده وإيمانه وإخلاصه لله ، ولهذا ينبغي للمسلم أن يقول هذه الكلمات عن فهم للمعنى وعقل للمدلول وتحقيق للمقصد والدلالة ، لا أن يقولها كلمات لا يدري ماهي ولا على ماذا تدل ، بل عليه أن يقولها مستشعرا لما دلت عليه من التوحيد والإخلاص والإفراد لله بالعبادة ، ولهذا لما وُجد من الجهال من يقول هذه الكلمة وهو لا يدري ما معناها ربما بعد قوله بقليل ينقضها بأقواله أو أفعاله ؛ وُوجد هذا .. من يقول لا إله إلا الله ثم بعدها بلحظات يمدّ يديه ويدعو غير الله ويستغيث بغير الله من الأموات والمقبورين ومن لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرًا فضلا عن أن يملكوا لغيرهم شيئاً من ذلك ، و لا إله إلا الله لا تنفع قائلها بمجرد النطق ، لا بد من الفهم لا بد أن يشهد بها عن علم بمعناها ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُم يَعْلَمُون ﴾ أي معنى ما شهدوا به ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ﴾ ،

وفي صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة " اشترط العلم ، فلابد أن يعلم المسلم معنى هذه الكلمة وما تدل عليه من التوحيد والإخلاص لله سبحانه وتعالى ، ولابد من تحقيق التوحيد الذي هو مدلول هذه الكلمة وقيام دين الله تعالى

فالحاصل أن هذه الكلمات المباركات التي يُشرع للمسلم أن يقولها دبر كل صلاة من شأنها أنها تجدد التوحيد في قلب المسلم وتمَكِّنه في القلب وتقوّيه إذا كان يحرص على قولها باستمرار، سواء في هذا الذكر الذي يقال دبر الصلوات أو في أذكار الصباح والمساء أو غيرها .

تجد أن عامة الأذكار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخلو من كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " وهذا كله فيه تجديد للتوحيد في قلب المسلم، قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما " كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يُهلّل بهن دُبر كل صلاة " ، دُبر كل صلاة : يعني بعد أن يُسلّم يهلل بهذه التهليلات ومجموع المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقال بعد الصلاة هو أن ..

"يستغفر الله ثلاثا " استغفر الله .. استغفر الله .. استغفر الله .. اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام

" ثم يهلل هذه التهليلات " وهي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ،

" ثم يأتي بالتسبيحات " التي مرت معنا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : يسبح الله ثلاثا وثلاثين ، ويحمد الله ثلاثا وثلاثين ، و يكبر الله ثلاثا وثلاثين ، ثم يقول تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

" ثم يقرأ آية الكرسي والمعوذات الثلاث " قل هو الله أحد ، قل أعوذ برب الفلق ، قل أعوذ برب الناس " ، ويقال لها المعوذات من باب التغليب وإلا المعوذات فيها " قل أعوذ برب الفلق ، قل أعوذ برب الناس "

سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه ..

الدرس الواحد والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[ما يُسبَّح به في الأيام وفضل التسبيح]

[روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مئة حسنة ، و محيت عنه مئة سيئة ، وكان له حرزًا من الشيطان يومه حتى يمسي ، ولم يأتِ أحد يوم القيامة أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ، ومن قال سبحان الله وبحمده مئة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر» متفق عليه

قوله:عدل عشر رقاب العدل بالفتح المثل، وما عادل الشيء من غير جنسه ، و بالكسر ما عادله من جنسه ، وكان نظيره ، وقال البصريون العَدل والعِدل لغتان وهما المثل]

الشرح ..

قال الحافظ المنذري رحمه الله [ما يُسَبح به في الأيام و فضل التسبيح]

قوله رحمه الله [في الأيام] .. أي وردا يوميا يواظب عليه المسلم في كل يوم من أيامه بحيث يحرص على أن لا يفوت عليه هذا الورد في أي يوم من أيامه ،

و ما جاء من النصوص في الأوراد اليومية التي لم تُخَص بوقت من اليوم فالأَولى المبادرة بها في أول اليوم ، مسارعة إلى الخيرات واغتناما لبركات هذه الأذكار و ثمارها في اليوم كله ، و أما ما جاء من الأوراد اليومية الموظفة بأوقات معينة ، فإنه يؤتى بها في أوقاتها التي جاءت بها السُنة ، سنة النبي الكريم صلوات الله و سلامه عليه ، أورد رحمه الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : " من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في كل يوم مئة مرة " ؛ هذه الكلمة كلمة التوحيد التي لأجلها قامت الأرض والسماوات ، وهي أفضل الكلمات ، وأجَلُّها على الإطلاق ، وهي أفضل الذكر، وأعلاه شأنا وقد صحَّ عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل الذكر لا إله إلا الله » وهي أعلى شعب الإيمان وأرفعها ، قال صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »

وهذا اللفظ " لا إله الله وحده لا شريك له ، له الملك، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير " ، جُمِعَ به بين هذه الكلمة – كلمة التوحيد العظيمة – وتأكيد معناها ومدلولها وذكر شيء من دلائلها وبراهينها ، كل ذلك اجتمع في قولك " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " ،

أما " لا إله إلا الله " فهي كلمة التوحيد وهي قائمة على ركنين النفي والإثبات ، نفي العبودية عن كل ما سوى الله ، وإثبات العبودية بكل معانيها لله وحده ،

و أما قول : " وحده لا شريك له " فهذا تأكيد للتوحيد بركنيه ؛

فإن قوله : " وحده " تأكيد للإثبات ، وقوله " لا شريك له " تأكيد للنفي ،

و أما قوله : " له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " فهذه براهين للتوحيد و دلائل على وجوب إخلاص الدين لله ، وأنه المعبود بحق الذي لا معبود بحق سواه هو الذي له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ،

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث " في كل يوم مئة مرة " يفيد أهمية المواظبة على هذا الذكر بهذا العدد مئة مرة ، بحيث يكون وردًا للمسلم في كل يوم من أيامه ، قال " في كل يوم مئة مرة "، والمئة تعدّ اتباعا للسنة بأصابع اليد لأنه لم ينقل عن النبي عليه الصلاة والسلام استخدام آلاتٍ أو حصى أو خرز أو نحو ذلك لعدِّ التسبيح ، و إنما من رآه وصف عدَّه للتسبيح عليه الصلاة والسلام بأنه كان يعقده بيده صلى الله عليه وسلم وقال : " اعقدنّ الأنامل فإنهن مستنطقات " ، هكذا كان هديه عليه الصلاة والسلام ، وهو أبلغ و أكمل في التعبد والخشوع والبعد عن المراءاة من استخدام الناس لآلاتٍ أو خرزٍ أو نحو ذلك يعدُّون به التسبيح ، ولم يذكر في هذا الحديث وقت من اليوم يؤتى فيه بهذه التهليلات ، فالأَولى في مثل ذلك المبادرة والإتيان به في أول اليوم و مفتتحه..

أولاً : مسارعة في الخيرات ، وثانيا : ليغنم خيرات هذا الذكر وبركاته من أول يومه ، وثالثا : لأن الإنسان لا يدري ما يعرِض له في يومه من الحوائل و العوائق والشواغل ، فالمبادرة به في أول اليوم أَولى ،

ثم ذكر عليه الصلاة والسلام الفوائد والثمار لمن يوفق للإتيان بهذا الذكر والعناية به فذكر عليه الصلاة و السلام خمسة ثمار عظيمة ..

الثمرة الأولى : قال " كانت له عدل عشر رقاب " .. أي كأنما أعتق يومه ذلك عشرة رقاب في سبيل الله وعتق الرقاب لا يخفى عظيم فضله وشريف قدرِه وجزيل ثوابه عند الله سبحانه وتعالى ،

الثمرة الثانية : قال " وكتبت له مئة حسنة " و الثالثة : " محيت عنه مئة سيئة "

والرابعة " كانت له حرزًا من الشيطان يومه حتى يمسي " : ..

وهذا أيضا مما يؤكد أهمية المبادرة بإتيان هذا الذكر في أول اليوم حتى يكون حصنا له من الشيطان ، وحرزا واقيا له من الشيطان من أول اليوم ، لا يجعل هذه الفضيلة إنما ينالها بعد منتصف اليوم ، أو قرب نهاية اليوم بل يحرص على اغتنامها من أول يومه ،

الثمرة الخامسة : قال " ولم يأتِ أحد يوم القيامة أفضل مما جاء به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك " .. ليس المراد بقوله " عمل أكثر من ذلك " أي عدَّ التهليلات مئة وعشرة –على سبيل المثال – ، فالتهليلات تعدّ كما وردت مئة ، لكن يستكثر من التهليل المطلق أو التسبيح المطلق أو الأعمال النوافل بعمومها فهذا هوالمراد بقوله صلوات الله وسلامه عليه " لم يأتِ يوم القيامة أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك " ، يعني جاء بهذا الذكر و واظب عليه و واظب أيضا على الأعمال الصالحة الأخرى المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال عليه الصلاة والسلام : " ومن قال سبحان الله وبحمده مئة مرة حُطّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر " وهذا القول فيه كالقول في الذي قبله ، أن يحرص على أن يبادر به من أول اليوم ، وقد مر معنا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مئة مرة لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه " هذا نص في أنه من أذكار الصباح ، وكذلك من أذكار المساء ، فيؤتى بهذه التسبيحات مئة مرَّة في الصباح ، و مئة مرة في المساء ، وقوله: " سبحان الله و بحمده " .. هذا جمع بين التسبيح و التحميد ؛ والتسبيح تنزيه لله تبارك وتعالى ، والتحميد ثناء على الله ؛ فهو جمْع بين التنزيه لله والثناء عليه، التنزيه له عن ما لا يليق به ، والثناء عليه بما هو أهله سبحانه وتعالى ، و هاتان الكلمتان دلَّ القرآن الكريم على أنهما خاتمة كلام أهل الجنة في دخولهم الجنة ،

﴿ دَعْوَاهُم فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلَامٌ وَ ءَاخِرُ دَعْوَاهُم أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين ﴾ ، فيها الجمع بين الكلمتين التسبيح والتحميد لله سبحانه وتعالى ، جعلنا الله سبحانه و تعالى في هذه الحياة الدنيا من المكثرين من التسبيح بحمد الله ، ومن القائلين لها في جنات النعيم

[وروى موسى الجهني عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ، فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ، قال يسبح مئة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة »انفرد به مسلم.

قال الحميدي هكذا هو في كتاب مسلم في جميع الروايات عن موسى : أو يحط ، قال البرقاني : رواه شعبة وأبو عوانة ويحي بن سعيد القطان فقالوا : ويحط بغير ألفٍ]

الشرح..

هذا الحديث ؛ حديث سعد بن أبي وقاص – أحد العشرة المبشرين بالجنة – رضي الله عنه وأرضاه يقول : " كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة " وهذا أسلوب تشويق ، والاستفهام هنا في قوله : " أيعجز " بمعنى النفي ؛ أي : لا يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ، فشوَّقهم عليه الصلاة والسلام وتاقت نفوسهم لذلك ، ولهذا سألوا " سأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة " و هذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم في الخير، وعظيم رغبتهم في تحصيله

فقال صلوات الله و سلامه عليه " يسبح مئة تسبيحة " والحسنة بعشر أمثالها ، ولا تَنافيَ بين هذا الحديث والحديث الذي قبله عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالتهليل " قال مئة حسنة " لأن الحسنة

بعشر أمثالها كما دلت على ذلك عموم الأدلة في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه ، " قال يسبح مئة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة " لأن الحسنة بعشر أمثالها

" أو يحط عنه ألف خطيئة " إثبات الهمزة في قوله " أو" هذا جاء في صحيح مسلم وجاء في خارج الصحيح وكذلك في المستخرج لأبي عَوانة وغيره بدون الهمزة بدون إثبات الهمزة .

قوله " يكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة " أي ينال هاتين الثمرتين كتابة الحسنات و الفوز بها ، وحطّ السيئات وغفرانها .

[وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" متفق عليه]

الشرح..

ثم أورد هذا الحديث العظيم في فضل التسبيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "

" كلمتان " هذه خبر مقدم كلمتان خبر مقدم ، والمبتدأ هو قوله " سبحان الله و بحمده " أصل الجملة ؛ سبحان الله وبحمده كلمتان خفيفتان على اللسان ... إلى آخره ، لكنه قدم الخبر وأطال في وصفه ثم جاء بالمبتدأ بعد أن اشتاقت القلوب إلى معرفته ، وهذا من أساليب التشويق العظيمة في الترغيب في الخير والحث عليه

قال : "كلمتان " هذا هو الخبر ، ثم أخذ يصف هاتين الكلمتين

" خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن " إلى هنا اشتاقت القلوب شوقا عظيماً إلى معرفة هاتين الكلمتين بعد هذه الأوصاف العظيمة

" خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان " .. انظر خفة وثِقَل ، خفة على اللسان ؛ هذا دليل على قلة العمل ليس عملا ثقيلا متعبا مجهدا " خفيفتان على اللسان " ، ويقابل هذه الخفة على اللسان ثِقَل في الميزان يوم القيامة هذا يدل على عظم الثواب، فأفاد قوله : " خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان " على قلة العمل وكثرة الثواب ، وهذا فضل من الله سبحانه وتعالى ؛ من عمل قليل ثواب عظيم جدا، ثواب هاتين الكلمتين عند الله سبحانه وتعالى ثقل في الميزان يوم القيامة ؛ مما تثقل به موازين العبد يوم القيامة ، والحديث فيه إثبات الميزان ؛ وهو ميزان حقيقي يُنصب يوم القيامة له كفتان ،

كفة توضع فيها الحسنات و كفة توضع فيها السيئات ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ جعلنا الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه منهم .

وقوله " حبيبتان إلى الرحمن " .. فيه عظيم مكانة هاتين الكلمتين عند الله سبحانه وتعالى، وأنهما حبيبتان إلى الله جل وعلا أي محبوبتان إليه ، وهذا فيه إثبات المحبة صفة لله جل وعلا ، و أن هاتين الكلمتين حبيبتان الى الله عز وجل ، وخصَّ اسمه الرحمن بإضافة هذه المحبة للكلمتين إليه " حبيبتان إلى الرحمن " إشعارا بعظيم نصيب هؤلاء الذاكرين من رحمة الله ؛ عظيم نصيبهم من رحمة الله سبحانه وتعالى

" سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " ..

الكلمة الأولى : " سبحان الله وبحمده " الكلمة الثانية : " سبحان الله العظيم "

وهذا فيه أن الكلمة تطلق أحيانا ويراد بها الجملة لا الكلمة المفردة ؛

لأن المراد بالكلمة هنا الأولى " سبحان الله وبحمده " وهي جملة

والكلمة الثانية " سبحان الله العظيم " ، والكلمتان قائمتان على التنزيه لله ،

الأُولى تنزيه أُثبت بعده الحمد لله جل في علاه ، والثانية أثبت بعده العظمة لله سبحانه وتعالى ، و حاصل هذا التسبيح أن الذاكر لله سبحانه وتعالى به ينزِّه ربه تنزيها يستصحب معه الثناء على الله و التعظيم له جل في علاه .

[وروى أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس » انفرد به مسلم]

الشرح..

هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه جمع هذه الكلمات الأربع " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله و الله أكبر " التي هي أفضل الكلمات وأحبها إلى الله ، كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله و الله أكبر » وقد ورد في فضل هؤلاء الكلمات أحاديث كثيرة عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه – جَمَعتُ طائفة منها في رسالة مطبوعة بعنوان فضائل الكلمات الأربع – ، فورد فيها فضائل عظيمة جدا تدل على عظم شأن هؤلاء الكلمات ، والفضائل الواردة في هذه الكلمات الأربع منها ما يشمل الأربع كلها كما في هذا الحديث – وله نظائر– ، ومنها فضائل لكل واحدة من هذه الكلمات ، الحاصل أن هذه الكلمات الأربع هي أعظم الكلمات وأحبها الى الله عز و جل ،

أما التسبيح فهو تنزيه لله تبارك وتعالى، وأما التهليل فهو توحيد الله وإخلاص الدين له، وأما الحمد فهو ثناء على الله تبارك و تعالى بما هو أهله جل في علاه ، و أما التكبير فهو تعظيم لله واعتقاد أنه سبحانه و تعالى الكبير الذي لا أكبر منه جل وعلا .

[وروى أبو ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى ؟ قلت يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام الى الله تعالى ، فقال : إن أحب الكلام إلى الله تعالى سبحان الله وبحمده » انفرد به مسلم]

الشرح..

وهذا الحديث حديث أبي ذرأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : " ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى " ، وهذا نظير ما سبق في التشويق أولاً في الخير قبل ذكره وإيراده فشوَّقه النبي عليه الصلاة والسلام أولاً قال : " ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ قلت يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله " .. اشتاق رضي الله عنه شوقا عظيما لمعرفته ، فقال له النبي عليه الصلاة السلام : " إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده " فذكر هاتين الكلمتين ، ودلَّ الحديث المتقدم حديث أبي هريرة على ذلك قال "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن " .

[وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره مثل الحي والميت » متفق عليه]

الشرح..

هذا الحديث حديث أبي موسى رضي الله عنه فيه فضل الذكر، والعناية به والمواظبة عليه وأنه حياة للقلوب ؛ فكلما أكثر العبد من ذكر الله كثرت هذه الحياة في قلبه ، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (حاجة القلب الى ذكر الله سبحانه وتعالى كحاجة السمكة إلى الماء) ، فحياة القلب إنما تكون بما خُلِق لأجله ؛ وهو إقامة ذكر الله سبحانه وتعالى توحيدا وتعظيما وتمجيدا لله جل وعلا فهذه الحياة الحقيقية للعبد والحياة الحقيقية لقلبه والحديث ورد بلفظين " مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله مثل الحي و الميت " وورد أيضا بلفظ آخر « مثل البيت

الذي يُذكر فيه الله والبيت الذي لا يُذكر فيه الله كمثل الحي والميت » ، ويفيد مجموع اللفظين الواردين لهذا الحديث أهمية العناية بذكر الله سبحانه وتعالى في البيوت ، وأن بيوت من لا يذكرون الله شبيهة بالمقابر، فالذي لا يذكر الله بيته كأنه مقبرة له ، والقلب الذي لا يذكر الله سبحانه تعالى صدره مقبرة لقلبه، قلبه ميت في صدره لا حياة له، والشخص الذي لا يذكر الله في بيته ، بيته مقبرة له، كما هو ظاهر مدلول لفظي الحديث " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت " واللفظ الآخر " مثل البيت الذي يذكر فيه الله والبيت الذي لا يذكر فيه الله مثل الحي والميت " ، الحاصل أن العبد ينبغي عليه أن يكون حريصا على ذكر الله بل حريصا على ذكر الله بالكثرة كما أمر الله بذلك ﴿ اذْكُرُوا اللهَ ذِكرًا كَثِيرًا ﴾ ، ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَات ﴾.

[ما يقال عند القيام من المجلس]

[روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » أخرجه الترمذي والنسائي

قال الترمذي : حسن صحيح . قلت : وقال البخاري : له علة . وقد جمعت طرقه في جزء منفرد . واللغط : اختلاف الأصوات في الكلام حتى لا يُفهم]

الشرح..

قال رحمه الله [ما يقال عند القيام من المجلس] ، وأورد الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر كفارة المجلس ، كما جاء في الحديث قال: " إلا غفر له ما كان في مجلسه " أي كان كفارة له لما كان منه في مجلسه ، والمسلم مطلوب منه في مجالسه أن يتحرَّز من الغلط وأن يتنبه الى أن كلماته في مجالسه محسوبة عليه ، و معدودة في عمله وأن الواجب عليه أن يتقي الله سبحانه وتعالى، والعبد مهما اجتهد لا بد أن يبدر منه من التقصير في مجلسه ولو لم يكن في ذلك إلَّا أنه فوَّت على نفسه في مجلسه بأن اشتغل بالمباح عن المستحب ؛ لو لم يكن إلا ذلك في تفويته على نفسه الخير ، ناهيك عما يكون في كثير من المجالس من اللغط أو غير ذلك أو حتى أحيانا من الآثام ، فهذه الكلمات كفارة للعبد ما كان في مجلسه ذلك ،

وينبغي أن يُعلم هنا أن ما يكون في مجلس الناس من خطأ وذنب على قسمين :

- أعني آفات اللسان على قسمين- قسم الكبائر مثل الغيبة والنميمة والسخرية واللعن والشتم والوقيعة في الأعراض ، ولا يقول القائل أن هذا الحديث يدل على أنه يجلس في مجلسه ويغتاب من أراد ، وينمّ ويهزأ ويسخر ويقول الحرام و الآثام ثم يقول أختم مجلسي بهذا التسبيح و يغفر ما كان ، الكبائر لا بد فيها من توبة .. لا بد فيها من توبة ، وإذا كانت آثارها متعدية لا بد من محو ذلك ، إذا كان مثلا نمَّ فأوقع عداوة أو اغتاب فشحن الصدور على أخيه المسلم ؛ ما يكفي في ذلك أن يقول آتي بهذا الذكر في خاتمة المجلس ويكون كفارة لما كان ، الكبائر لابد فيها من توبة إلى الله سبحانه و تعالى من تلك الذنوب و تلك الكبائر ، الحاصل أن العبد يجب عليه أن يصون مجالسه من المعاصي و الآثام ، و أيضا يحرص على ختم مجالسه بهذا الذكر المبارك العظيم المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: " من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه " .. قال المصنف رحمه الله : " اللغط " أي اختلاف الأصوات في الكلام حتى لا يفهم من كثرة اللجج والأصوات في المجلس ،

وهذا يدل على كثرة الكلام فيه ، فلا يأمن العبد في مثل هذه المجالس أن يكون زلَّ لسانه ، لا يأمن على نفسه مع كثرة الأصوات واللجج أن يكون زلَّ لسانه بكلمة ، فينبغي التنبه لهذا المعنى الذي أشرت إليه ؛ ليس المراد بالحديث أن الإنسان يقول في مجالسه ما شاء ويتكلم بما أراد من الإثم والحرام ثم يقول أختم المجلس بهذا الذكر ويكون كفارة لما كان مني في مجلسي . فإن كان الذي كان منه في مجلسه كبائر لابد أن يتوب إلى الله سبحانه و تعالى من هذه الكبائر ندما على قولها وعزما على عدم العودة إليها والإقلاع عنها تماما في مجالسه القادمة ؛ وهذه التوبة النصوح ﴿ تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوبَةً نَصُوحًا ﴾ وبها يتوب الله سبحانه وتعالى على عبده ، لأن من شرط التوبة المقبولة أن تكون نصوحا ،

والتوبة النصوح هي التي استوفت شروط التوبة ؛ الندم والإقلاع والعزم على عدم العودة الى الذنب .

قوله " قال قبل أن يقوم من مجلسه " .. هذا فيه الحرص على أن يقولها في المجلس نفسه قبل أن يقوم منه ، بحيث تكون خاتمة المجلس

قال " سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت " .. جُمع هنا ثلاث كلمات من الكلمات الأربع التي هي أحب الكلام إلى الله ، التسبيح والتحميد والتهليل ثم أُتبع ذلك الاستغفار " أستغفرك و أتوب إليك " .. أي أطلب منك يا الله أن تغفر لي وأن تتوب عليّ ،

قال " إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك " .. " في مجلسه ذلك " أي : من الصغائر، أما الكبائر دلت عمومات النصوص أنه لابد فيها من توبة ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم ﴾ فقوله : " إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك " أي من صغائر الذنوب ومن اللمم ، أما الكبائر لا بد فيها من توبة «الصلوات الخمس و الجمعة إلى الجمعة و رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » الصلوات الخمس أعظم من سبحانك اللهم و بحمدك ، الصلوات الخمس أعظم من قولِ " سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك " بل جميع هذه الكلمات موجودة في الصلاة التسبيح والتكبير والتهليل والاستغفار كلها موجودة في الصلاة ، ومع ذلك قال : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر» .

سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه ..

شرح كفاية المتعبد

وتحفة المتزهد للمنذري

للحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه اللّه

من الدرس ٢٢ إلى الدرس ٢٤

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٥/٠١ هـ

الدرس الثاني والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري – رحمه الله – في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[ما يقال عند المساء]

[روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أراه قال فيهن : له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة و وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها ، ربِّ أعوذ بك من الكسل و سوء الكبر و أعوذ بك من عذاب في النار و عذاب في القبر »

وإذا أصبح قال ذلك أيضا : « أصبحنا و أصبح الملك لله » أخرجه مسلم .

وقوله : وسوء الكبر: روي بسكون الباء بمعنى التعظم على الناس ، وبفتحها بمعنى كبر السن والخرف ، و ذكر الخطابي الوجهين ورجح الفتح]

الشرح..

قال المصنف رحمه الله تعالى : [ما يقال عند المساء] .. أي من الأذكار والدعوات المأثورة عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، أورد رحمه الله حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمسينا قال : أمسينا و أمسى الملك لله و الحمد لله "

قوله " إذا أمسينا " .. أي بلغنا المساء ، وأدركنا المساء ، ودخلنا في فترة المساء ، قال عليه الصلاة والسلام حينئذ " أمسينا وأمسى الملك لله و الحمد لله " وعُلم من ذلك أن هذا ذكر يقال في هذه الفترة ؛ فترة المساء ، سواءً جاء بها هذه الكلمات في أول المساء أو وسطه أو آخره ، فموضعها إذا

أمسى المرء ، إذا أمسى المرء جاء بهذا الذكر وهذه الدعوات المأثورة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه

وقوله " أمسينا وأمسى الملك لله " ..هذا ذكر لنعمة الله سبحانه وتعالى على العبد ،وإقرار بأن الملك كله بيد الله ، أما العبد نفسه فإنه أدرك هذا المساء بمنةِ الله عليه معترفا بذلك أمسينا وأمسى الملك لله ،" أمسينا " أي أدركنا المساء وكنا من أهله في صحة وعافية بفضل من الله ومنّ ، هذا إقرار بمنة الله سبحانه و تعالى على عبده أن أدرك المساء وكان من أهله ، إذ إن من الناس من أصبح ولم يمسي، ومنهم من أمسى ولم يصبح قد قال ابن عمر رضي الله عنهما « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء » فإذا بلغ العبد المساء وكان من أهله فهذه نعمة يذكرها العبد شاكرا للمنعم سبحانه وتعالى ولهذا يأتي الحمد " والحمد لله " ، لأن قول " أمسينا " هذا ذكر للنعمة ، استشعارا للمنة ؛ منة الله سبحانه وتعالى ، ثم أتبع ذلك بحمد المنعم سبحانه وتعالى وقوله " وأمسى الملك لله " هذا إقرار من العبد بأن الملك كله بتدبير الله سبحانه وتعالى وتسخيره ، فقول العبد " وأمسى الملك لله " هذا إقرار من العبد واعتراف متجدد كل مساء تجديدا لإيمانه بتدبير الله سبحانه وتعالى للكون وتسخيره للكائنات وأنها كلها طوع تدبيره جل وعلا قال " والحمد لله " .. هذا حمد لله على النعمة بعد ذكر النعمة واستشعار المنة ، والحمد ثناء على المحمود بما هو أهله جل في علاه مع الحب له والذل ، والله جل وعلا يحمد على أسمائه وصفاته ، ويحمد جلّ في علاه على مننه وآلائه ، والحمد هنا تناول النوعين ؛ لأنه حمدٌ على النعمة " أمسينا " هذه نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عبده وتفضل جل وعلا ، وقوله " وأمسى الملك لله " هذا اعتراف بربوبية الله و كمال تد بيره و أن الملك كله له ؛ فيُحمد على ذلك ، كما أنه يحمد على نعمه وآلائه المتوالية على عباده جل وعلا

وقوله " لا إله إلا الله " .. هذه كلمة التوحيد وهي قائمة على ركنين النفي و الإثبات ، نفي العبودية عن كل ما سوى الله و إثبات العبودية بكل معانيها لله وحده إخلاصا له وإفرادا له بالعبادة ، فـ" لا إله إلا الله " تعني : أن لا معبود بحق إلا الله وأنه جل وعلا وحده الذي يجب أن يفرد بالعبادة و يخص بالذل ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾

وقوله " وحده لا شريك له " .. هذا تأكيد لكلمة التوحيد بركنيها النفي والإثبات فإن قوله " وحده " تأكيد للإثبات و قوله " لا شريك له تأكيد للنفي " ، وهذا التأكيد اهتمام بمقام

التوحيد و تعظيم لشأنه ، و عناية به " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" وهذا إقرار بأن الملك كله لله فإن

قوله " له الملك " هذا أسلوب حاصر دال على الاختصاص ، وأن الملك كله لله رب العالمين لا شريك له ، لا شريك له في أي ذرّة من ذرات هذا الملك ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرضِ وَ مَا لَهُم فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنهُم مِّن ظَهِير ﴾

" رب أسألك خير ما في هذه الليلة " .. هذا هو المطلوب و ما قبله وسيلة ، توسُل انتظم أمور عديدة ، إقرار العبد بنعمة الله عليه ، وأن الرب سبحانه وتعالى هو وحده الملك المدبر لهذه الكائنات ، ومن ثم حمده جل وعلا على ذلك ثم إعلان التوحيد و تجديد التوحيد بكلمته العظيمة " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" ثم ذكر مطلوبه " رب أسالك خير ما في هذه الليلة " هذا وما بعده هو المطلوب ، وما قبله وسيلة " ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة " أي خير ما أنزلته على عبادك من بركات ونعم وخيرات ، " أسالك خير ما في هذه الليلة " وهذا فيه التجاء من العبد إلى الله سبحانه وتعالى أن يكتب له الخير في ليلته وأن يقسم له فيها الخير والبركة " خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها " .. خص أولاً الليلة التي أقبلت عليه ثم أتبع ذلك بما بعدها من أيام ولياليِ

" وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها " .. أعوذ بك من شر كل شر كائن في هذه الليلة وحادث و حاصل فيها أن تعيذني من ذلك ، و أن تحميني لأن الاستعاذة اعتصام بالله ، والتجاء إليه سبحانه وتعالى جل في علاه من شر هذه الليلة و شر ما فيها وشر ما بعدها " من شر هذه الليلة وشر ما بعدها " أي من الليالي والأيام

" رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر " .. " أعوذ بك من الكسل " الكسل هو عدم نهوض العبد لمصالحه مع قدرته على ذلك ، أما عدم النهوض للمصالح مع عدم القدرة فهذا يسمى عجزا ، والكسل أن يكون الإنسان عنده قدرة وفي صحة لكنه لا ينهض لمصالحه فيه فتور وخمول هذا يسمى كسل ، عنده قدرة بدنية على أن يقوم لكنه لا يقوم الذي أعاقه كسله ؛ وهذا يُتعوَّذ بالله منه ، والتعوُّذ بالله من الكسل ينبغي أن يكون مستصحَبا بتحرك المرء للقيام بمصالحه ، فيتعوذ بالله من الكسل ويجاهد نفسه على العمل والنشاط وترك الخمول عملا

بالحديث « احرص على ما ينفعك واستعن بالله » ، قولك " أعوذ بالله من الكسل " هذا استعانة بالله ينبغي أن يتبع بحرص على ما ينفعك و بذل للأسباب " أعوذ بك من الكسل وسوء الكبَر" وضبطت "سوء الكِبْر" بالإسكان والأظهر هو الفتح ، الكبر أي ما يكون في كبر المرء من ضعف ووهن وخرف كما في نظير هذا الدعاء الآخر« و أعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر» أرذل العمر هو سوء الكبر، هذا يتعوذ بالله منه ، فجاء التعوذ بالله منه بلفظ سوء الكبر، وبلفظ أرذل العمر وهذا التعوذ يعني أن يبقى العبد متمتعا بعقله بالدرجة الأولى ، وعافيته وحواسه إلى أن يتوفاه الله ، كما في الدعاء «اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا»

" أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر " .. " أعوذ بك من عذاب في النار" ، وهذا تعوذ بالله سبحانه وتعالى من عذاب النار والتعوذ بالله من عذاب النار يتضمن طلب المعونة من الله سبحانه وتعالى أن يقي عبده موجبات دخول النار، إذا قلت أعوذ بك من عذاب النار ، تضمن ذلك طلبك من الله أن يجنبك المعاصي التي توجب دخول النار، و كذلك ترك الفرائض الذي يوجب دخول النار، " وعذاب في القبر"، وعذاب القبر حق كما صح بذلك الحديث عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه

قال " وإذا أصبح قال ذلك أيضا " .. إلا أن الصياغة في الصباح تعدَّل بما يناسب الصباح يقول : « أصبحنا و أصبح الملك لله والحمد لله » ثم في أثنائه يقول « أسألك خير ما في هذا اليوم و خير ما بعده وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده » .

[روى أبو هريرة رضي الله عنه ، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة ، قال« أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك » انفرد به مسلم،

وقوله : بكلمات الله ، قال الهروي هي القرءان . و التامات، قيل هي الكاملة و قيل هي النافعة الكافية الشافية مما يتعوذ منه]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال " يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة " ذاكرا شدة الوجع والألم الذي أصابه من لدغة العقرب ونفوذ سمها إلى طرف من بدنه وأن الألم الذي أصابه كان شديدا ، عبَّر عنه بقوله " ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة " .. أي من شدة و وجع وألم ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام " أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك " .. أي لم يضرك سمّ هذه العقرب ، نعم يعني قد تلدغ المرء العقرب أو يصاب مثلا بلدغٍ شيء من ذوات السموم لكنه حتى وإن حصل ذلك فإن الضرر لا يكون ، ولو نفذ السمّ إلى البدن باللدغة لا يكون له أي تأثير على البدن ، لا يضرك، قوله " لم يضرك " .. لا ينفي وجود اللدغة ، أن تلدغه أو تلسعه لا ينفي ذلك ، لكنه لا يحصل ضرر، ويكون سمُّها وإن نفذ إلى البدن لا تأثير له على البدن إطلاقا ، ولا يحصل للبدن أي ضرر لا ألم و لا غيره ،

وقد أورد الترمذي رحمه الله تعالى هذا الحديث في جامعه وذكر عقبه عن سهيل بن أبي صالح و هو من رواة هذا الحديث قال : "كان أهلنا تعلموها " أي تعلموا هذه الدعوات وهذا التعوذ "كان أهلنا تعلموها فكانوا يقولونها كل ليلة فلُدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعا" اللدغة وجدت لكن لم تجد وجعا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لم يضرّك " ؛ يعني إن حصل شيء من الأذى أو اللدغ أو نحو ذلك من ذوات السموم فإنه لا يضر العبد ،

وجاء في رواية الترمذي لهذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يمسي ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره حُمَه تلك الليلة »

ومما يؤثر عن القرطبي المفسر المعروف رحمه الله تعالى أنه قال كلاما معناه : " لما بلغني هذا الدعاء ما تركته كل ليلة ونزلنا ليلة بالمهديَّة – منطقة– فلدغت في تلك الليلة ، فتذكرت أنني نسيته تلك الليلة " ، الحاصل أن هذا التعوذ العظيم المبارك ينبغي أن يحافظ عليه المرء محافظة مستمرة كل ليلة يعتني به ثلاث مرات يقوله ، وأن يعوِّد أهله وولده على ذلك ، مثلما قال سهيل رحمه الله "كان أهلنا " ، فيعوِّد أهله على ذلك وولده بحيث يأتي به كل ليلة ، ولو قدِّر أن أحدا منهم لدِغ أو أصابه شيء من ذوات السموم فإنه لا يضره بإذن الله سبحانه وتعالى

قوله " أعوذ بكلمات الله التامات " .. نقل المصنف عن الهروي قال هي القرآن ، وهذا يحتمله اللفظ ، ويحتمل أيضا معنى أخر، وهو الكلمات الكونية القدرية ، لأن الكلمات التي تضاف إلى الله سبحانه وتعالى تارة تطلق ويراد بها الكونية القدرية ، و تارة تطلق ويراد بها الكلمات الشرعية التي هي وحي الله و تنزيله ،

" والتامات " أي التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه،

و قوله " من شر ما خلق " .. أي من شر كل مخلوق قام فيه شر، وهذا تعوذ جامع لأن التعوذات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم منها تعوذات تفصيلية من شرور معينة ، ومنها التعوذ الجامع المتناول للشرور كلها كما في هذا الدعاء .

[ما يقال عند النوم وأخذ المضجع]

[روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك اللهم أموت وأحيا و إذا استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور» انفرد به البخاري]

الشرح..

قال [ما يقال عند النوم وأخذ المضجع] .. عند النوم يعني عندما يأوي المرء إلى فراشه ويضع جنبه على فراشه وهذا هو المراد بأخذ المضجع ، و فيه أن هذه الدعوات يقولها المرء بعد أن يأوي إلى فراشه و يضطجع فيه –على فراشه–

" إذا أخذ مضجعه " .. أخذ المضجع أن يضع جنبه على فراشه و رأسه عليه ثم حينئذٍ يأتي بهذه الدعوات ، وهذا فيه افتقار العبد إلى ربه سبحانه وتعالى لأنه سبحان الله إذا أغمض عينيه ونام لا يدري ماذا يحصل حوله ولو كان هناك عدو من شياطين الإنس أو الجن يكون متمكنا منه تمام التمكن لأنه لا يشعر بكل ما يحصل حوله ، فيدخل في هذا النوم مفوّضا أمره مسلما نفسه لربه سبحانه وتعالى طالبا منه الحفظ والإعاذة والعون متجها إلى ربه مستعينا به جل في علاه لأن النوم أخو الموت بل هو موتة صغرى

قال " روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك اللهم أموت و أحيا "

" باسمك اللهم " الباء هنا باء الاستعانة ، باسمك اللهم هذا استعانة من العبد بربه وتفويض لأمره كله إليه جل في علاه

" باسمك اللهم أموت وأحيا " ..أي محياي ومماتي كل ذلك باسمك وفي كل ذلك ألتجئ إليك وحدك ولا ألتجئ إلى أحد سواك

" بِاسمك اللهم أموت و أحيا وإذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا " ..

إذا استيقظ قام من نومه في صحة وعافية و سلامة ، حمد الله على هذه النعمة أن أحياه بعد أن أماته

وقوله " بعد ما أماتنا " هذا دليل على أن النوم موتة ، النوم يعد موتة ويسمى موتا ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ فهو يعدّ موتا ويعدّ وفاةً فيحمد الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة وكم من إنسان أغمض عينيه على فراشه ولم ينهض منه وقبضت روحه فيه ، فيذكر نعمة الله عليه بأن قام بصحة وعافية فيحمد الله

" الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" .. لما كان النوم شبيها بالموت بل هو موتة صغرى فإن القومة منه شبيهة بالنشور الذي هي القيام من القبور، ولهذا الوجه في الشبه قال " وإليك النشور " ، ولهذا يأتي في أذكار المساء " وإليك المصير" لأن الدخول في المساء ينتقل منه الإنسان إلى النوم ؛ هذا شبيه بالمآل والمصير، فناسب في المساء أن يقول " وإليك المصير " ، وأما في الصباح و عند القومة من النوم يقول " وإليك النشور" ، لأن الذي حصل هو النهوض من النوم شبيه من النشور الذي هو البعث من القبور.

سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه ..

الدرس الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[وروى البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمر رجلا إذا أخذ مضجعه من الليل أن يقول اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك و ألجأت ظهري إليك و فوضت أمري إليك رغبة و رهبة إليك لا ملجأ ولا منجى إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت و برسولك الذي أرسلت فإن مات ، مات على الفطرة» وروي بنبيك متفق عليه]

الشرح..

هذا الحديث حديث البراء رضي الله عنه فيما يقال عند النوم وإذا أخذ العبد مضجعه – أي لينام – وهو دعاء عظيم مأثور عن النبيّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه ينبغي أن يحرص عليه المسلم كل ليلة إذا أوى إلى فراشه لينام ، وقد اشتمل هذا الحديث كما في بعض رواياته على بعض الآداب التي يستحب للمسلم أن يأتي بها إذا أوى إلى فراشه ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : « إذا أتيت مضجعك ، توضأ وضوئك للصلاة ثم نم على شقك الأيمن » ، فأرشد عليه الصلاة و السلام إلى أدبين عظيمين من أداب النوم : أن ينام المرء على طهارة وهذه أكمل ما يكون في حال المسلم عندما ينام ، و الأمر الثاني أن ينام على شقه الأيمن وهذه أكمل صفة للنوم أن ينام المرء على شقه الأيمن ثم يأتي بهذه الدعوات وغيرها مما يؤثر عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه

قوله " اللهم أسلمت نفسي إليك " .. فيه استسلام العبد لله تبارك وتعالى ، و إسلام أمره له جلّ في علاه، وإقراره أن أمره بتدبير الله وتسخيره وبمشيئته وإذنه جلّ وعلا ، " أسلمت نفسي إليك " مقرا بأني عبد من عبادك وطوع تدبيرك و تسخيرك لا حول لي ولا قوة إلا بك

وقوله " ووجهت وجهي إليك " .. هذا فيه إخلاص العبد لله سبحانه وتعالى ، "وجهت وجهي إليك" أي مخلصا لا أبتغي بتوجهي إلا وجهك ﴿ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ ،

" وجهت وجهي إليك " أي مخلصا لك ، لا أبتغي بتوجهي إلا وجهك مخلصا لك

وقوله " ألجأت ظهري إليك " .. أي أسندته إلى حفظك ؛ وهذا التجاء وتفويض إلى الله سبحانه وتعالى،

وقوله " وفوضت أمري إليك " .. هذه كلمة توكل واعتماد على الله " فوَّضت أمري إليك" و ما الأمر المفوض هنا إلى الله سبحانه و تعالى ؟ لعلنا نذكر قاعدة أهل العلم في هذا الباب أن المفرد إذا أضيف يفيد العموم

فقوله " فوضت أمري " أي جميع أموري ، لا أستثني شيئا منها إليك يا الله ، فهذه كلمة تفويض و توكل على الله سبحانه وتعالى

وقوله " رغبة و رهبة إليك " .. أي أقول ذلك جامعا فيه بين الرغبة والرهبة ، و الرجاء و الخوف و هذه حال المسلم في كل تعبداته ﴿ يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا ﴾ ، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَه ﴾ فالمسلم في أعماله بين الرجاء والخوف ، والرغبة والرهبة

الرغبة : أي فيما عند الله والطمع في نواله والفوز برضاه سبحانه و تعالى،

و الرهبة : هي الخوف منه سبحانه وتعالى ومن سخطه ومن أن يرد العمل على العبد ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلوبُهُم وَجِلَةٌ أَنَّهم إِلَى رَبِّهِم رَاجِعُون ﴾ وجلة : أي خائفة أن لا تقبل أعمالهم منهم ، ولهذا ينبغي أن يكون العبد في دعائه وفي كل عباداته بين الرجاء والخوف ، والرغبة والرهبة

وقوله " لا ملجأ و لا منجى إلا إليك " .. هذا فيه أن العبد لا مفر له من الله إلا إلى الله ، وكل شيء يخاف العبد منه يفر منه إلا الله سبحانه وتعالى فإن الخوف منه يوجب الفرار إليه ، كما قال الله عز وجل ﴿ فَفِرُّوا إِلَى الله ﴾ ، فالعبد إذا خاف من ربه فرَّ إلى ربه ، لأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، لا ملجأ ولا منجى إلا إليه ، فالملجأ إلى الله والمنجى إليه سبحانه تعالى ، ملجأ العبد في كل ما يؤمله ويرجوه ، و منجى العبد من كل ما يحاذره و يخشاه إلى الله سبحانه وتعالى

وقوله " آمنت بكتابك الذي أنزلت " .. أي القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، و أنه وحي الله وتنزيله جل في علاه ، آمنت به وبما اشتمل عليه من الهدى والخير والإيمان والصلاح

" آمنت بكتابك الذي أنزلت و برسولك الذي أرسلت قال وروي بنبيك " والذي جاء في الرواية هو قوله " وبنبيك الذي أرسلت" ولما قاله البراء رضي الله عنه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مستذكرا " قال و برسولك الذي أرسلت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا ؛ و بنبيك الذي أرسلت "

" وبنبيك " أي محمد عليه الصلاة والسلام الذي أرسلت ؛ أي إلى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ،

فاجتمع في قوله " وبكتابك الذي أنزلت و بنبيك الذي أرسلت " الإيمان بالوحي المنزل ، والإيمان بالرسول المبعوث بهذا الوحي ، لأن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت في وحيه أن لا ينزل على كل العباد وإنما يصطفي منهم خيرهم وأفضلهم ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاس ﴾ ، ثم يبعثهم إلى الناس بوحيه ﴿ وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَاغُوت ﴾ ، ففي قوله " و بكتابك الذي أنزلت و بنبيك الذي أرسلت " إيمان بالوحي المنزَّل وبالمبعوث بهذا الوحي و أنه مبلغ عن الله ﴿ لَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى ۞ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

قال " فإن مات ، مات على الفطرة " .. أي من قال ذلك إن ماتْ ماتَ على الفطرة ، إن مات من ليلته تلك ، وهذا يفيدنا أن القول لهذه الكلمات لا ينبغي أن يكون قولاً مجردا باللسان ؛ لأن الفطرة أمر يلامس القلب – قلب المرء – ، ولهذا فإن من يقول هذه الدعوات ينبغي أن يقولها مستحضرا المعنى الذي دلت عليه محققا ما دلت عليه من إيمان وتوكل وتوحيد و تفويض وإيمان بالله وكتبه ورسله ، فإذا قال ذلك عن فهم و إيمان ومات من ليلته مات على الفطرة ، ومما يستفاد من ذلك أن المرء ينبغي أن يواظب عليه كل ليلة ، ولا يفوته في أي ليلة ، يحرص على ذلك حتى يكون من أهل هذه الفطرة والموت عليها ، وإن كتب الله له حياة فلم يمت من ليلته أصاب خيرا ، ولهذا جاء في بعض روايات الحديث ، قال« وإن أصبحت أصبت خيرا» فيكون أيضا من فوائد هذا الدعاء العظيم أنه بركة عليك في يومك إذا أصبحت من أسباب البركة و أن تصيب في يومك خيرا، وقوله " خيرا " جاءت نكرة في هذا السياق فتفيد العموم ، وهي متناولة خير الدين و خير الدنيا ، ومن فوائد هذا الدعاء أهمية التقيد بالدعوات المأثورة عن النبي صلى الله عليه و سلم بحسب ألفاظها الواردة لا يغير في ألفاظها شيئا ولا يزيد على ألفاظها شيئا ، و لا يجعل لفظا مكان لفظ أو كلمة مكان كلمة ، حتى وإن استحسن ذلك ، بل يحرص على حفظها بألفاظها الواردة عن النبي الكريم صلوات الله و سلامه بركاته عليه ، فإن البراء رضي الله عنه لما استذكر هذا الدعاء بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قال وبرسولك الذي أرسلت فقال له النبي عليه الصلاة والسلام« لا وبنبيك الذي أرسلت» فأفاد ذلك أهمية التقيد بالألفاظ المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى و إن استحسن المرء لفظا أو نحو ذلك فليس له أن يبدل أو يغير في ما جاء عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام و لا أيضا أن يزيد عليه ، لأن الزيادة عليه نوع من الاستدراك على النبي عليه الصلاة والسلام في دعواته المأثورة عنه ، فينبغي تجنب ذلك ، وأن يحرص على دعوات النبي عليه الصلاة و السلام كما وردت عنه ، ودعواته عليه الصلاة والسلام جمعت بين العصمة من الخطأ والكمال في

المعاني ، حيث تضمنت أكمل المطالب وأجلّ المقاصد و أنبلها على الإطلاق ، وهذا كله مما يؤكد أهمية العناية بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد عنه دون أن يزاد فيه أو ينقص .

[وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، « أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول: اللهم خلقت نفسي و أنت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ، إن أحييتها فاحفظها ، وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العافية » ، فقال له رجل أسمعت هذا من عمر، قال من خير من عمر، من رسول الله صلى الله عليه وسلم، انفرد به مسلم]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث " عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول اللهم خلقت نفسي و أنت تتوفاها " .. هذا يفيدنا أن الدعوات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم جاءت متنوعة ، بل كما أشار الإمام ابن القيم رحمة الله عليه في أحد كتبه " أن الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أذكار النوم والدعوات التي تقال عندما يأوي المرء إلى فراشه تقرُب من الأربعين حديثا " ، و قد لا يتيسر للمسلم جمع ذلك كله لكنه ينبغي أن يحرص أشد الحرص على الإتيان بما تيسر له من الدعوات و الأذكار و الآيات أيضا القرآنية مثل آية الكرسي ، وقل هو الله أحد ، والمعوذتين ، قل يا أيها الكافرون ، يحرص على المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والإتيان بما تيسر له من ذلك

قال " إذا أخذ مضجعه أن يقول اللهم خلقت نفسي و أنت تتوفاها " ..

" اللهم خلقت نفسي " : أي أوجدت نفسي من العدم وخلقتني بعد أن لم أكن ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ ، " خلقت نفسي " إقرار من العبد بأنه

مخلوق لله ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجده وهو الذي خلقه وهو الذي أمده بالعافية و الصحة والقوة

"خلقت نفسي وأنت تتوفاها " .. أي وفاتي بيدك

" لك مماتها ومحياها " .. " مماتها " أي نفسي لك مماتها ومحياها ؛ أي أمر مماتي ومحياي بيدك ، " لك مماتها ومحياها " أي أنت المتصرف ، أو أن يكون المعنى والمراد هو قصد العبد بأن جعل مماته و محياه لله كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِين ﴾

قال " فاحفظها " .. ما سبق وسيلة وهذا مطلوب ، المطلوب الحفظ

" فاحفظها و إن أمتها فاغفر لها " .. فاحفظها أي بما تحفظ به عبادك الصالحين،

" وإن أمتها فاغفر لها " وهذا ينبني على استشعار من العبد حينما يأوي إلى فراشه لينام أنه في هذه النومة لا يخلو من حالتين : إما أن تقبض روحه في منامه أو أن يفسح الله له في الأجل فينهض من منامه ، لا يخلو من هاتين الحالتين ، فيستشعر العبد الحالتين فيدعوا الله بدعوة تناسب الحالتين، حالة أن يفسح في الأجل قال : "فاحفظها" وحالة أن تقبض الروح في هذا الفراش وفي هذه النومة ،

قال " فاغفر لها اللهم إني اسألك العافية " .. وسؤال الله تبارك وتعالى العافية من أعظم المطالب و أجلها ، قد جاء في الحديث أن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه وعن الصحابة أجمعين أتى النبي عليه الصلاة و السلام وقال : علمني دعاء أدعو الله به ، قال: « سل الله العافية» ، – فكأنه تقالّ ذلك – وجاء بعدها مرة أخرى إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال علمني دعاء أدعو الله به ،

قال« يا عباس يا عم رسول الله سلِ الله العافية في الدنيا والآخرة » .. أعاد عليه الدعوة نفسها ، فسؤال الله العافية هذا من أعظم المطالب وأجلها ، وإذا أوتي العبد العافية في دينه ودنياه وأخراه فاز الفوز العظيم و تحققت له النجاة بإذن الله سبحانه وتعالى

" فقال له رجل " – أي قال لابن عمر– " أسمعت هذا من عمر" هل هذا الدعاء سمعته من عمر فقال رضي الله عنه : " من خير من عمر ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

[وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا و كفانا و آوانا فكم ممن لا كافي له و لا مؤوي» انفرد به مسلم]

الشرح..

ثم ختم رحمه الله تعالى بهذا الحديث ، حديث أنس رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه، قال الحمد لله الذي أطعمنا و سقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له، ولا مؤوي " هذا الحديث فيه ذكر نعمة الله على عبده ، وحمده جل وعلا عليها

هنا معاشر الكرام ينبغي أن نعلم في ضوء هذا الحديث و الحديث الذي قبله أن المرء إذا أوى إلى فراشه لينام ينبغي أن ينظر نظرين ..

• نظرٌ إلى ما مر من وقته ومضى من أيامه في صحة وعافية و طعام وشراب و غذاء ومأوى وفراش و غير ذلك ، ينظر إلى ما سبق من وقته فيذكر نعمة الله عليه في ما سبق من صحة وعافية وطعام وشراب و مسكن وغير ذلك ؛ فيحمد الله لا ينام إلا وهو حامد لله ، طعِم وشرب وعنده المسكن وعنده الملبس يذكر هذه النعم فيحمد الله عليه " الحمد لله الذي أطعمنا و سقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي " ، إن كنت أنام شبع فغيري قد ينام جائع طاويا ، وإن كنت أنام في مأوى مرتاحا فيه وفي فراش طيب غيري قد لا يجد فراشا يأوي إليه أو مكانا يرتاح فيه ، فيذكر هذه النعمة و يحمد الله ينام حامدا لله على نعمه والحمد حافظ وجالب ، حافظ للنعمة الموجودة و جالب للنعمة المفقودة ، والله يقول ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم لَئِن شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُم وَلَئِن كَفَرْتُم إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد﴾ فحمدك لله ؛ وهذا الحمد عند نومك " الحمد لله

الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي " من موجبات ثبات هذه النعمة و بقائها وزيادتها ونمائها ، فينبغي للعبد أن لا يفوّت هذا الحمد العظيم عندما يأوي إلى فراشه لينام " الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا و كفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له و لا مؤوي " تذْكر نعمة الله عليك بالمطعم والمشرب و الكفاية و المأوى وأنه كم من إنسان قد لا يجد ذلك و قد لا يتيسر له ذلك ، فتحمد الله جل وعلا

• النظر الثاني نظر إلى المستقبل.. كما في حديث ابن عمر فيه نظر إلى المستقبل ماذا ستكون حالي ، أنا سأنام الآن ماذا ستكون حالي في النوم ، احتمال تقبض روحي واحتمال أن يفسح لي في الأجل ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِها فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيهَا المَوتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى ﴾ هذه أرواح العباد هذه حالهم في النوم ، قد تمسك روح العبد ويصبح بين يدي أهله ميتا على فراشه وهذا لا يختص في الكبار بل يشمل الكبار والصغار و الأطفال – ويحصل هذا كثيرا في بيوتات الناس– فقد تقبض روحه وقد يفسح له في الأجل ، يذكر ذلك قبل أن ينام فيدعوا الله بدعاء يناسب الحالتين ، حالة القبض وحالة الإرسال « إن أمسكتها فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » كما جاء في الدعاء الآخر فيدعو بدعوة تناسب الحالتين ، الحاصل أن الدعوات المأثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بالنوم ..

منها ذكر لله وثناء وتمجيد .. ومنها إقرار بأصول الإيمان وعقائد الدين بحيث يموت على ذلك فيموت على الفطرة .. ومنها ذكر لنعمة الله سبحانه وتعالى على العبد بالمطعم والمشرب فيما مضى والمسكن فيما مضى من وقته فيحمد الله على النعمة .. ومنها دعوات تتعلق بنظرة الإنسان لحاله في هذه النومة هل تقبض فيها روحه أو ترسل فيدعو الله سبحانه وتعالى إن قبضت بأن يرحمه الله ويغفر له و إن أرسلت روحه أن يحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين .

سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه ..

الدرس الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري – رحمه الله – في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[فصل في الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم]

[روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرا» انفرد به مسلم

والصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة والنبيين عليهم السلام استغفارٌ ودعاء ؛ قاله الهروي]

الشرح..

هذا فصل ختم به الإمام المنذري رحمه الله تعالى كتابه كفاية المتعبد ، وعرفنا أن الكتاب خصه رحمه الله تعالى في بيان فضائل الأعمال ، وختم هذه الفضائل للأعمال في بيان فضل الصلاة والسلام على النبيّ الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، فهذا الفصل في فضل الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، والله جلَّ وعلا أخبر في كتابه العزيز بصلاته وصلاة ملائكته على نبيه صلى الله عليه وسلم ، و أتبع ذلك بأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ، قد أمر جلّ وعلا بالجمع بين الصلاة و السلام عليه صلوات الله و سلامه عليه ، و هذا حق من حقوقه عليه الصلاة والسلام على أمته ينبغي أن يعتنى بهذا الحق ، و تتأكد هذه الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن من أعظمها عند ذكره صلوات الله

وسلامه عليه ، ويستحب الإكثار من الصلاة والسلام عليه في كل الليالي و الأيام إلا أنه في ليلة الجمعة ويوم الجمعة شأنه أعظم ، ولهذا يؤثر عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: أُحب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في كل حين إلا أنه في ليلة الجمعة ويومها أحب إليّ ، لورود الحديث بذلك عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، أورد رحمه الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرا " هذا فيه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الجزاء من جنس العمل و أن الحسنة بعشر أمثالها فمن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم جازاه الله تبارك و تعالى بأن صلى الله تبارك و تعالى عليه عشرا ، جزاءً من جنس العمل و تضعيفا في الثواب فالحسنة بعشر أمثالها

ثم نقل المصنف رحمه الله عن الهروي أنه قال : " والصلاة من الله الرحمة " هكذا فسر الصلاة من الله ؛ الصلاة من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال الصلاة من الله الرحمة لكن الحق أن الصلاة غير الرحمة ، الصلاة لها معنى والرحمة لها معنى والله سبحانه و تعالى غاير بينهما ، غاير بين الصلاة والرحمة كما في قوله ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذينَ إِذا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِله وَ إِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِم وَ رَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المهْتَدُون ﴾ فغاير جلّ وعلا بين الصلاة والرحمة، ولهذا فإن الإمام ابن القيم رحمة الله عليه في كتابه العظيم – جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام – وهو من أحسن الكتب المصنفة في الصلاة و السلام على النبي الكريم عليه الصلاة و السلام تحقيقا و تدقيقا ، فإنه لما ذكر قول من قال : إن صلاة الله على نبيه هي الرحمة ؛ انتقد ذلك من وجوه و خطَّأ هذا القول من وجوه بلغت ما يقرب من عشرة وجوه ، إن الصلاة ليس معناها الرحمة ، وإنما هي التعظيم للنبي عليه الصلاة والسلام و الثناء عليه في الملأ الأعلى تشريفا له وتعلية لمقامه وتعظيما لشأنه صلوات الله و سلامه عليه وتمييزا له عن سائر الخلق.

[وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنت أصلي و النبي صلى الله عليه وسلم و أبو بكر وعمر معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم ثم دعوت لنفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سلْ تعطه سلْ تعطه » أخرجه الترمذي و ابن ماجه و قال الترمذي حسن صحيح]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم و أبو بكر وعمر معه " .. قوله " أصلي " .. يقصد الصلاة ذات الركوع و السجود ، كنت أصلي لأن الصلاة تطلق ويراد بها ذات الركوع و السجود و تطلق و يراد بها الدعاء مطلق الدعاء ، فقوله " كنت أصلي " : أي الصلاة ذات الركوع و السجود ،

قال رضي الله عنه " فلما جلست " .. أي جلسة التشهد في آخر الصلاة " بدأت بالثناء على الله " التحيات لله والصلوات والطيبات

" ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم " .. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، ثم بدأت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم " ثم دعوت لنفسي "

أي جاء ذلك على هذا النحو في الترتيب ؛ أولا ثناء على الله ثم صلاة وسلام على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ثم دعاء، قد جاء في حديث بن مسعود الآخر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : « ثم ليتخير من الدعاء ما شاء » و لهذا ينبغي أن يُعلم أن هذا الموطن من الصلاة موطن عظيم جدا في قبول الدعاء وإجابته ، لأنك في صلاتك حمدت الله وأثنيته و مجدته وخضعت له وذللت وركعت وسجدت ثم جلست في آخر صلاتك جلوس المتذلل للربِّ سبحانه وتعالى ، معظما لله عز وجل بما يليق بجلاله وكماله ، مثنيا عليه بما هو أهله ، مصليا ومسلما على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فتتحرى بعد ذلك من الدعاء ما شئت فإن الدعاء في هذا الموطن مستجاب ، مع أن كثيرا من الناس لا يحرص على الدعاء ، وكثير منهم يقتصر على «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم و عذاب القبر و فتنة المحيا و الممات و فتنة المسيح الدجال» ولا يتحرى الدعاء في هذا

الموطن بينما هذا الموطن من المواطن التي ينبغي على العبد أن يتحرى فيها الدعاء وأن يدعو بما شاء، وتأمل قول النبي عليه الصلاة و السلام لابن مسعود " سل تعطى سل تعطى " ..أي أن الدعاء مستجاب في آخر الصلاة قبل السلام

كثير من الناس يسلم من صلاته دون أن يدعو ثم إذا سلم رفع يديه ودعا ، و قد فوَّت موطنا عظيما من مواطن إجابة الدعاء في صلاته قبل أن يسلم « ثم ليتخير من الدعاء ما شاء» و لهذا ينبغي أن نستفيد من هذا الحديث العناية بهذا الموطن في صلاتنا قبل أن نسلم نتحرى من الأدعية ولا سيما المأثورة ، لأن بعض العلماء قال «ثم ليتخير من الدعاء ما شاء» أي مما ورد ، و لا شك أن الوارد أجمع و أوفى وأسلم، لأن الدعوات المأثورة عن النبي الكريم صلوات الله و سلامه عليه دعوات معصومة .

[و قال عبد الرحمن بن أبي ليلى لقيت كعب بن عجرة ، فقال ألا أهديك هدية، خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال : قولوا: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آلِ محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد و على آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد» متفق عليه .]

[روى أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال بشير بن سعد: أمرَنا الله عز وجل أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :قولوا : « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم و بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد و السلام كما قد علمتم » انفرد به مسلم،

و أبو مسعود اسمه عقبة بن عمر ، قوله كما قد علمتم يروى بفتح العين و تخفيف اللام و بضم العين و تشديد اللام عُلِّمتم ، و يعني بذلك في التحيات في قوله « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله .. إلى آخره »، و قيل في قوله تعالى [وسلموا تسليما] .]

نعم الأوّل أولى

[وروى أبو حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله كيف نصلي عليك قال : قولوا: « اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم و بارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » متفق عليه ، و أبو حميد الساعدي اسمه المنذر و قيل عبد الرحمن بن سعد بن المنذر و قيل غير ذلك]

[وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي قال : « قولوا اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم » انفرد به البخاري، تمت بحمد الله و حسن توفيقه.]

الشرح..

هذه الأحاديث التي ختم بها رحمه الله تعالى أحاديث مشتملة على صيغ للصلاة على النبي الكريم صلوات الله و سلامه عليه ، و بأي منها أخذ المسلم كفاه لأنها كلها صحيحة ثابتة ، وجميع الأحاديث التي ساقها رحمه الله إما في الصحيحين أو في أحدهما ، فهذه الصيغ التي ساقها رحمه الله تعالى هي أصحّ الصيغ المأثورة عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه و بركاته عليه ، و ينبغي أن نلاحظ في هذا الباب تكرُّر السؤال من الصحابة رضي الله عنهم إلى النبي عليه الصلاة و السلام كيف نصلي عليك مع أن عندهم قدرة على صياغة ألفاظ متنوعة في الصلاة عليه لكنهم لم يفعلوا و سألوه عليه الصلاة والسلام وعلمهم ،

وماذا تظنون فيهم بعد أن علمهم، أي شيء كانوا يصلون به على النبي عليه الصلاة و السلام ، لا ريب أنهم كانوا يواظبون على هذه الصيغة أو الصيغ التي تعلموها منه صلوات الله و سلامه عليه ، و إلا ما فائدة السؤال ، فالصحابة رضي الله عنهم سألوه وعلَّمهم والتزموا الشيء الذي علَّمهم ، ثم لما جاء الزمان في الناس من بعدهم و بدأ التغير وبدأت تدخل على الناس الأهواء أصبح بعضهم يتكلف صياغة صلوات على النبي الكريم عليه الصلاة و السلام ، ويطلقون عليها أسماء ، وانشغل بها العوام والجهال وضيعوا المأثور عن النبي الكريم عليه الصلاة و السلام ، اشتغلوا بكتب مثل – دلائل الخيرات والصلاة النورانية– وأشياء من هذا القبيل كلها محدثة متكلفة مشتملة على كثير من الخرافة و الباطل والتكلف ، وتركوا هذا المأثور عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، وأخذوا يعظمون تلك الصلوات ويفخمون من شأنها ويعلون من مكانتها ، والواجب أن تفخم هذه الأذكار وهذه الصلوات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم الكلمات المعصومة من المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، بل أُدخل في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الأمور التي نهى عنها وحذَّر منها مثل ما جاء في دلائل الخيرات –اللهم صلّ عليه ما شدت العمائم ونفعت التمائم – النبي صلى الله عليه و سلم يقول « من تعلق تميمة فلا أتم الله له » أيُّ نفع في التمائم ؟ ، فيدخلون نفع التمائم في الصلاة عليه و هذه طريقة من طرائق أهل الضلال في ترويج الباطل لأنه لما تدخل هذه الكلمة على العامي ونفعت التمائم في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام تورث في نفسه اعتقادا أن التميمة تنفع مع كثرة صلاته على النبي عليه الصلاة والسلام بمثل هذه الصيغ ، و هكذا روج للباطل في العوام والجهال وأدى إلى هجر هذا المأثور عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فالصحابة رضي الله عنهم قالوا كيف نصلي عليك وعلمهم و اقتصروا على هذا الذي علمهم والواجب على الأمة أمة الإسلام أن يأتسوا بالصحابة الكرام وأن يلزموا نهجهم رضي الله عنهم وأرضاهم، بل إن الصحابة يعدُّون هذا من أجمل التحف و أحسنها

انظر في الحديث الأول " عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيت كعب ابن عجرة قال ألا أهدي لك هدية " انظر ما أجمل الهدية وما أجمل التحفة ألا أهدي لك هدية " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا

قد عرفنا كيف نسلم عليك " أي بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم لهم ، قال : قولوا: « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته »

ولهذا في الحديث الذي بعده قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : " والسلام كما قد عَلِمتم " وضبطت " كما عُلِّمتم " أي بتعليم النبي لهم عليه الصلاة والسلام ، قولوا «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»

" قالوا عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد " .. هذا الحديث مثل ما أشار المصنف "متفق عليه" – خرّجه الإمام البخاري ومسلم– والبخاري خرّجه في أكثر من موضع في موضعين أو ثلاث من كتابه الصحيح ، من هذه المواضع في صحيحه رحمه الله تعالى جاء الحديث جاء لفظه بقوله : «على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» في الصلاة والتبريك «اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» ولهذا أشار الوالد حفظه الله – في رسالة له في فضل الصلاة والسلام على النبي الكريم صلى الله عليه و سلم – " أن أكمل الصيغ في الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هي التي جُمع فيها بين الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم و آله والصلاة على إبراهيم و آله "

وهي هذه الصيغ التي جاءت في هذا الحديث حديث عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، ولعله والله تعالى أعلم لأجل ذلك قدَّم المصنف رحمه الله تعالى هذه الصيغة

الحاصل أن هذه الصيغ التي أوردها رحمه الله تعالى كلها صحيحة ، وهي إما في الصحيحين أو في أحدهما و بأيٍ أخذ المسلم كفاه وهي مشتملة على تعليم النبيّ أو ما علم به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام بالصيغة التي يصلون فيها على النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه ..